كشاف الكلمات المفتاحية في السياق واحتمالاته في اللغة العربية

حشمت محمد علي قاسم

أستاذ مشارك في قسم المكتبات والوثائق

كلية الآداب - جامعة القاهرة

١ - تمهيد :

سواء أكانت عملية التكشيف تتم بواسطة البشر أو بواسطة الحاسب الالكتروني فإنه من الممكن التمييز بين فئتين رئيسيتين من الكشافات ؛ كشافات الكلمات word indexes وكشافات المفاهيم أو الموضوعات Concept indexes . وتعتمد الفئة الأولى على الكلمات أو المفردات الواردة في نص معين . ومن الممكن لقوائم هذه الكلمات أن تكون شاملة كما هو الحال في معاجم النصوص Concordances كما يمكن أن تكون انتقائية كما هو الحال في كشافات نهايات الكتب وكشافات المصطلح الواحد Uniterm وكشافات الكلمات المفتاحية في السياق (KWIC) Keyword in Context Index . والسمة الأساسية المشتركة في هذه الكشافات هي الاعتماد على الكلمات المستمدة من النصوص الأصلية دون تغيير . أما الفئة الثانية من الكشافات فهي تلك التي يتم فيها التعبير عن المفاهيم أو المحتوى الموضوعي للوثائق بمداخل كشفية مستمدة من إحدى لغات التكشيف . سواء أكانت لغة التكشيف هذه إحدى خطط التصنيف أو إحدى قوائم رؤوس الموضوعات المقننة أو أحد المكانز thesauri ، وبصرف النظر عما إذا كانت مصطلحات هذه المداخل الكشفية قد وردت في نصوص الوثائق المكشفة أو لم ترد .

ويقابل هذا التقسيم الثنائي وإلى حد ما تقسيم ثنائي آخر تصنف فيه الكشافات وفقاً لطريقة إعدادها إلى فئتين ، الكشافات الاشتقاقية derivative والكشافات التعيينيه . وعلى الرغم من أن هذا التقسيم قد وضع أساساً لتصنيف طرق التكشيف الآلية فإنه يصلح أيضاً للتمييز بين الطرق اليدوية . فالتكشيف الاشتقاقي يقصد به تكشيف الوثائق نفسها بنفسها ، حيث تستمد المداخل الكشفية من الوثائق نفسها ، أي أنها عادة ما تكون من بين المصطلحات أو الكلمات الواردة في أي عنصر من عناصر الوثيقة . وتشمل هذه الفئة كشافات الكلمات التي سبقت الاشارة إليها ، كما يمكن أن ينضوي تحت رايتها أيضاً كشافات الاستشهاد المرجعي . أما التكشيف بالتعيين assignment فيقصد به تعيين المداخل الكشفية أو الوسيمات الدالة على المحتوى الموضوعي للوثائق ، أو تحديد تبعية الوثائق المكشفة إلى فئات معينة وفقاً لمحتواها الموضوعي ، أيا كان الشكل المتبع في التعبير عن هذه الفئات وأيا كانت طبيعة لغة التكشيف المستخدمة ، وذلك في حالة التكشيف بواسطة البشر ، أو باستخدام الطرق الاحصائية أو أساليب التحليل اللغوي في نظم التكشيف الالكترونية .

ويميز دويل[1] بين ثلاثة مستويات لتجهيز النصوص اللغوية الكترونياً لأغراض التكشيف وتحليل المعلومات ، ويرتب هذه

المستويات تصاعدياً وفقاً لمدى تعقد اجراءاتها على النحو التالي :

أ . **المضاهاة البسيطة للمفردات** ، كالترتيب الهجائي وإحصاء الكلمات والبحث عنها .

ب . **التجهيز المعتمد على المعاجم** كما هو الحال في التحليل النحوي (النظمي Syntactic) والترجمة الآلية .

جـ . **التجهيز القائم على ربط المفاهيم بالوحدات اللغوية** كما هو الحال في نظم الرد على الأسئلة Question answering systems والتحاور بين البشر والحاسب الالكتروني .

ويدخل إعداد كشاف الكلمات المفتاحية في السياق وكذلك إعداد المستخلصات الآلية auto-abstracts في حدود المستوى الأول ، حيث يعتمد كشاف الكلمات المفتاحية على المضاهاة البسيطة للكلمات بينما تعتمد المستخلصات الآلية على العمليات الاحصائية .

ونحاول في هذا البحث التعرف على امكانات الاعتماد على كشاف الكلمات المفتاحية في السياق في تكشيف الانتاج الفكري العربي ، خاصة وأن بنية الكلمة العربية بحكم قواعدها الاشتقاقية والنحوية تختلف عن بنية الكلمة الانجليزية وبنية الكلمة في اللغات الغروية agglutinative الأخرى . فبالاضافة إلى الصدور prefixes والكواسع suffixes يلعب الحشو infixes دوراً بارزاً في تكوين الكلمة العربية . هذا بالاضافة إلى أن معظم الكلمات العربية مركبة نحوياً . ونقصد هنا الكلمات كما تكتب ، حيث تتكون الكلمة المكتوبة غالباً من عدة وحدات صرفية morphemesلكل وحدة دلالتها النحوية . وعلى ذلك فإن الكلمة العربية المكتوبة لا تخضع للقواعد الصرفية morphological فحسب وإنما تخضع أيضاً للقواعد النحوية أو النظمية syntactic[٢] زد على ذلك أثر القواعد النظمية على صياغة المصطلحات وخاصة المصطلحات المركبة كما هو الحال على سبيل المثال في ترتيب الصفة والموصوف ، والمضاف والمضاف إليه . والكلمة المكتوبة هي الأساس في كشاف الكلمات المفتاحية والذي يعتمد ــ كما أشرنا ــ على المضاهاة البسيطة . والكلمة في هذه المضاهاة البسيطة بالنسبة للحاسب الالكتروني مجرد سلسلة من الحروف يسبقها فراغ ويتبعها فراغ . وعلى ذلك فإنه لطريقة الكتابة نفسها أثرها في كفاءة هذا النوع من الكشافات . وبالاضافة إلى هذه الجوانب البنيوية هناك أيضاً الجوانب الدلالية للغة الطبيعية حيث لا تخضع المداخل في هذا الكشاف لأى نوع من التحكم . والمشترك اللفظي والترادف بكل مستوياته من الجوانب الدلالية المؤثرة في كفاءة كشاف الكلمات المفتاحية في السياق .

ولا زال استعمال اللغة العربية في نظم الاسترجاع الالكترونية بوجه عام وفي نظم التكشيف الآلية بوجه خاص في مراحل الاستطلاع الأولية وقد قام المؤلف باجراء تجربة لاعداد كشاف الكلمات المفتاحية على عدد محدود من عناوين المقالات العربية في علم اللغة . إلاّ أنه نتيجة لعدم توافر أجهزة الحاسب اللازمة لمعالجة النصوص العربية في الظروف التي أجريت فيها التجربة قام بكتابة العناوين العربية بالحروف الرومانية مستخدماً في ذلك نظاماً خاصاً للرومنة Romanization تجنب فيه استعمال الرموز غير الهجائية . وقد تبين من هذه التجربة أن الكشاف الخاص بالعناوين العربية لا يقل كفاءة عن الكشاف الناتج بعد ترجمة نفس العناوين إلى الانجليزية . ونناقش فيما يلي احتمالات تعميم كشاف الكلمات المفتاحية في السياق في تكشيف الانتاج الفكري العربي . ونستهل المناقشة بعرض تاريخي لهذا النوع من الكشافات ، يلي هذا العرض التاريخي وصف عام لكشاف الكلمات المفتاحية كما نألفه الآن والأسس التي ينبني عليها وطريقة إعداده ، يلي ذلك بيان مزايا هذا الكشاف وعيوبه والبدائل المقترحة لتلافي العيوب مستعينين في ذلك بنموذج توضيحي عربي تم إعداده لهذا الغرض . وقد تم إعداد هذا النموذج يدوياً لسبعة عشر عنواناً لمقالات متخصصة في تنظيم المعلومات .

٢ . لمحة تاريخية :

تقدم قصة كشاف الكلمات المفتاحية في السياق مثالاً لدور النشر وغيره من قنوات الاتصال العلمي في توجيه الاعتراف وتسجيل السبق العلمي . فقد ارتبط هذا الكشاف في الانتاج الفكري باسم هانز بيتر لون Hans Peter Luhn الذي كان

يعمل بشركة آي. بي. إم. IBM واعتبره البعض أحد اختراعاته على الرغم من تعدد من سبقوه ومن عاصروه في نفس اتجاه التفكير. ولقد كان لهانز لون ولاشك أفكاره واسهاماته في تطوير بعض الأساليب الالكترونية لمعالجة نصوص اللغة الطبيعية، وقد تركزت هذه الأساليب في المستوى الأول للمعالجة والمعتمد على مضاهاة الكلمات وإحصائها. وقد أتاح ارتباط لون بشركة آي. بي. إم. له فرصة وضع أفكاره في حيز التنفيذ وذلك في الفترة من ١٩٥٧ حتى ١٩٦٣[٤]. وكان له فضل انتاج أول كشاف للكلمات المفتاحية في السياق بواسطة الحاسب الالكتروني عام ١٩٥٨، حيث قدم في المؤتمر الدولي للمعلومات العلمية الذي عقد في واشنطن International Conference on Scientific Information برعاية المؤسسة القومية للعلوم في ذلك العام نموذجاً تطبيقياً لهذا الكشاف على عناوين البحوث المقدمة لذلك المؤتمر. وقد تصادف أن قدم فريق من مؤسسة تطوير النظم System Development Corporation (SDC) بقيادة هربرت أولمان Herbert Ohlman كشافاً مناظراً لنفس العناوين في نفس المؤتمر ولكن باستخدام آلات البطاقات المثقبة العادية[٥] وإلى لون يرجع أيضاً فضل اختيار الاسم الذي عرف به هذا النوع من الكشافات فيما بعد، كما أنه نشر عام ١٩٦٠ أول مقال يصف كشاف الكلمات المفتاحية في السياق[٥]. وقد سبق محتوى هذا المقال أن صدر في تقرير فني عن شركة آي. بي. إم. وهكذا ارتبط هذا الكشاف باسمه كما اعتبره البعض من اختراعه[٦،٧].

وواقع الأمر أن بذور كشاف الكلمات المفتاحية في السياق كانت كامنة فعلاً ومنذ زمن بعيد في مجال تحليل النصوص وتنظيم أوعية المعلومات؛ فكشافات الكلمات ممثلة في معاجم النصوص من الظواهر المألوفة في تراث الغرب منذ القرن الثاني عشر للميلاد[١]. كما أن فكرة الاعتماد على التباديل في إعداد المداخل الكشفية يرجع تاريخها في المكتبات البريطانية إلى منتصف القرن التاسع عشر؛ ففي عام ١٩٥٦ نشر في لندن كتاب بعنوان Art of making catalogues of libraries ألفه مكتبي بريطاني يدعى كرستادورو Crestadoro يشتمل على وصف لكشاف التباديل. هذا بالاضافة إلى أن المكتبات الألمانية كانت تستخدم الكلمات المفتاحية أو الكلمات الجاذبة Catchwords في فهارسها منذ أكثر من قرن. وهناك من يرون أن لون قد تأثر وبشكل مباشر بممارسات المكتبات الألمانية؛ فهو ألماني الأصل وكان والده يعمل في مجال الطباعة كما أنه درس في ألمانيا في مرحلة مبكرة من حياته. كما ثبت أيضاً أن الكشاف الذي قدمه لون في المؤتمر الدولي للمعلومات العلمية عام ١٩٥٨ لم يكن أول نموذج لكشاف الكلمات المفتاحية في السياق يتم إعداده بواسطة الحاسب الالكتروني، فمنذ عام ١٩٥٢ وماري فايلو Mary Veilleux تقوم بإعداد هذا النوع من الكشافات باستخدام الحاسب الالكتروني في وكالة المخابرات المركزية CIA الأمريكية، إلاّ أنها لم تعلن ذلك إلاّ عام ١٩٦١ أثناء انعقاد الملتقى العلمي الثالث للجامعة الأمريكية حول اختزان المعلومات واسترجاعها American University's Third Institute on Information Storage and Retrieval.[٦] هذا وقد أعلن أولمان معاصر لون أنه كان هناك في نهاية الخمسينيات ستة أفراد على الأقل في أنحاء متفرقة في الولايات المتحدة الأمريكية يعكفون على إعداد كشافات تعتمد على فكرة تباديل كلمات العنوان[٨].

وهكذا تتضح أهمية سرعة النشر في تسجيل السبق العلمي وتوجيه اعتراف الأوساط العلمية والمهنية بالابتكارات والأفكار الجديدة. وسواء أكان فضل السبق في هذا المضمار من نصيب لون أو غيره فإنه كان لطرح فكرة كشاف الكلمات المفتاحية في السياق وعرض نماذجه في أكبر تجمع علمي في مجال تنظيم المعلومات، وهو المؤتمر الدولي للمعلومات العلمية الذي سبقت الاشارة إليه، أكبر الأثر في انتشار الكشاف ورواج فكرته. ولم يمض عام ١٩٥٨ إلاّ وكانت بعض المؤسسات الضالعة في إعداد ونشر خدمات التكشيف والاستخلاص قد اقتنعت بالفكرة وعملت على تطبيقها وكانت مؤسسة المستخلصات الكيميائية Chemical Abstracts Service في مقدمة هذه المؤسسات، حيث كانت نشرة الاحاطة الجارية Chemical Titles التي تعرف بمحتويات حوالى ٦٠٠ دورية كيميائية أول كشاف للكلمات المفتاحية في السياق يوزع على نطاق واسع، وذلك في أبريل ١٩٦٠. وقد بلغ عدد المؤسسات التي عملت على تطبيق هذا الأسلوب بشكل أو بآخر فيما بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦٢

أكثر من ثلاثين مؤسسة، ثم بدأت التطبيقات تتزايد بعد ذلك وبمعدلات أسرع[٧].

٣ . الوصف العام :

تستند فكرة كشاف الكلمات المفتاحية في السياق إلى ثلاثة أسس نظرية هي :

أ . **دلالة عناوين الوثائق على محتواها الموضوعي.**

ب . **إمكان الاعتماد على الكلمات المستمدة من العنوان لارشاد المستفيد إلى الوثائق التي يمكن أن تشتمل على المعلومات التي يبحث عنها.**

جـ . **دور السياق في تحديد معاني الكلمات**؛ فعلى الرغم من أن معاني الكلمات التي ترد متفرقة أو بمعزل عن غيرها قد تكون غامضة أو غير محددة بما فيه الكفاية، فإن السياق المحيط بالكلمة يساعد في تحديد معناها.

ويتطلب إعداد كشاف الكلمات المفتاحية في السياق بواسطة الحاسب الالكتروني إعداد تسجيلة وراقية Bibliographic record لكل وثيقة مشتملة على البيانات الوصفية الأساسية بالاضافة إلى رقم كودي مميز يختلف في شكله وعناصره من نظام لآخر. وتحديد مواصفات الكلمات المفتاحية هو المشكلة الأساسية في نظم إعداد هذا النوع من الكشافات. وهناك سبيلان لتحديد هذه الكلمات؛ السبيل الأول ما يسمى بقائمة الاستبعاد Stop list وهي قائمة يتم اختزانها في النظام تضم الكلمات التي لا يريد مصمم النظام ابرازها كمداخل كشفية. أما السبيل الثاني فهو ما يسمى بقائمة الاعتبار go list التي تضم الكلمات التي يريد مصمم النظام ابرازها كمداخل كشفية.

وقائمة الاستبعاد هي الأكثر انتشاراً، ولكل نظام قائمته الخاصة التي تتفق واهتماماته الموضوعية. وعادة ما تشتمل قائمة الاستبعاد على فئتين من الكلمات؛ الفئة الأولى هي ما يسمى بالكلمات أو المفردات النحوية أو الوظيفية والتي لا تحمل أية دلالة موضوعية، وهي حروف الجر وأدوات العطف وأدوات الربط والظروف وكان وأخواتها وإن وأخواتها وأسماء الاشارة والأسماء الموصولة والضمائر وأدوات الاستفهام وحروف الاستثناء فضلاً عن بعض الصفات العامة. وعادة ما تكون هذه الفئة مشتركة في جميع النظم. أما الفئة الثانية فهي الكلمات التي يؤدي تكرارها بكثرة في مجال ما إلى فقدانها لقدرتها الدلالية أو إلى تضخم الكشاف بلا داع. وهذه تختلف من كشاف إلى آخر. ويتفاوت طول قائمة الاستبعاد من نظام لآخر، حيث يتراوح ما بين مائة كلمة وحوالى ألف وخمسمائة كلمة. ومن الطبيعي أن يكون هناك تناسب عكسي بين طول قائمة الاستبعاد وعدد المداخل الكشفية. ويرى البعض أن قائمة الاستبعاد المناسبة في الانجليزية قد لا يتجاوز طولها مائة كلمة، إلاّ أنها يمكن أن تستبعد ٩٩٪ من المداخل المكشفة تحت الكلمات النحوية أو الوظيفية[١]. ويرى بوركو وبرنيه أن قائمة الاستبعاد يمكن أن تشتمل على ألف كلمة[٦]. وكما يختلف طول قائمة الاستبعاد من مجال لآخر فإنه يمكن أيضاً أن يختلف من وقت لآخر في نفس المجال تبعاً للخبرات المكتسبة في الافادة من الكشاف. فقد ازداد طول قائمة الاستبعاد الخاصة بالـ Chemical Titles على سبيل المثال من ٣٠٦ كلمة عام ١٩٦٠ إلى ١٣٣٧ كلمة عام ١٩٦٦[٩]. هذا وقد تبين من تتبع أثر طول قائمة الاستبعاد على عدد المداخل الكشفية ومتوسط عدد الكلمات المفتاحية لكل عنوان أنه ليست هناك علاقة بسيطة مباشرة بين المتغيرين. ويرجع ذلك إلى أن قائمة الاستبعاد أياً كان طولها فإنها عادة ما تشتمل على الكلمات الوظيفية الأساسية والتي تتردد بكثافة أعلى بكثير من كثافة تردد غيرها من الكلمات. ومن ثم فإن تأثير ما يضاف إلى هذه القائمة الأساسية عادة ما يكون أقل بكثير من التأثير النسبي للقائمة الأساسية[١٠]. وقد تبين للمؤلف في التجربة التي أجراها على عينة من عناوين المقالات العربية في علم اللغة أنه حينما كانت قائمة الاستبعاد تشتمل على ٦١ كلمة كان متوسط عدد مداخل العنوان الواحد حوالى ٣,٥٤ مدخلاً وعندما ازداد عدد كلمات القائمة إلى ١٢٩ كلمة كان متوسط عدد مداخل العنوان الواحد حوالى ٣,٤٦ مدخلاً[٣] أي أن تضاعف طول القائمة أكثر من مرة أدى إلى تناقص متوسط عدد المداخل بمقدار ٠,٠٨ فقط. ومهما بلغ طول قائمة الاستبعاد فإنه محدود بالقياس إلى طول قائمة الاعتبار، كما أن تجميع الأولى أيسر بكثير من تجميع الثانية.

وقائمة الاعتبار كما أشرنا هي البديل الآخر لتحديد الكلمات

التي يريد مصمم النظام ابرازها كمداخل كشفية. وتشتمل هذه القائمة لا على الكلمات التي يريد مصمم النظام استبعادها وإنما على الكلمات التي يريد اعتبارها مداخل كشفية. ولكي تكون قائمة الاعتبار شاملة في مجال موضوعي معين فإنها يمكن أن تشتمل على عدة آلاف من المصطلحات والكلمات ذات الدلالة الموضوعية المتخصصة في هذا المجال. ومن ثم فإنها تختلف من مجال إلى آخر كما أنها ينبغي أن تخضع للمراجعة المستمرة لاضافة ما يستجد من مصطلحات وحذف تلك الكلمات التي يؤدي تكرارها بكثرة إلى فقدانها لقيمتها الدلالية. وكما هو واضح فإن تجميع قائمة الاعتبار أصعب بكثير من تجميع قائمة الاستبعاد، بل إن ما يمكن أن يستنفده تجميعها من وقت وجهد يمكن أن يؤدي إلى تجريد كشاف الكلمات المفتاحية من بعض مزاياه وهي البساطة وانخفاض التكلفة الناتج عن عدم الاستعانة بالمكشفين المؤهلين علمياً ومهنياً.

وسواء أكان النظام يعتمد على المضاهاة السلبية (قائمة الاستبعاد) أو المضاهاة الايجابية (قائمة الاعتبار) فإن التعليمات الخاصة باستخدام الحاسب الالكتروني في إعداد هذا النوع من الكشافات تقضي أولاً بالتقاط الكلمات المفتاحية من العناوين ثم ترتيب هذه الكلمات هجائياً. ولابراز هذه الكلمات كمداخل كشفية جرت العادة في معظم النظم على تسجيلها في وسط الصفحة ثم إحاطتها بباقي كلمات العنوان عن اليمين وعن اليسار لتوضيح السياق وذلك في سطر واحد كما هو في النموذج التوضيحي. ويختلف طول السطر من نظام إلى آخر ويتراوح ما بين ٦٠ حرفاً و ١٢٠ حرفاً. ومن ثم فإن مدى اكتمال العنوان يتوقف على مدى طوله ومدى طول السطر. وكما هو واضح في النموذج فإن بعض العناوين قد بترت بحيث لا تتجاوز الطول المحدد للسطر. وربما يؤدي هذا البتر في بعض الأحيان إلى فقد جزء من السياق، ومن ثم إلى الحد من كفاءة الكشاف الناتج. وكان من نتيجة زيادة طول السطر من ٦٠ حرفاً إلى ١٢٠ حرفاً في كشاف شركة بل للهاتف Bell Telephone انخفاض نسبة العناوين التي يتم بترها إلى ٢ ٪ فقط بعد أن كانت تصل إلى ٣٠ ٪ في السطر القصير[٥٠١] وكما نلاحظ في النموذج التوضيحي فإنه نظراً لاعداده يدوياً فإن عدد حروف السطر ومنتصفه لم يتم تحديدها بدقة، وهذه ليست بالمشكلة الصعبة بالنسبة للحاسب الالكتروني.

وعادة ما يتكون سطر كشاف الكلمات المفتاحية في السياق من ثلاثة عناصر، أولها الكلمة المفتاحية التي ترد كمدخل في تسلسلها الهجائي في منتصف السطر، وثانيها السياق الذي يتمثل في الكلمات المحيطة بالكلمة المفتاحية، أما العنصر الثالث والأخير فهو الرقم الكودي أو الترميز الذي يربط المداخل الكشفية بالبيانات الوراقية الكاملة للوثائق المكشفة أو يحدد أماكن وجود هذه الوثائق في نظام معين للاسترجاع. ولا يشتمل النموذج التوضيحي على هذا العنصر. ويختلف الرقم الكودي أو الترميز في شكله ومحتواه من نظام لآخر؛ فمن الممكن أن يكون رقم قيد الوثيقة في نظام معين، كما يمكن أن يكون رقم تسجيل براءة الاختراع. وكان ترميز لون وهو أقدم الترميزات وأوسعها انتشاراً يتكون من ثلاثة عناصر وهي:

أ . ما يدل على اسم المؤلف أو الهيئة الراعية للبحث

ب . سنة النشر

جـ . ما يدل على عنوان الوثيقة.

ويتكون هذا الترميز من أحد عشر حرفاً أو خانة، تخصص الأحرف الأربعة الأولى لاسم عائلة المؤلف، بينما يخصص الحرفان التاليان للحرفين الأولين من الأسماء الشخصية للمؤلف. أما الحرفان السابع والثامن فيخصصان للرقمين الأخيرين إلى اليمين من سنة النشر، بينما تخصص الأحرف الثلاثة الأخيرة للأحرف الأولى من الكلمات المفتاحية الثلاث الأولى الواردة في العنوان[٦].

٤ الدلالة الموضوعية للعنوان:

يقصد بالدلالة الموضوعية هنا اشتمال العنوان على المصطلحات التي تصف المحتوى الموضوعي للوثيقة. وهذا أحد الأسس التي بني عليها كشاف الكلمات المفتاحية في السياق، ذلك لأن المؤلف غالباً ما يراعي عند صياغة عنوان بحثه تحقيق هدفين،

الأول اجتذاب القاريء والثاني وصف المحتوى الموضوعي للبحث(٧) ودائماً ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر هذا النوع من الكشافات تلك الأمثال العامية التي تؤكد دلالة العنوان على المضمون. وفي مقدمة الاعتراضات التي أثيرت حول كشاف الكلمات المفتاحية في السياق في مراحله المبكرة عدم صلاحية العناوين كأساس للتكشيف الموضوعي نظراً لأن المؤلفين قلما يراعون مقتضيات التكشيف في صياغة العناوين(١٠). وهناك الكثير من الدراسات التي تحاول التحقق من الدلالة الموضوعية للعناوين. وقد تبين من هذه الدراسات أن هذه الدلالة الموضوعية تختلف من مجال لآخر؛ فقد ثبت على سبيل المثال أن عناوين المقالات تشتمل على نسبة تتراوح بين ٣٤٪ و ٨٦٪ من المصطلحات التي يستعملها المكشفون في التعبير عن المحتوى الموضوعي للوثائق(٦). وكما هو واضح فإن هذه النسبة تختلف من مجال لآخر؛ فقد تبين من إحدى الدراسات أنه من الممكن الحصول على ٣٤٪ فقط من المداخل الكشفية وذلك من عناوين المقالات المتخصصة في الكيمياء غير العضوية والتي تشملها الـ Chemical Abstracts بالتغطية. وأنه من الممكن لهذه النسبة أن تكون أقل من ذلك بكثير في الكيمياء العضوية(١١،٦) وفي مقابل ذلك تبين من دراسة عدد سبتمبر ١٩٦٠ من الـ Index Medicus أن ٨٥،٨٪ من العناوين والبالغ مجموعها ٤٧٧٠ عنواناً كانت تشتمل على المصطلحات التي استخدمت كمداخل كشفية أو على مترادفات هذه المصطلحات، وأن ١١٪ من العناوين لم تكن تشتمل على مثل هذه المصطلحات. أما بقية العناوين فلم يستطع الباحثون أن يقرروا شيئاً بشأنها(١٢) هذا وقد انتهت دراسة للعناوين الواردة في عشرة كشافات للمطبوعات الدورية إلى أن عناوين المقالات في العلوم والتكنولوجيا عادة ما تصف أو على الأقل تدل على محتوى المقالات. أما في المجالات غير التكنولوجية فإن العناوين قليلاً ما تدل على المحتوى، في حين تدل العناوين الواردة في كشاف عام مثل Reader's Guide to Periodical Literature على المحتوى الموضوعي للمقالات في أقل من ٥٠٪ من الحالات(١٣).

ولقد كان لانتشار كشاف الكلمات المفتاحية في السياق أثره في حث المؤلفين ورؤساء تحرير الدوريات على مراعاة مقتضيات هذا الأسلوب في تكشيف المقالات في صياغة العناوين حيث أحس هؤلاء أنه من الممكن لمقالاتهم أن تضيع ولا يلتفت إليها أحد ما لم تشتمل عناوينها على وصف دقيق لمحتواها. فما لم يشتمل العنوان على الكلمات المفتاحية المناسبة فسوف يضيع المقال في خضم فيضان المعلومات. وفي مؤتمر عام ١٩٦٣ للمعهد الأمريكي American Society for Information Science (ASIS)، كان من بين التعليمات الصادرة لمن تقدموا ببحوث في هذا المؤتمر العناية بصياغة العناوين بحيث يشتمل كل عنوان على ست كلمات مفتاحية على الأقل(٦). كذلك طلب من مؤلفي البحوث التي تقدم لمؤتمرات اتحاد الجمعيات الأمريكية لعلم الحياة التجريبي تحديد المصطلحات المناسبة لتكشيف محتوى بحوثهم أثناء صياغة العناوين. كما تنص التعليمات الموجهة للمؤلفين في مجال التاريخ على ضرورة توضيح العناوين للحدود الزمنية والجغرافية لمحتوى المقالات. وينبه رؤساء تحرير الـ Biological Abstracts المؤلفين لأهمية العناوين بعرض بعض نماذج غير مناسبة والتي لا يمكن استرجاعها في نظم تكشيف الكلمات. ومن التوصيات العامة التي يمكن للمؤلفين الالتزام بها لضمان الدلالة الموضوعية للعناوين ما يلي:

أ . اعتبار العنوان مستخلصاً يتكون من جملة واحدة.

ب . استعمال المصطلحات المخصصة.

جـ . توفير السياق الكافي لتوضيح ما بين المصطلحات من علاقات.

د . المحافظة على التوازن بين الايجاز والدقة الوصفية.

هـ . استعمال الكلمات بدلاً من الرموز التي قد لا يكون من الممكن التعبير عنها في لوحات المفاتيح المعيارية وأجهزة مدخلات الحاسب الالكتروني(٧)

وعلى الرغم من كثرة هذه التوصيات والتعليمات فإن أيا منها لا يستند إلى دليل احصائي يربط بين عدد كلمات العنوان أو عدد الكلمات المفتاحية الواردة في العنوان من جهة والدلالة الموضوعية للعنوان من جهة أخرى(١٠) وقد حاولت مجموعة

متميزة من الدراسات تتبع التطورات التي طرأت على عناوين المقالات وخاصة بعد انتشار كشاف الكلمات المفتاحية في السياق. وقد انتهت إحدى هذه الدراسات التي تتبعت عناوين المقالات والبحوث المتخصصة في الكيمياء من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٨، إلى أن الدلالة الموضوعية للعناوين في تزايد واضح[١٠] كذلك انتهت دراسة لعناوين المقالات المنشورة في إحدى عشرة دورية انجليزية واثنتين فرنسيتين ودوريتين ألمانيتين، إلى أن عناوين المقالات المتخصصة في الكيمياء والمقالات المتخصصة في علم النبات تحتل المرتبة الأولى من حيث دلالتها الموضوعية، تليها عناوين مقالات الفيزياء والطب والتاريخ والعلوم الاجتماعية، بينما جاءت عناوين مقالات الفلسفة في ذيل القائمة. كما تبين من هذه الدراسة أيضاً أن الدلالة الموضوعية للعناوين الفرنسية والألمانية عند ترجمتها إلى الانجليزية كانت مساوية تقريباً للدلالة الموضوعية للعناوين الانجليزية المتخصصة في نفس الموضوع. ولعل أهم ما انتهت إليه هذه الدراسة أن معظم المجالات قد شهدت تزايداً ملحوظاً في عدد ما تشتمل عليه العناوين من كلمات أساسية فيما بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٧٣[١٤]. وقد كشف تحليل احصائي للكلمات الواردة في ألف مقالة نشرت في مجلة Nature وهي مجلة شاملة في العلوم، ومجلة Journal of Clinical Endocrinology and Metabolism ومجلة Analytical Chemistry والقسم التحليلي من الـ Chemical Abstracts وذلك خلال عقدين (١٩٥٤ ـ ١٩٧٤) كشف عن أن طول عناوين المقالات وبالتالي دلالتها الموضوعية في تزايد. ويعزو الباحثان هذا التزايد إلى عاملين مرتبطين ببعضهما البعض وهما:

أ . اتجاه المؤلفين للعناوين الطويلة في المجالات الساخنة التي تشهد جهود بحث مكثفة وذلك لضمان التمييز بين الأعداد الضخمة من المقالات التي يتم نشرها.

ب . تزايد الوعي بأهمية عنوان البحث في التعريف بمحتواه نتيجة لانتشار كشافات العنوان وغيرها من أدوات الاحاطة الجارية[١٥].

وهكذا يتضح لنا من هذا العرض مدى الحرص على جعل العناوين قادرة على وصف المحتوى الموضوعي للوثائق، وأيا كانت دوافع هذا الحرص فإن نتائجه تؤكدها الدراسات الاحصائية التتبعية. وربما كان السياق مناسباً هنا لدعوة الباحثين لدراسة خصائص عناوين المقالات والبحوث العربية وذلك في السياقين الزمني والموضوعي.

٥ . المشكلات اللغوية:

من النتائج التي انتهت إليها إحدى الدراسات التي سبقت الاشارة إليها[١٤] أنه على الرغم من أن العنوان قد يشتمل على عدد كبير من الكلمات أو على قدر كاف من المعلومات التي تدل على المحتوى الموضوعي، فإن هذه المعلومات قد لا تكون في الشكل المناسب للتكشيف والاسترجاع. وتتصل هذه النتيجة بنوعية الكلمات أو المفردات وبنية المصطلحات الواردة في العنوان. وكما نعلم فإن كلمات العناوين لا تخضع لأي شكل من أشكال التحكم أو التقنين لإعداد كشاف الكلمات المفتاحية في السياق. ومن ثم فإن هذا الكشاف يعاني من مظاهر الغموض الذي يكتنف اللغة الطبيعية. وأول مظاهر الغموض هذه ما يعرف بالجناس أو المشترك اللفظي homography أي تعدد معاني الكلمات المشتركة في الرسم أو الاملاء والنطق. وعلى الرغم من أن تعدد معاني الكلمات هنا عادة ما يكسب اللغة المرونة والثراء في التعبير فإنه يعتبر في نفس الوقت مشكلة بالنسبة لبعض عمليات التجهيز الالكتروني للنصوص، وخاصة عمليات المضاهاة وإحصاء المفردات والترجمة[١]. ومن الممكن لتجاهل علامات الشكل في النصوص العربية أن يؤدي إلى زيادة هذه الظاهرة، حيث ينتج عن اهمال هذه العلامات ما يمكن تسميته بالمشترك اللفظي[٣] وخاصة في المعالجة الالكترونية؛ فالنص العربي كما نعلم لكي يقرأ قراءة سليمة ينبغي أن يفهم أولاً. والحاسب الالكتروني كما هو معروف لا يفهم بسهولة وا قراءة هي الأساس عنده في الادراك. ولحسن الحظ، فإن كشاف الكلمات المفتاحية في السياق يتمتع بميزة تحد من تأثير الغموض الناتج عن المشترك اللفظي، حيث ترد الكلمات في هذا الكشاف مصحوبة بالسياق النصي الذي يساعد في تحديد معناها. فكلمة «البحث» الواردة في السطرين العاشر والثاني عشر في النموذج التوضيحي تختلف في معناها عن كلمة

البحث والاسترجاع الببليوجرافي في العلــــوم	الاجتماعية وبعض قضايا الضبط الببليوجرافي المرتبطة
أدوات البحث و	الاسترجاع الببليوجرافي في العلوم الاجتماعية : وبعض
كشافات الاستشهاد المرجعي وامكاناتهــــا	الاسترجاعية
كشافــا ت	الاستشهاد المرجعي وامكاناتها الاسترجاعية
تحليل	الاستشهادات المرجعية وتطور القياسات الوراقيــــة
امكانيات استخدام الحاســـــب	الالكتروني في الخدمات الببليوجرافيــة
في المركز القومي للتوثيق - استخدام الحاســـب	الالكتروني في مراكز التوثيق العلمية والتجربة التونسية
مشاكل تطبيقـات الحاسبـــــات	الالكترونية في المكتبات ومراكز المعلومات في الأقطار
الضـــبط	الببليوجرافي للدوريات المصرية
دراسات كرانفيلد وتطـور منــــــــاهج	البحث في علم المعلومات
أ د و ات	البحث والاسترجاع الببليوجرافي في العلوم الاجتماعية
أجهزة المعلومات : نشأتها ودورهــــا في	البحث والتنميــة
المواد السمعيـــــــــــة و	البصرية في المكتبات وعلاقتها بالمكتبات العربيــة
أدوات البحث و الاسترجاع	الببليو جرافي في العلوم الاجتماعية وبعض قضايا الضبط
الالكتروني في الخدمات	الببليوجرافية - امكانيات استخدام الحاســـــب
التجربة المغربية لمكننـة المعطيـــات	الببليوجرافيه
الوراقية	تحليل الاستشهادات المرجعيه وتطور القياســـــات
كتـــب	التراجم المصرية
نحـــو	تصنيف كتب القانون في المكتبات العربية
البحث و	التنميه - أجهزة المعلومات : نشأتها ودورها فــــي
نظم المعلومات ودورها في تحقيـــق	التنمية
استخدام الحاسب الالكتروني في مراكـز	التوثيق العلميه والتجربه التونسيه في المركز القومي
الالكتروني في مراكز التوثيق العلمية والتجربـــة	التونسية في المركز القومي للتوثيق الفلاحي
التونسيـــة استخـدا م	الحاسب الالكتروني في مراكز التوثيق العلمية والتجربــة
امكانيات استخـدا م	الحاسب الالكتروني في الخدمات الببليوجرافيـــة
والثقافة والعلوم في استخدام	الحاسب الالكتروني في المكتبات ومراكز المعلومـــات
مشاكل تطبيقـــات	الحاسبات الالكترونية في المكتبات ومراكز المعلومات
امكانيات استخدام الحاسب الالكتروني في	الخدمات الببليوجرافيه
الضبط الببليوجرافي ل	الدوريات المصرية
العربية المواد	السمعيه والبصريه في المكتبات وعلاقتها بالمكتبات
	الضبط الببليوجرافي للدوريات المصرية
في العلوم الاجتماعية وبعض قضايا	الضبط الببليوجرافي المرتبطه بها في الوطن العربــي
في المكتبات ومراكز المعلومات في الوطن	العربي - دور المنظمة العربية للتربية والثقافـــة
الضبط الببليوجرافي المرتبطة بها في الوطن	العربي - أدوات البحث والاسترجاع الببليوجرافـــي
العلوم الاجتماعية بالمنطقة	العربيه بيئة المعلومات ومؤســـــسات
وعلاقتها بالمكتبات	العربيه - المواد السمعيه والبصرية في المكتبـــات
بيئة المعلومات ومؤسسات	العلوم الاجتماعيه بالمنطقه العربيه
البحث والاسترجاع الببليوجرافي فــــي	العلوم الاجتماعية وبعض قضايا الضبط الببليوجرافي
التونسية في المركز القومي للتوثيـــق	الفلاحي - استخدام الحاسب الالكتروني في مراكز التوثيق
نحو تصنيف كتـــب	القانون في المكتبات العربية
تحليل الاستشهادات المرجعية وتطور	القياسات الوراقية
	كتب التراجم المصرية
نحو تصنيف	كتب القانون في المكتبات العربية
دراســات	كرانفيلد وتطور مناهج البحث في علم المعلومات
	كشافات الاستشهاد المرجعي وامكاناتها الاسترجاعية
استخدام الحاسب الالكتروني في	مراكز التوثيق العلميه والتجربه التونسيه في المركز
استخدام الحاسب الالكتروني في المكتبات و	مراكز المعلومات في الوطن العربي - دور المنظمة
تطبيقات الحاسبات الالكترونية في المكتبـات و	مراكز المعلومات في الأقطار العربية - مشاكـــل
كشافات الاستشهــاد	المرجعي وامكاناتها الاسترجاعية
تحليل الاستشهــادات	المرجعيه وتطور القياسات الوراقيه
التوثيق العلمية والتجربة التونسيـــــة في	المركز القومي للتوثيق الفلاحي - استخدام الحاسب
الضبط الببليوجرافي للدوريات	المصريــة
التجربه المغربية لمكننــــة	المعطيات الببليوجرافيه
اجهــزة	المعلومات : نشأتها ودورها في البحث والتنميـــة
دراسات كرانفيلد وتطور مناهج البحث في علم	المعلومات
نظــم	المعلومات ودورها في تحقيق التنمية
العربية بيئــة	المعلومات ومؤسسات العلوم الاجتماعيه بالمنطقـــة
التجربه	المغربية لمكننه المعطيات الببليوجرافيه
كتب التراجم	المصريه
المواد السمعيه والبصريه فــي	المكتبات وعلاقتها بالمكتبات العربيـــة
مكننه عمليـــات	المكتبات : المتطلبات التجهيزية
مشاكل تطبيقات الحاسبات الالكترونيه في	المكتبات ومراكز المعلومات في الأقطـــار
العلوم في استخدام الحاسب الالكتروني فــي	المكتبات ومراكز المعلومات في الوطـــن
التجربه المغربيــــــــة لـــــ	مكننة المعطيات الببليوجرافيـــــة
دراسات كرانفيلد وتطــور	مناهج البحث في علم المعلومات
الالكتروني في المكتبات ومراكـــز - دور	المنظمة العربيه للتربيه والثقافه والعلوم
التجهيزية	مكننه عمليات المكتبات : المتطلبـــات
	نظم المعلومات ودورها في تحقيق التنميه
تحليل الاستشهادات المرجعية وتطور القياســا ت	الوراقيه

نموذج توضيحي لكشاف الكلمات المفتاحية في السياق

«البحث» الواردة في السطر الحادي عشر؛ فالأولى تعنى الدراسة المنهجية لظاهرة معينة research والثانية التنقيب عن شيء ما search. وعلى الرغم من أن السياق قد ساعد هنا على تحديد المعنى فإنه لم يحل دون قطع التسلسل الهجائي للمداخل المتصلة بنفس الموضوع؛ فعنوان الوثيقة التي تتناول البحث عن الانتاج الفكري (السطر الحادي عشر) قد قطع تسلسل عناوين الوثائق التي تتناول البحث العلمي. وهذه ظاهرة تتجلى بشكل أوضح في الظروف التطبيقية الواقعية حيث يكون عدد العناوين والكلمات المفتاحية أكثر بكثير مما هو عليه في هذا النموذج التوضيحي.

والترادف بكل فئاته ودرجاته مصدر آخر من مصادر الغموض في اللغة الطبيعية وخاصة في نظم المعالجة الالكترونية. واحتمالات التعبير عن نفس الفكرة أو نفس الموضوع بأكثر من بديل أي بأكثر من شكل واحد للتعبير أو بأكثر من كلمة واحدة أحد الأسباب الأساسية لما يكتنف كشاف الكلمات المفتاحية في السياق من قصور، حيث يؤدي تعدد أشكال التعبير إلى التشتت الهجائي لمداخل الموضوع الواحد وربما في قطاعات هجائية متباعدة. فأجهزة أو مرافق المعلومات ـ على سبيل المثال ـ قد تم التعبير عنها في النموذج التوضيحي بخمسة أشكال، وهي «أجهزة المعلومات» في السطر الثاني عشر، و «مراكز التوثيق» في السطر الرابع والعشرين من أسفل الصفحة، و «مراكز المعلومات» في السطرين الثاني والعشرين والثالث والعشرين من أسفل الصفحة، و «المكتبات» في الأسطر من السابع إلى العاشر من أسفل الصفحة، و «نظم المعلومات» في السطر قبل الأخير. والترادف ليس تاماً بين كل هذه البدائل، ولكنها على الأقل تعبر عن موضوعات متصلة ببعضها البعض بشكل ما. هذا بالاضافة إلى أننا نلاحظ أيضاً أن المداخل التي كان من الممكن أن ترد مجمعة تحت المصطلح «وراقي» أو «ببليوجرافي» حسبما يفضل واضع لغة التكشيف قد وردت مشتتة في أكثر من قطاع هجائي واحد. كما أننا نجد أيضاً أن المصطلح «فلاحي» الذي ورد في السطر التاسع والثلاثين ليس بالمصطلح الوحيد ولا بالمصطلح المفضل في جميع الأحيان للدلالة على موضوعه، وكان من الممكن لو توسعنا في عينة النموذج التوضيحي أن نصادف له مرادفاً آخر على الأقل.

وفضلاً عن المشترك اللفظي والترادف هناك مصدر آخر للغموض في اللغة الطبيعية وهو تعدد أشكال كتابة الكلمة الواحدة. وهذه المشكلة أوضح ما تكون في اللغة الانجليزية حيث يختلف الهجاء الأمريكي المبسط عن الهجاء البريطاني المتوارث في كثير من الكلمات. أما الكلمة العربية الأصيلة فلا اختلاف في طريقة هجائها طالما لم تختلف بنيتها النحوية أو حالتها الاعرابية(*) وذلك على عكس ما نلحظه في الكلمات المعربة أو الكلمات الأعجمية. ومثالنا على ذلك في النموذج التوضيحي المقابل الأعجمي لكلمة «وراقة» العربية الأصيلة؛ فقد ورد هذا المقابل في هذا العدد المحدود من العناوين بشكلين: «ببليوجرافي» في السطر التاسع، و «ببليوغرافي» في الأسطر من الرابع عشر حتى السادس عشر. ونلاحظ هنا كيف أدى الاختلاف في طريقة الهجاء إلى تباعد الشكلين في الترتيب الهجائي. ويعلم القارىء أن احتمالات الاختلاف في هجاء هذا اللفظ تتجاوز هذين الشكلين بكثير. ومن أمثلة هذا النوع من الألفاظ الأعجمية أيضاً كلمة «مكننة» في السطر السادس من أسفل الصفحة وشكلها البديل «ميكنة» في السطر الثالث من أسفل الصفحة. ومن أمثلة الاختلاف في الشكل الناتج عن اختلاف البنية النحوية للكلمة العربية في النموذج التوضيحي الاختلاف بين المفرد والجمع كما هو الحال في «مركز» و «مراكز» وقد أدت زيادة ألف المد في وسط الكلمة (الحشو) إلى تباعد الشكلين في الترتيب الهجائي إلى حد ما. أما الاختلافات الناتجة عن إضافة كواسع كما هو الحال في «استرجاع» و «استرجاعية» في السطرين الثاني والثالث على التوالي، و «استشهاد» و «استشهادات» في السطرين الرابع والخامس على التوالي، فلم تؤد إلى تباعد في الترتيب الهجائي. وكذلك الحال بالنسبة لكلمة «الحاسب» وكلمة «الحاسبات» .. إلخ.

ومن المشكلات اللغوية الخاصة بكشاف الكلمات المفتاحية في السياق أيضاً المصطلحات المركبة أي المصطلحات المكونة من أكثر من كلمة واحدة، وغالباً ما يكون هذا التركيب من

(*) يستثنى من ذلك رسم المصحف الشريف.

الموصوف والصفة، والمضاف والمضاف إليه، كما هو الحال في «الحاسب الالكتروني» و «مراكز المعلومات». كذلك تمثل أسماء الهيئات إحدى المشكلات بالنسبة لكشاف الكلمة المفتاحية في السياق. ومثالنا في النموذج التوضيحي «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم» في السطر الرابع أسفل الصفحة. فمعاملة كل كلمة في هذا الاسم ككلمة مفتاحية يؤدي إلى تفتيت الاسم. وسوف نرى فيما بعد كيف يمكن التغلب على هذه المشكلة.

وكما نلاحظ فإن هذه المشكلات اللغوية لا تقتصر على اللغة العربية وإنما هي ظواهر مشتركة في معظم اللغات على الأقل. وربما كانت المشكلة الأساسية في اللغة العربية ولا نجد لها نظيراً في اللغة الانجليزية هي تلك المشكلة الناتجة عن طريقة الكتابة والمتمثلة في ربط أداة التعريف بالاسم، وكذلك ربط حرفي الجر «اللام» و «الباء» بالأسماء في بعض الأحيان. وهذه ليست بالمشكلة التي تستعصى على الحل، حيث يمكن لبرنامج الحاسب الالكتروني أن يسقط مثل هذه الأدوات والحروف في التجهيز ويسجلها في شكلها الطبيعي في الكشاف الناتج حتى لا يؤدي فصلها عن الأسماء إلى صعوبة القراءة.

٦ . المـزايا والعيــوب :

ربما كان في انتشار كشاف الكلمات المفتاحية في السياق ما يدل على تقبله من جانب ناشري الكشافات والمستفيدين منها على السواء. وتتوقف فعالية الافادة من هذا النوع من الكشافات على إدراك مظاهر قوته ونقاط ضعفه. وهو عادة ما يوصف بالسرعة والامتلاء بالشوائب في نفس الوقت. وقد قوبل هذا الكشاف من جانب بعض المستفيدين من الباحثين بحماس مبالغ فيه أحياناً؛ فقد اعتبره البعض تقدماً يضاهي في أهميته الميكروسكوب الالكتروني في علم الحياة[١٦]. ومن الممكن تلخيص ما يتمتع به كشاف الكلمات المفتاحية في السياق من مزايا فيما يلي:

أ . **السرعة**: طالما توافرت برامج الحاسب الالكتروني اللازمة واستقرت قائمة الاستبعاد أو قائمة الاعتبار، فإن اعداد هذا الكشاف لا يتطلب أكثر من مجرد تحويل البيانات الوراقية الخاصة بالوثائق إلى شكل قابل للقراءة بواسطة الحاسب الالكتروني، أى أن الأمر لا يستلزم تدخل العنصر البشري في عمليات التجهيز أو التحرير أو المراجعة. وبذلك يمكن الحصول على الكشاف في شكله النهائي بسرعة لا يكفلها أى نظام آخر للتكشيف.

ب . **الاقتصاد**: يعتمد كشاف الكلمات المفتاحية في السياق أساساً على عمليات التجهيز الالكتروني، والتجهيز الالكتروني كما هو معروف الآن أقل تكلفة من التجهيز البشري المعتمد على المكشفين المؤهلين علمياً ومهنياً. ومن ثم فإن هذا الكشاف يعتبر أقل الكشافات تكلفة على الاطلاق.

جـ . **تجنب الفجوة المعجمية**: فلا فاصل هناك بين الكلمات والمصطلحات التي يستعملها المؤلفون في وصف المحتوى الموضوعي للوثائق في صياغة العناوين والمداخل الكشفية المعتمدة على مفردات هذه العناوين. ويضمن ذلك بالطبع استعمال أحدث مصطلحات المجال كمداخل كشفية.

د . **توفير أكثر من مدخل كشفي واحد للوثيقة**: فكل كلمة في العنوان مؤهلة لأن تكون مدخلاً كشفياً طالما أنها لم ترد في قائمة الاستبعاد. وقد تبين من أحد التحليلات الاحصائية أن متوسط عدد المداخل الكشفية للعنوان في مجال الكيمياء يتراوح ما بين ٥,١ و ٦,٤ مدخلاً[٩]. كما تبين أن متوسط عدد المداخل الكشفية للعنوان العربي في مجال علم اللغة ٣,٥ مدخلاً[٣]. أما في النموذج التوضيحي فإن متوسط عدد مداخل العنوان الواحد يبلغ حوالى ٤,١ مدخلاً. وتتأثر نوعية هذه المداخل بثلاثة عوامل؛ أولها مدى مراعاة الدقة في صياغة العناوين، وثانيها مدى تأثر الكلمات بعوامل الغموض اللغوي. أما السبب الثالث فهو مدى إحكام مصفاة قائمة الاستبعاد وقدرتها على حجب الكلمات التي لا تصلح كمداخل كشفية وتتسبب في الشوائب التي سبقت الاشارة إليها في مستهل هذا القسم.

وفي مقابل هذه المزايا تكتنف كشاف الكلمات المفتاحية في السياق بعض العيوب التي يمكن ايجازها فيما يلي:

أ . **التأثر بمدى صلاحية العناوين :** فبقدر حرص المؤلفين في اختيار كلمات العنوان تكون كفاءة الكشاف الناتج . وقد سبق أن رأينا كيف يختلف مدى الدلالة الموضوعية للعنوان من مجال إلى آخر .

ب . **تشتت مداخل الموضوع الواحد :** يؤدي عدم التحكم في المصطلحات إلى تشتت الوثائق المتصلة بموضوع معين تحت الأشكال المختلفة للتعبير عن هذا الموضوع . ويؤدي هذا التشتت إلى صعوبة البحث في الكشاف حيث يتعين على المستفيد إعداد قائمة بالأشكال المختلفة للتعبير عن الموضوع الذي يبحث عن وثائقه . وإذا ما فاته أحد هذه الأشكال فإنه قد يفقد بعض الوثائق المناسبة . ويرى البعض أنه من الممكن لكلمات السياق أن توحي للمستفيد بالمداخل الأخرى التي يمكنه البحث تحتها[1].

جـ . **ضياع جزء من السياق :** يؤدي تحديد طول سطر الكشاف بعدد معين من الأحرف إلى بتر بعض الكلمات . ويمكن أن ينتج عن بتر كلمة ما كلمة أخرى مختلفة في معناها عن الكلمة الأصلية تؤدي إلى تغيير السياق برمته . هذا بالاضافة إلى أن بتر أجزاء من العناوين الطويلة يمكن أن يؤدي إلى فقد جزء من السياق .

د . **تبديد حيز الطباعة :** فكما نلاحظ في النموذج التوضيحي هناك فراغات كثيرة إلى يمين الكلمة المفتاحية وعن يسارها في بعض الأحيان . وفضلاً عن العمل على تبديد حيز الطباعة يمكن للفراغات الفاصلة بين نهاية السطر والترميزات أن تؤدي إلى اختلاط الأمر على المستفيد حيث لا يستطيع تحديد الترميز المقابل لكل عنوان بسهولة . وضخامة حجم الناتج من المشكلات التي تكتنف الكلمات المفتاحية في السياق . ومرد هذه الضخامة كما هو معروف إلى كثرة عدد المداخل وتكرار العنوان مع كل مدخل .

٧ . التعـديلات :

لتلافي بعض أوجه القصور في كشاف الكلمات المفتاحية في السياق ، وتهيئة هذا الكشاف لأن يكون أداة للاسترجاع الموضوعي لا مجرد شكل من أشكال خدمات الاحاطة الجارية ، رأى البعض إدخال بعض التعديلات واستخدام بعض البدائل التي تختلف في شكلها عن الشكل التقليدي لهذا الكشاف . وتتفاوت هذه التعديلات في شكلها ومدى فعاليتها ومدى تأثيرها في الأساس الذي بني عليه كشاف الكلمات المفتاحية في السياق . وهناك انقسام في الرأي حول معظم التعديلات حيث يرى فيها البعض تغييراً جوهرياً يخرج هذا الكشاف عن طبيعته البسيطة . ونعرض فيما يلي بايجاز لأهم التعديلات والأشكال البديلة :

أ . **كشاف الكلمات المفتاحية خارج السياق :** يرى البعض أنه لا مبرر على الاطلاق لوضع الكلمة المفتاحية في وسط السطر ، حيث يؤدي ذلك في معظم الأحيان لقطع التسلسل الأصلي لكلمات العنوان . ولضمان المحافظة على هذا التسلسل ترد الكلمات المفتاحية في مكانها الهجائي في بداية السطر متبوعة بالعناوين . ويسمى هذا الشكل بكشاف الكلمات المفتاحية خارج السياق (Keyword out - of - context (KWOC ، ولا يؤثر على الاطلاق في الأساس الذي بني عليه كشاف التباديل المعتمد على كلمات العنوان .

ب . **كشاف الكلمات المفتاحية المضافة إلى السياق :** لتلافي القصور الناتج عن افتقار العنوان للكلمات المناسبة لوصف المحتوى الموضوعي للوثيقة رأى البعض إضافة بعض المصطلحات التي تدعم القدرة الدلالية للعنوان . ويسمى الشكل الناتج بكشاف الكلمات المفتاحية المضافة إلى السياق Keyword augmented to Context (KWOC) وكما هو واضح فإن هذا الشكل يؤدي للابتعاد عن الفكرة الأصلية لتكشيف الكلمات المفتاحية في السياق حيث يتطلب إضافة كلمات لم ترد أصلاً في العنوان ، وإضافة مثل هذه الكلمات ليست بالاجراء الروتيني الذي يمكن لأي فرد القيام به وإنما تحتاج لخبرة المكشفين المؤهلين تأهيلاً مناسباً والذين يقومون بمراجعة العناوين والحكم على مدى دلالتها على المضمون وذلك على ضوء معرفتهم بهذا المضمون . أي أننا دخلنا في اطار عمليات التكشيف البشري . ويرى مؤيدو

هذا الشكل أنه ليس هناك في قواعد التكشيف الآلي ما يحول دون إضافة المصطلحات أيا كان مصدرها[١٧].

ج . **الربط** : رأينا كيف يمثل تكشيف المصطلحات المركبة وأسماء الهيئات المكونة من أكثر من جزء مشكلة في كشاف الكلمات المفتاحية في السياق حيث يعامل كل عنصر في المصطلح وكل جزء في اسم الهيئة باعتباره كلمة مفتاحية مما يؤدي إلى كثرة المداخل بلا داع . وللتغلب على هذه المشكلة اقترح البعض[١٨] ربط كلمات المصطلح الواحد بحيث تبدو للحاسب الالكتروني كلمة واحدة stringing . وهناك بعض السبل التي يمكن اتباعها لتحقيق هذا الربط في مرحلة التجهيز وطبع كل كلمة على حدة في المخرجات .

د . **إضفاء اللمسة التصنيفية** : تشتت المداخل المتصلة بنفس الموضوع من أبرز مظاهر القصور في كشاف الكلمات المفتاحية في السياق كما رأينا . وللتغلب على هذه المشكلة اقترح البعض استعمال إحالة «أنظر» وإحالة «أنظر أيضاً»[١٧] كما اقترح البعض تصنيف الكلمات المفتاحية[١٩] . وكما هو واضح فإن مثل هذه الاجراءات تحتاج إلى جهود المكشفين وبذلك تخرج الكشاف عن طبيعته البسيطة ، كما يمكن أن تؤدي إلى إضافة عناصر تضاعف من صعوبة طباعته وإخراجه والافادة منه .

هـ . **استخدام المكنز في البحث** : كما هو الحال في جميع نظم الاسترجاع المعتمدة على اللغة الطبيعية فإن المستفيد قد يحتاج إلى أداة تساعده في التعرف على مداخل البحث عما يحتاج إليه من وثائق . وعلى الرغم من عدم استخدام هذه النظم للمكنز في مرحلة المدخلات فإنه قد يكون أداة لا غنى عنها في مرحلة المخرجات[٦] . وعلى ذلك يرى البعض أنه من الممكن لوجود قائمة بالمصطلحات أو مكنز في متناول المستفيدين أن يساعد في التعرف على مداخل البحث المحتملة ومن ثم الارتفاع بمستوى كفاءة كشاف الكلمات المفتاحية في السياق .

٨ . الخلاصـــة :

نرجو أن يكون هذا العرض قد أسهم في تقديم صورة واضحة لكشاف الكلمات المفتاحية في السياق ، تلقى ضوءاً كاشفاً على طبيعته ومشكلاته التطبيقية . وما نود تأكيده هنا أنه على عكس ما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، ليس هناك في طبيعة اللغة العربية والخصائص البنائية والدلالية لمفرداتها ما يحول دون استخدام هذا الكشاف بكفاءة لا تقل بحال عما هو عليه في اللغة الألمانية التي احتضنته في مهده واللغة الانجليزية التي ترعرع في كنفها . ولم يعد هناك من المشكلات التكنولوجية ما يحول دون استخدام الحاسب الالكتروني في تطبيق هذا النظام لتكشيف الانتاج الفكري العربي . كما تدعو بعض الظروف المهنية والفنية السائدة في العالم العربي والمتمثلة في ندرة المكشفين المؤهلين وغياب لغات التكشيف المناسبة ، للاهتمام بهذا الأسلوب لا لأغراض الاحاطة الجارية فحسب وإنما لتوفير مقومات الاسترجاع الموضوعي والبحث الراجع للانتاج الفكري أيضاً .

المراجـــع

1. Doyle, Lauren B. (1975) Information retrieval and processing. Los Angeles, Calif., Melville.

٢ ـ تمام حسان (١٩٧٣) اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

3. Kasem, Hishmat M.A. (1978) Arabic in specialist information systems: a study in linguistic aspects of information transfer. PH.D. Thesis, University of London.

4. Schultz, Claire K. (1968) H.P. Luhn; pioneer in information science: selected works. New York, Spartan Books.

5. Luhn, H. Peter (1960) Keyword - in - context index for technical literature (KWIC Index). Amercian Documentation, Vol. 9, No. 4, PP. 288 - 295.

6. Borko, Harold and Charles L. Bernier (1978) Indexing Concepts and methods. New York, Academic Press.

7. Firsher, Marguerite (1966) The KWIC index concept: a retrospective view. American Documentation, Vol. 17, No. 2, PP. 75 - 70.

8. Stevens, Mary (1965) Automatic indexing: a state of the art report. Washington, D.C., Government Printing Office. (National Bureau of Standards Monograph 91).

9. Vickery, B.C. (1971) Techniques of information retrieval. London, Butterworths.

10. Tocatlian, Jacqyes J. (1970) Are Titles of chemical papers becoming more informative? JASIS, Vol. 21, No. 4, PP. 345 - 350.

11. Bernier, Charles L. and E.J. Crame (1962) Correlative indexes VIII: subject - indexing VS. word - indexing.

Journal of Chemical Documentation, Vol. 2, No. 2, PP. 117 - 122.

12. Montgomery, C. and D.R. Swanson (1962) Machine - like indexing by people. American Documentation, Vol. 13, No. 4, PP. 359 - 365.

13. Lane, B.B. (1964) Keywords in - and out of - context. Special Libraries, Vol. 55, No. 1, PP. 45 - 46.

14. Buxton, A.B. and A.J. Meadows (1977) The variation in the information content of titles of research papers with time and discipline. J. Doc., Vol. 33, No. 1, PP. 46 - 52.

15. Bird, P.R. and M.A. Knight (1975) Word count statistics of the title of scientific papers. The Information Scientist, Vol. 9, No. 2, PP. 67 - 69.

16. Leuis, R.F. (1964) KWIC ... Is it quick ? Bulletin of the Medical Library Asrociation, Vol. 52, PP. 142 - 147.

17. Kennedy, R.A. (1962) Library applications of permulation indexing. Journal of Chemical Documentation Vol. 2, No. 3, PP. 181 - 185.

18. Matthews, F.W. and A.D. Shillingford (1973) Variations on KWIC. Aslib Proceddings, Vol. 25, No. 4, PP. 140 - 152.

19. Campbell, D.J. (1963) Making your own indexing system in science and technology: classification and keyword system. Aslib Proceedings, Vol. 15, No. 10, PP. 282 - 303.

شبكات المكتبات وتطور خدمات ونظم المعلومات فـــى العالـــم

هشام عبد الله عباس

عميد شؤون المكتبات

ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة

مقـــدمة:

تحتل الدراسات المتعلقة بالشبكات مكانا متميزا في الانتاج الفكري للمكتبات منذ منتصف الستينات وإن كانت الخدمات التي تعكس مفهوم التعاون بين المكتبات في مجال الاعارة أو تبادل المصادر والمعلومات والفهرسة المركزية قائمة منذ أكثر من مائة سنة (١، ٢، ٣).

وتعريف الشبكات وإن دل بوجه عام على مجموعة من النقاط المترابطة فيما بينها فانه يختلف تبعا لنوع الخدمات والأنشطة التي تقدمها الشبكة فمنها ما يدل على البنية التنظيمية لعناصر وظيفية مرتبطة ببعضها البعض على أساس موضوعي مثل مركز معلومات المصادر التربوية ايريك ERIC وعلى أساس جغرافي مثل نظام الاسترجاع الآلي للانتاج الفكري الطبي ـ مدلرز MEDLARS ومنها ما يدل على شبكات أو نظم الاتصال بالحاسبات الالكترونية ومنها ما يهم ببناء ترتيبات تعاونية كالاعارة المتبادلة والمشاركة في المصادر والخدمات، وهذا النوع الأخير هو الذي يهمنا في هذا البحث.

دوافع الاهتمام المعاصر بالشبكات:

تزايد الاهتمام بشبكات المعلومات على كافة المستويات القومية والاقليمية والدولية وذلك لأهميتها الكبرى في حل كثير من المشاكل المتعلقة بمصادر المعلومات وخدماتها. ويمكن ارجاع ذلك الاهتمام الكبير بشبكات المعلومات إلى عدة عوامل من أهمها:

١ ـ **المساواة في الحصول على المعلومات** حيث يعتبر الحصول على المعلومات حقاً من حقوق الفرد وتوفيرها مسؤولية وطنية لاشباع اهتمامات واحتياجات الأفراد التربوية والثقافية والاجتماعية وسد أوقات فراغهم بغض النظر عن ظروف الفرد الاجتماعية والصحية أو بعده، وقربه من المكتبة أو حتى مستواه التعليمي والثقافي.

٢ ـ **أثرت الظروف الاقتصادية الحالية على مستوى الدعم الحكومي للمكتبات** حيث أدى ارتفاع الأسعار إلى انخفاض الدعم المادي الحكومي لخدمات المكتبات، لذا فقد أصبح من المستحيل بناء مجموعات مكتبية ضخمة وتقديم خدمات مكثفة ومتنوعة للرواد.

٣ ـ **تشتت مصادر المعلومات وخدماتها** في عدد لا حصر له من الأجهزة والمكتبات ومراكز التوثيق والتي يقف في سبيل الوصول إليها الكثير من المعوقات والصعوبات.

٤ ـ **أدى تطور فكرة الشبكات في العصر الحديث إلى امكانية استفادة المكتبة الواحدة من مصادر المكتبات الأخرى** وذلك بالاشتراك في عضوية الشبكات والتي تضم عدة مكتبات اتفقت فيما بينها لتبادل المعلومات لغرض تعميم الفائدة.

٥ ـ **يعد مؤتمر بتسبرج للمصادر المشتركة والذي عقد في عام ١٩٧٦ بمدينة بتسبرج بالولايات المتحدة نقطة تحول وتطور** حيث تم الأخذ بفكرة اشتراك المكتبات المختلفة في

تبادل المعلومات والمصادر لأنها الطريقة الوحيدة لاستمرار المكتبات في تقديم أفضل الخدمات للرواد.

٦ ـ **الاعتقاد السائد بين أفراد المجتمع بعدم امكانية الاستفادة من مجموعات المكتبات الضخمة الأخرى**، فضلا عن تقويم المستفيد للمكتبة بمدى ما توفره له من معلومات ومصادر مختلفة.

٧ ـ **أدى ظهور التكنولوجيا الحديثة وتطورها إلى ضرورة وجود شبكات المعلومات** التي تستطيع معالجة كميات كبيرة من المعلومات على نحو يتيح للمستفيد استخدامها بسهولة وتعمل على تيسير عملية تبادل المعلومات واختصار الوقت والجهد.

شبكات المكتبات ومستويات التعاون:

حاول بعض الباحثين مناقشة فكرة شبكات المكتبات على أساس أنها اتجاه قديم لتدعيم مصادر المعلومات وخدماتها بين المكتبات. فباربارا ماركسون Barbara Markuson تعتبر شبكات المكتبات «جزءاً من مجال التعاون القائم بين المكتبات» (٤)، كما يرى جوزيف بيكر Joseph Becker «أن الشبكات ما هي إلاّ امتداد للاشكال التقليدية للتعاون المتبادل بين المكتبات» (٥).

كما أوضح بيكر الفرق بين مصطلح التعاون المتبادل (Interlibrary Cooperation) بين المكتبات ومصطلح شبكات المكتبات (Library Net Work) في أن المكتبات عادة ما يتم تنظيمها على أساس أنها وحدات مستقلة وغالبا ما يتم التعاون فيما بينها بدون المساس بشئونها والتزاماتها المحلية بينما تقتضي شبكات المكتبات الاعتماد المتبادل على بعضها البعض أكثر من كونها مؤسسة أو تنظيماً مستقلاً... حيث يضم التنظيم عدداً من الأعضاء اتفقوا فيما بينهم على تبادل المعلومات والاشتراك في اتخاذ القرارات... وهذا من المسئوليات ما يتعدى الاهتمامات المحلية. (٦) وينتهي بيكر إلى تعريف الشبكات على أنها... اشتراك مكتبتين أو أكثر اشتراكا رسميا في عملية تبادل المعلومات بغرض تسهيل تبادل المعلومات على أوسع نطاق بين الأعضاء وتطوير وسائل إيصال المعلومات للقاريء.(٧).

ويذكر فردريك كيلجور Frederick Kilgour ثلاث فوائد ومميزات للتعاون بين المكتبات:

١ ـ امكانية تأسيس أهداف جديدة لمجموعة من المكتبات المتعاونة مغايرة للاهداف التقليدية لكل مكتبة على حدة.

٢ ـ امكانية الاستفادة من مصادر المكتبات الأعضاء بدون مقابل.

٣ ـ امكانية انجاز أعمال وأنشطة ضخمة ومختلفة بأقل جهد وتكلفة وبسرعة فائقة.

ويستطرد كيلجور قائلا لقد أضاف الحاسب الالكتروني أبعاداً جديدة للتعاون بين المكتبات وسهل عملية التعاون المتبادل بينها. (٨).

هذا ويفرق ماركسون بين ثلاثة مستويات من أوجه التعاون بين المكتبات (٩):

١) **التعاون بين المكتبات بشكله العام** (Library Cooperation)

أي نشاط يقوم بين مكتبتين أو أكثر لغرض تسهيل وتعزيز العمليات والأنشطة المكتبية واستخدام المصادر أو خدمة الرواد.

٢) **الاتحاد بين المكتبات**: (Library Consortia)

نوع متخصص من التعاون بين المكتبات يقتصر عادة على منطقة جغرافية محدودة وعلى عدد ونوع معين من المكتبات أو قد يقتصر على الاهتمام بموضوع معين. ويتطلب هذا النوع من التعاون درجة بسيطة من الرسميات الادارية والاجراءات الروتينية. وبصفة عامة فان هذا النوع من البرامج التعاونية يتطلب ميزانية معقولة وعدداً محدوداً من الأعضاء تغلب عليهم صفة الرسمية والاتحادية.

٣) **شبكات المكتبات**: (Library Network)

نوع متخصص من التعاون بين المكتبات لغرض التطوير

المركزي للبرامج والخدمات التعاونية بما فيه استخدام الحاسب الالكتروني والاتصالات عن بعد Tele-communications ويتطلب هذا النوع انشاء مكتب مركزي وذلك لتنفيذ برامج الشبكات إلى جانب عمليات التنسيق. كما تتطلب هذه البرامج ميزانية ملائمة وعقدا رسميا ليكون بين المستفيدين والشبكة نفسها.

ولا يزال عدد كبير من المفكرين يعتقد أن مصطلح شبكة المكتبات يقتصر فقط على استعمال الحاسب الالكتروني وتكنولوجيا الاتصال عن بعد. ومثال ذلك تعريف برت بتلر Brett Butler الذي يحدد أربعة معالم لشبكة المكتبات وكلها تبدأ بحرف الـ « D ».

It is dependent organization and system providing duplex digital distribution

أي أنها مؤسسة غير مستقلة ونظام اتصال ذو اتجاهين لكثير من أنشطة المكتبات وذلك لتوفير مصادر المعلومات وخدماتها لكافة أفراد المجتمع [١٠].

إلا أن فيرن بنكس Vern Pings لا يرى ضرورة استخدام الحاسب الالكتروني في المكتبات لاثباتها شبكة إلا أنها تشبه إلى حد كبير شبكة الحاسب الالكتروني من حيث احتوائها على مؤسسات مستقلة متصلة ببعضها البعض بحلقة اتصال [١١].

وتعرف اللجنة الوطنية للمكتبات والمعلومات بالولايات المتحدة National Commission on Library and Information Sciences (NCLIS) الشبكات:

«أنها اتفاق رسمي يعقد بين مكتبتين أو أكثر بهدف تبادل المصادر والمعلومات وتوفيرها لكل أفراد المجتمع. وقد يتم استخدام الحاسب الالكتروني والاتصال عن بعد كوسائل لتسهيل الخدمات والأنشطة المختلفة لكافة الأفراد والمكتبات الأعضاء» [١٢]

ووفقا لالن كنت Allen Kent فان المصطلحات الثلاثة (شبكة وتعاون واتحاد) تستخدم جميعها لغرض واحد مشترك ألا وهو تحقيق أهداف الاشتراك في تبادل المصادر (Resource Sharing) [١٣]. هذا بالاضافة إلى ما تتضمنه من إيجابيات أخرى مثل:

١ ـ الاعارة أو ما يسمى بـ Reciprocity
٢ ـ اسهام كل الاعضاء في تقديم شيء مفيد للآخرين.
٣ ـ الرغبة الصادقة والقدرة على توفير احتياجات الافراد والمكتبات الاعضاء المشتركة [١٤].

كما تشير فكرة المشاركة في تبادل المصادر إلى اشتراك عدد من المكتبات في نشاطات وعمليات معينة لها تأثير على المستفيدين ورواد المكتبات من حيث توفير أكبر قدر من المصادر أو الخدمات إضافة إلى تأثيرها على ميزانية المكتبة إذ يمكن تقديم خدمات جيدة بأقل تكلفة مما يمكن تقديمه لو حاولت كل مكتبة على حدة [١٥].

ويتضح مما سبق أن مصطلح « شبكة المكتبات » يدل على ابرام عقد رسمي بين مجموعة من المكتبات للقيام بنشاطات وعمليات مختلفة بهدف الاشتراك في تبادل المصادر المختلفة مثل: المجموعات المكتبية المختلفة، الموارد المالية، الاجراءات أو العمليات الفنية، الخدمات المختلفة الأولى، والكوادر البشرية. كما يمكن استخدام الحاسب الالكتروني أو ما يسمى بتكنولوجيا الاتصال كوسيلة للقيام بتلك النشاطات وتعد فكرة شبكات المكتبات وسيلة جيدة وفعالة لاستفادة كافة أعضاء الشبكة من أكبر قدر من مصادر المعلومات وخدماتها بأقل التكاليف.

اشـكال الشـبكات

يرى ألن كنت أنه توجد ثلاثة أنواع من شبكات الاشتراك في تبادل المصادر: الشبكة المركزية (Star) والشبكة الهرمية (Hierarchical) والشبكة المتشعبة (Distributed) [١٦] ويوضح الشكل رقم (١) هيكل كل منها على حدة.

١ ـ الشبكة المركزية:

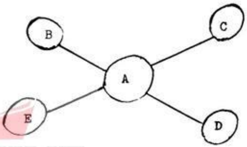
ويعتمد الأعضاء على الجهاز المركزي في تزويدهم بما يحتاجونه من مصادر مختلفة

٢ ـ **الشبكة الهرمية :**

ويتم تأمين احتياجات الأعضاء عن طريق الاتصال بالمركز الأكبر فالأكبر .

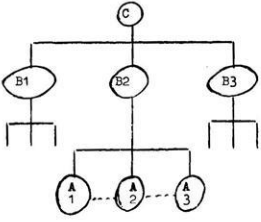
٣ ـ **الشبكة المتشعبة :**

وهي التي يتساوى الأعضاء فيها في كل شيء باستثناء المصادر إذ تختلف من عضو لآخر مع امكانية الاتصال المباشر فيما بينهم[١٧]



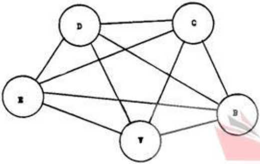
الشبكة المركزية (Star)

وفيها يستأثر عضو واحد (A) بكل المصادر والمستفيد منها هم الأعضاء الآخرون (B—E) .



الشبكة المتدرجة هرمياً (Hierarchical)

ويتم توفير المصادر وتبادلها فيما بين الأعضاء (A1, A2, A3) وفي حالة عدم التمكن من تلبية الطلبات فيتم تحويل الطلبات إلى العضو الأكبر (B2) وفي حالة عدم استطاعة (B2) تلبية الطلبات فيتم تحويلها أيضا إلى المركز الأم في الهرم (C) والذي يقوم بالاتصال بالاعضاء (B1, B3) لتوفير أو تحديد مكان المصادر المطلوبة .



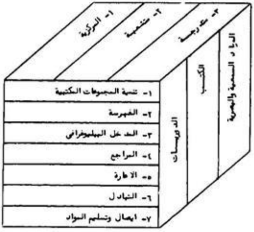
الشبكة المتشعبة (Distributed)

تساوى الأعضاء (A, B, C, D, E) فيما تحتويه مكتباتهم من مصادر مختلفة .

شكل رقم (١) : الهيكل التنظيمي للشبكات

كما حاول كنت تحليل شبكات المصادر المشتركة وفقا لثلاث طرق :

(١) نوع الشبكات (٢) نوع المصادر (٣) النشاطات أو العمليات المختلفة للمكتبات . ويمكن توضيح ذلك في ثلاثة أبعاد كما هو واضح في الشكل رقم (٢)[١٨]

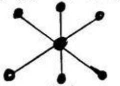


شكل رقم (٢) الأبعاد الثلاثة

بينما ذكر كل من جيمس وليامز James Williams وروجر فلن Roger Flynn أربعة أنواع من الشبكات :

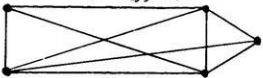
(١) مركزية (٢) لا مركزية (٣) متشعبة مركزيا (٤) هرمية

ويوضح الشكل رقم (٣) هذه الأنواع الاربعة :



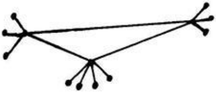
(١)

شبكة مركزيـــــة



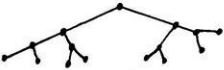
شبكة لا مركزية

(٢)



شبكه متشعبة مركزيـــا

(٣)



(٤)

شبكة هرميـــة

شكل رقم (٣) الهيكل التنظيمي للشبكات

وفي النهاية أكد فلن ووليامز على تداخل الشبكات جميعها بمعنى عدم وجود نوع من الشبكات المشار إليها سابقا[١٩]. كما لاحظنا الصلة الوثيقة بين التكنولوجيا وتنظيم الشبكة حيث تستخدم الشبكات اللامركزية تكنولوجيا الاتصال البسيط بينما تستخدم الشبكات الهرمية أنظمة التلفونات في حين تستخدم الشبكات المركزية تكنولوجيا حديثة ومتقدمة جدا[٢٠].

ويذكر وليامز روز William Rouse وساندرا روز Sandara Rouse أنه توجد أربعة أنواع من الشبكات يمكن استخدامها مع الحاسب الالكتروني والاتصال عن بعد بالمكتبات وهي الشبكة المركزية (Star) والشبكة المتشعبة (Distributed) والشبكة الدائرية (Ring) والشبكة الهرمية (Hierarchical)[٢١]. كما حاولا التعرف على أوجه الاختلاف والشبه بين الشبكات المختلفة وفوائد وعيوب كل منها على حدة وذلك من وجهة نظر إدارية بحتة يمكن اختصارها في التالي :

تعد الشبكة المركزية بأنها مركزية بحتة وتشبه النجمة في شكلها العام. وفيها يقوم المركز بالتحكم والسيطرة على كل النشاطات والخدمات المقدمة؛ لذا فان الشبكة المركزية تبدو أكثر جاذبية وتفضيلا بسبب مركزية الاداء والتنفيذ وهذا

بلا شك يقضي على التكرار ويوحد الأمور. ولا يفضل المستفيدون المركزية بسبب التأخر في معالجة المركز للمعلومات وبطء الاجابة على الطلبات المختلفة.

وعلى العكس من الشبكة المركزية ذات الشكل النجمي فإن المتشعبة تعد شبكة لا مركزية تماما حيث يستطيع الاعضاء الاتصال المباشر ببعضهم البعض. أما بالنسبة للشبكة الدائرية فهي تشبه الشبكة المتشعبة من حيث عدم وجود مركز أو سلطة مركزية إذ يتم اتخاذ القرارات بالاجماع وبمشاركة الجميع.

أما الشبكة الهرمية فتعد مثالا آخر لمركزية اتخاذ القرارات إلاّ أنها لا تشبه التنظيم النجمي حيث توجد عدة مستويات إدارية. فالادارة العليا عادة ما تمارس سلطاتها أو تصدر أوامرها للجهات الدنيا مع ملاحظة انعدام الاتصال المباشر بالجهات أو السلطات الدنيا. ويبدو أن التنظيم الهرمي أكثر ملاءمة لمجتمع كبير يقطن منطقة جغرافية كبيرة. ويمتاز التنظيم الهرمي بالمرونة وتفويض بعض الصلاحيات للمستويات الأخرى.

ويرى جيمس كنيدي James Kennedy أن الشبكات المتشعبة أو الهرمية هي أكثر الشبكات ملاءمة وفعالية لوظائف المكتبات بهدف تحقيق فكرة المصادر المشتركة ولكن ليس من السهل بناؤها كما هو الحال بالنسبة للشبكات النجمية أو المركزية وذلك لعوامل سياسية وعملية معينة[٢٢].

ويرى بعض الباحثين الشبكة بأنها اجزاء مركبة حيث يصف توماس باركر Thomas Parker المصادر المشتركة بأنها شبكة تتفاعل مع خمسة أجزاء. المصادر، الادلة، الاتصالات، والمستفيدين والادارة[٢٣] بينما يرى كل من فيرون بالمور Vernon Palmour ومارشا بلاسيا Marcia Bellassai ونانسي ردورر Nancy Roderer أن الشبكات تحوي ثلاثة أجزاء متناسقة[٢٤].

١ ـ تصميم نظام للمصادر ... لضمان جمع المواد المتاحة وتوفيرها للمستفيدين.
٢ ـ تصميم نظام بيليوغرافي جيد وفعال.
٣ ـ تصميم نظام للاتصال ... وذلك لتسهيل عملية تبادل وايصال المعلومات لكل الاعضاء.

إدارة الشبكات

أما بالنسبة لادارة الشبكات فالهدف منها كما يقول تشارلز ستيفنز Charles Stevens هو توفير نظام يسمح بالتطور المنظم المستمر بطريقة فعالة.. ولا تقتصر الادارة فقط على مجموعة من الأنظمة والوثائق تؤدي في النهاية لتأسيس الشبكة ولا تقتصر أيضا على مجموعة من القرارات المتخذة والأعمال التي يقوم بها الاعضاء أو العاملون بها، بل تحوي أيضا مجموعة من القوانين والتشريعات المكتوبة والخبرات المطورة للتعبير عن مفهوم الشبكة[٢٥].

وحدد ستيفنز ست وظائف لادارة شبكات المكتبات والتي يمكن تلخيصها في التالي[٢٦].

١ ـ اختيار وتحديد الأهداف.
٢ ـ تحديد القواعد والاجراءات التي يمكن اتباعها في التنفيذ.
٣ ـ تحقيق الاستقرار والطمأنينة للشبكة الذي يساعد على تطويرها باستمرار، وتحقيق الأهداف الموضوعة لكي تدار بالطريقة العلمية الصحيحة وليست بالأهواء الشخصية للأفراد.
٤ ـ حماية الاعضاء المشاركين عن طريق تأسيس ودعم الحقوق والامتيازات وتحديد العوائق الشرعية.
٥ ـ اثبات وجود الشبكة وذلك بتكوين شخصية عملية مستقلة لنفسها تساعدها في الحصول على مساعدات مالية وغيرها من مصادر خارجية
٦ ـ تأسيس معايير خاصة لتقويم فعالية الشبكات.

وظائف وأنشـطة الشبكات

حاول بعض الباحثين تحديد البرامج والأنشطة التعاونية التي يمكن للشبكات أن تقدمها وتوفرها للأعضاء والمستفيدين فعلى سبيل المثال يذكر روبرت جريزير Robert Grazier ثلاثة أنشطة[٢٧]

١ ـ الفهارس والقوائم الموحدة.
٢ ـ الجهود الرامية لتنسيق تنمية المجموعات المكتبية.
٣ ـ تنظيم الاستخدام التعاوني.

ويشير كيز متكالف Keyes Metcalf إلى وجود أربعة أنواع رئيسة للتعاون المتبادل بين المكتبات (٢٨).

١ ـ المخازن المشتركة.
٢ ـ الضبط البيبليوغرافي.
٣ ـ برامج التزويد المشترك.
٤ ـ الاعارة.

أما جي فلنت بيوردي G. Flint Purdy فيؤكد على نوعين من التنظيمات التعاونية: (٢٩).

١ ـ تشجيع المكتبات للاشتراك في تبادل المصادر والمعلومات.
٢ ـ تنمية المجموعات المتبادلة.

بالاضافة إلى ذلك فقد حاول بيوردي تحليل مختلف البرامج والخطط التي تساعد في التعرف على مجالات التبادل والتعاون وصنفها إلى ثمانية أقسام: (٣٠).

١ ـ الفهارس والقوائم الموحدة.
٢ ـ التنمية المشتركة للمصادر.
٣ ـ الاشتراك في استخدام المصادر.
٤ ـ الاتصال.
٥ ـ مركزية الاجراءات.
٦ ـ الدعم المشترك لعمليات التخطيط والمسح.
٧ ـ المخازن المشتركة.
٨ ـ مركز حاسب الكتروني مشترك.

كما قامت مؤسسة تطوير النظم System Development Cooperation (SDC) بدراسة شبكات المكتبات الأكاديمية لحساب مكتب التربية في الولايات المتحدة في عام ١٩٧٠م وكان من نتائج هذه الدراسة التي غطت ١٢٥ شبكة ـ اعداد خطة لتطوير الشبكات وتوفير معلومات كافية عن أنشطتها المختلفة. كما تمكنت الدراسة من تعيين وتحديد تلك الأنشطة فيما يلي:

الاعارة، التوسع في خدمات الاعارة المتبادلة، والفهارس والقوائم الموحدة، وخدمات التصوير، وخدمات المراجع، واشعارات الشراء وخدمات الاتصالات الخاصة، والمطبوعات، وانتاج بطاقات الفهرس وكل ما له علاقة بالفهرسة، ومركزية شراء المجموعات، والتزويد والمصغرات الفيلمية، والمخازن والمصادر المركزية، ومركز للبيليوغرافيا، والبحوث المشتركة والتدريب، وبرامج للتعريف بالمكتبة أو خدمات التجليد وبرامج الدعاية والتسويق (٣١).

ومن الدراسات المكثفة الأخرى عن الشبكات والتي تمت في الولايات المتحدة وكندا، ما قام به مكتب برامج الاتصالات بجامعة بتسبرج لحساب المؤسسة الوطنية للعلوم في عام ١٩٧٧م من مسح لأنشطة وخدمات أكثر من ١٥٠ شبكة (٣٢).

ويمكن تلخيص نتائج تلك الدراسة كما لخصها كل من فلن Flynn ووليامز Williams على النحو التالي: (٣٣).

١ ـ الخدمات المباشرة للمكتبات الاعضاء.
٢ ـ الخدمات غير المباشرة للمستفيدين.
٣ ـ تعضيد ودعم الهيكل التنظيمي للشبكات.

وقد حصرا تلك الأنشطة والخدمات فيما يلي: (٣٤)

١ ـ تبادل المطبوعات
٢ ـ المراجع
٣ ـ الايصال والتسليم
٤ ـ التزويد
٥ ـ القوائم الموحدة
٦ ـ التعليم المستمر
٧ ـ المداخل البيليوغرافية
٨ ـ التصوير
٩ ـ الاعـارة
١٠ ـ الاتصالات
١١ ـ المطبوعات
١٢ ـ الفهرسة
١٣ ـ الاجراءات الفنية
١٤ ـ التخزين
١٥ ـ البحث

١٦ ــ تنمية المجموعات

١٧ ــ التكشيف والاستخلاص

١٨ ــ خدمات الاحالة أو الارشاد

١٩ ــ الاستشارات

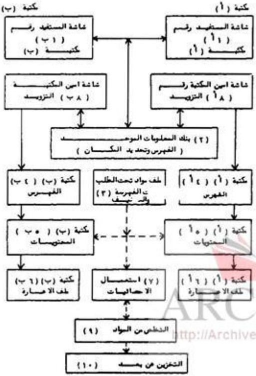
٢٠ ــ الادارة والمحاسبة

٢١ ــ المصغرات الفيلمية.

أما ألن كنت فقد عرض كما هو واضح في شكل رقم (٤) نموذجاً لشبكة المصادر المشتركة ذات الوظائف المتعددة والذي يمكن استخدامه في تسهيل مهمة مكتبتين فقط. ولكل مكتبة منفذين متصلين بالحاسب الالكتروني Terminals تخص المستفيدين وأمناء المكتبات. ويمكن للمستفيد (١أ، ١ ب) أن يستخدم بنوك المعلومات الموحدة (٢) والتي تحوي فهرسا لمجموعات المكتبتين أ،ب. وفي حالة عدم التمكن من تحديد مكان المواد المطلوبة في الفهرس الموحد فانه بالامكان الحصول على تلك المعلومات من ملف المواد تحت الطلب او تحت الفهرسة والتصنيف (٣). وفي حالة تحديد مكان تلك المواد المطلوبة في احدى هاتين المكتبتين فانه بالامكان استشارة ملف الاعارة (٦أ، ٦ب) بهدف التأكد من وجودها بالفعل. وفي حالة توفرها، فانه يتم تحويل الطلب إلى المكتبة المعنية والتي تستطيع تلبية الطلب أو الأمر من محتوياتها (٥أ، ٥ب) مع الاحتفاظ بمعلومات الطلب في السجل (٧).

وفي حالة رغبة المسؤول عن التزويد (٨أ، ٨ب) شراء مواد، فان بامكانه استشارة بنك المعلومات الموحد (٢) وملف المواد تحت الطلب أو تحت الفهرسة والتصنيف (٣) وذلك بهدف التعرف على قرارات مكتبات الاعضاء. وفي حالة اتخاذ القرار بشأن الشراء فان ذلك يؤدي إلى تحويل الطلب إلى ملف المواد تحت الطلب أو تحت الفهرسة والتصنيف (٣) لفهرسة المواد المطلوبة حين وصولها ليتم تسجيل المعلومات عنها في الفهرس المحلي (٤أ، ٤ب) وبنك المعلومات الموحد (٢) وحينئذ تكون تلك المواد جزءاً من محتويات المكتبة المحلية وجاهزة للتبادل.[٣٥]

وتساعد الاحصائيات (٧) على اتخاذ القرارات بشأن التخلص من المواد العتيقة وغير المستخدمة وكذلك تساعد على الأخذ بفكرة التخزين عن بعد. (Remote Storage).



شكل رقم (٤)
شبكة المصادر المشتركة ذات الوظائف المتعددة

التعريف ببعض شبكات المكتبات الاكاديمية في بعض دول العالم

اولا ــ الولايات المتحدة الأمريكية :

يعد القرن التاسع عشر الميلادي نقطة البداية للتعاون بين المكتبات الاكاديمية في الولايات المتحدة. وقد تتبع ديفيد وبر

David Weber تاريخ تطور شبكات المكتبات الاكاديمية، فقام بدراسة لبعض البرامج التعاونية مثل: الفهرسة، الفهرس الموحد، مركزية التزويد للفترة ما بين ١٨٧٦ ــ ١٩٣٠م. كما عرض قائمة مختارة لبرامج تعاونية أخرى للفترة ما بين ١٩٤٢ ــ ١٩٧٣م. هذا بالاضافة إلى عرض شامل لمحاسن ومساوىء تلك البرامج وأهميتها.(٣٦)

كما قام جوكروز Joe Kraus بدراسة لبعض النشاطات التعاونية للمكتبات الاكاديمية ــ والتي تعد من أوائل المكتبات التي بدأت بالأخذ بفكرة التبادل والتعاون ــ خلال ٢٥ سنة للفترة ما بين ١٩٠٠ ــ ١٩٧٤ وقد ركز كروز على الأنشطة التالية: تبادل المطبوعات، المداخل البيليوغرافية، الاتفاقات الخاصة، العمليات والتنظيمات التعاونية الأخرى.(٣٧) وقد توصل كروز إلى النتائج التالية:(٣٨).

أ ــ أن فكرة التعاون بين المكتبات ليست جديدة بل قديمة.

ب ــ قناعة المكتبات الأعضاء بأن ما يمكن كسبه من الاشتراك في الشبكات أكثر بكثير مما يمكن كسبه لو تم ذلك بطريقة مفردة.

جـ ــ المساعدات المالية أساسية طالما هناك مساهمة فعلية للمكتبات.

د ــ ضرورة الاستعانة بتكنولوجيا حديثة.

هـ ــ ضرورة تشكيل هيكل تنظيمي جيد وفعال وذلك لضمان استمرار الجهود والنشاطات التعاونية.

ويشير رث باتريك Ruth Patrick إلى نتائج الدراسة التي قامت بها مؤسسة تطوير النظم (SDC) بشأن نشأة شبكات المكتبات حيث تم تأسيس أكثر من ٩٠٪ من شبكات المكتبات الاكاديمية الراهنة منذ عام ١٩٦٠م. وأكثر من ٧٥٪ منها تم منذ ١٩٦٥.(٣٩) وتحتوي الطبعة الثانية من دليل الشبكات أو الاتحاد بين المكتبات الاكاديمية.
Directory of Academic Library Consortia

والذي نشر في عام ١٩٧٥م ــ على ٣٥٠ شبكة عاملة.(٤٠) ومن بين تلك الشبكات الاكاديمية والتي تعد مهمة جدا ونشطة إلى وقتنا الحاضر على سبيل المثال لا الحصر:

أ ــ The New England Library and Information Network, Inc., (NELINET).

ب ــ The On-Line computer library center (OCLC).

جـ ــ The Southern Library Network, Inc. (SOLINET).

د ــ The Research Libraries Group, Inc. (RIG).

أ ــ شبكة نلنت (NELINET)

قام بتأسيس شبكة نلنت مجلس التعليم العالي بنيو انجلند في عام ١٩٦٦م لتصبح وسيلة للمشاركة في تبادل المصادر البيليوغرافية للمكتبات الاكاديمية والموجودة في ولايات ست: ولاية كونتكت، ولاية مين، ولاية ماساشوستس، ولاية نيوهامشير، وولايتا رودايلند وفيرمونت(٤١،٤٢) ومؤخرا أصبحت تضم إلى عضويتها كل أنواع المكتبات الأخرى. وفي عام ١٩٧٨م. انفصلت نلنت عن مجلس التعليم العالي بنيوانجلند وأصبحت مؤسسة مستقلة بحد ذاتها.(٤٣) وتشبه نلنت في الوقت الحاضر شبكة OCLC من حيث عملها كوسيط بين المكتبات الأعضاء. وتمكنت شبكة نلنت فيما بعد بتطوير خدماتها وذلك باستخدام الحاسب الالكتروني في الخدمات والأنشطة التالية: البحث الموضوعي، بنك معلومات الفهرسة، الاعارة، سجلات الاستناد لبنك المعلومات authority file data base الضبط الاستنادي الكامل Full authority control، وفهرس الدوريات الموحد لاقليم نيوانجلند وخدمات الاشرطة. ومن بين الخدمات الأخرى التي لم يتم ميكنتها الكترونيا: الطبعة الثانية لقواعد الفهرسة الانجلو امريكية والندوات والدورات الدراسية(٤٤).

ب ــ شبكة مركز مكتبات الكليات بولاية اوهايو: (OCLC)

يعد مركز On-Line Computer Library Center (OCLC) مؤسسة لا تهدف إلى الربح، قام بانشائه جمعية الكليات

بولاية أوهايو عام ١٩٦٧م. وكان الهدف من انشائه هو تأسيس مركز مكتبات اقليمي يدار بالحاسب الالكتروني بهدف خدمة المكتبات الاكاديمية بولاية اوهايو. وقد صمم مركز (OCLC) ليصبح جزءا من أي شبكة وطنية الكترونية للخدمات البيليوغرافية.[٤٥] وفي عام ١٩٧٩م. امتدت خدمات المركز لتشمل أنواع المكتبات الأخرى وعلى مستوى الولايات المتحدة ككل. وفي الاجتماع السنوي الحادي عشر للمركز عام ١٩٧٧م. أخذ هيكله التنظيمي شكلا جديدا وتم تغيير اسمه ليصبح On-Line Computer Library Center (OCLC) ليعكس التوسع في خدماته التي أصبحت تصل لأكثر من ٢٥٠٠ مكتبة اكاديمية وعامة ومتخصصة وفيدرالية على امتداد ٥٠ ولاية هذا بالاضافة إلى مقاطعة كلومبيا وبورتوريكو وعدد آخر من دول العالم مثل استراليا وكندا وفنلندا والمكسيك وبريطانيا والمانيا الغربية[٤٦،٤٧] ويوفر المركز في الوقت الحاضر ستة نظم فرعية: الفهرسة، تبادل المطبوعات، ضبط الدوريات، التزويد، خدمات عامة، الاعارة. ويضم الفهرس الموحد على الخط المباشر اكثر من ٦ر٧ مليون سجل او ملف.[٤٨]

جـ ـ شبكة سولنت : (SOLINET)

بدأت شبكة سولنت كلجنة متفرعة عن جمعية مكتبات البحوث الجنوبية Association of Southern Research Libraries (ASERL) في عام ١٩٧٢ م. لغرض توفير خدمات تعاونية للمكتبات الاقليمية على مستوى ست ولايات: الباما، فلوريدا، جورجيا، كنتكي، لوزيانا، ميسيسبي وشمال وجنوب كالورينا، وتنسي وفيرجينيا.[٤٩،٥٠] وفي عام ١٩٧٤ أصبحت مؤسسة يقوم بتمويلها المجلس التربوي للاقليم الجنوبي Southern Regional Education Board (SREB) ومؤخرا أصبحت تضم كل أنواع المكتبات الأخرى كما هو الحال بشبكة نلنت.

وفي عام ١٩٧٧ انضمت إلى المجلس التربوي للاقليم الجنوبي (SREB)[٥١] وقد وصل عدد أعضائها في عام ١٩٨٠ إلى أكثر من ٢٣٠ مؤسسة غالبيتها العظمى مؤسسات اكاديمية. وتحاول سولنت نشر خدماتها على المستوى العالمي لتصل إلى البهاماز والكاريبي وبعض دول امريكا الوسطى والجنوبية[٥٢]. هذا بالاضافة إلى عملها كوسيط لمركز (OCLC).

ومن أهم الخدمات التي تقدمها شبكة سولنت في الوقت الحاضر ما يلي :

الضبط الاستنادي Authority Control مدخل إلى المعلومات المحلية، الفهرسة على الخط المباشر، الفهرسة التي تستخدم نظام التسجيل الميكروفيلمي لمخرجات الحاسبات الالكترونية Com Cataloging الاعارة، ضبط الدوريات والخدمات الاستشارية. وفي عام ١٩٨٠ تمكنت سولنت من شراء برامج شبكة مكتبات واشنطن Washington Library Network (WLN) وذلك لتأسيس وتطوير نظام اقليمي لدعم أعضاء شبكة سولنت[٥٣].

٤ ـ شبكة مجموعة مكتبات البحوث : (RLG)

تمكنت أربع مكتبات من مكتبات البحوث الأمريكية في عام ١٩٧٤م بتأسيس مجموعة مكتبات البحوث Research Libraries Group وهذه المكتبات الأربع هي هارفارد ويبل وجامعة كولومبيا والمكتبة العامة بنيويورك. ومن أهداف مجموعة مكتبات البحوث (RLG) الاشتراك في تبادل المصادر لتجنب التكرار غير الضروري في عمليات التزويد ولتأسيس نظام موحد بالحاسب الالكتروني للخدمات البيليوغرافية.[٥٤]

وفي عام ١٩٧٨م. استخدمت (RLG) نظام BALLOTS (Bibliographic Automation of Large Library Operation Using a Time-Sharing System).

وهو بيليوغرافية آلية لمكتبة كبيرة الحجم تستخدم نظام اقتسام الوقت. وقد تم تأسيس نظام (BALLOTS) في عام ١٩٦٧م. لصالح مكتبات جامعة ستانفورد لمعالجة النشاطات والخدمات البيليوغرافية. وقد طرأ تغيير على شبكة (RLG) إذ أصبحت تعرف بارلن Research Libraries Information (RLN) ولذلك قررت جامعة هارفارد الانسحاب من (RLG)[٥٥]. واستطاعت (RLG) أن تضم إليها عددا من أعضاء

مركز (OCLC). وبيداية عام ١٩٨١ أصبح عدد أعضاء RLG ٢٣ عضوا وتحتوي على ٦١,٥ مليون مجلد[٥٦] ومن أهم الخدمات أو النشاطات التي تقوم RLG بتقديمها في الوقت الحاضر خدمات شبكة RLIN المصادر المشتركة، تنمية المجموعات، الحفظ والصيانة والبرامج الشبكية المتداخلة Internetwork Program.[٥٧]

وتستخدم غالبية الشبكات المذكورة آنفا الحاسب الالكتروني في خدماتها وانشطتها المختلفة إلا القدر القليل منها وخاصة الشبكات التي تأسست في الستينات حيث لا تزال تعتمد على مركز مكتبات أوهايو (OCLC). ومن بين هذه الشبكات على سبيل المثال:

أ ــ The consortium of Universities of the Washington Metropolitan Area.[٥٨]

ب ــ The Cooperative College Library Center Atlanta.[٥٩]

كما يحاول البعض منها الاقتصار على نشاط واحد كالتعاون في مجال الدوريات الذي تتميز به المراكز التالية:

أ ــ The Southwest Academic Library Consortium[٦٠]

ب ــ The Northeastern Ohio Major Academic Libraries Consortium.[٦١]

جـ ــ The Inter-University Council of the North[٦٢] Texas Area.

وعادة ما تقتصر خدماتها على حدود جغرافية محدودة.

ثانيا ــ كنـدا :

تعد المكتبات الاكاديمية هي الرائدة في تطوير فكرة شبكات المكتبات في كندا كما هو الحال في الولايات المتحدة وأصبح هناك اتجاه قوي لتأسيس شبكات المكتبات الاكاديمية منذ أواخر الستينات على المستوى الاقليمي. ومن أشهر شبكات المكتبات الأكاديمية في كندا ما يلي:

أ ــ The Tri-University Libraries (TRIUL)

ب ــ The Ontario Universities, Library Cooperative System (OULCS).

جـ ــ The College Biblio Center (CB)

د ــ The University of Torinto Library Automation System (UTLAS).

وقد تم تأسيس شبكة (TRIUL) في عام ١٩٧٠م. حيث ضمت ثلاث جامعات في كولومبيا البريطانية:[٦٣]

أ ــ Simon Fraser University

ب ــ The University of British Columbia

جـ ــ The University of Victoria

وقد ركزت شبكة (TRIUL) على تنمية المجموعات وخدمات القراء والاجراءات الفنية.[٦٤]

وبالنسبة لشبكة (OULCS) فقد أسسها مجلس الجامعات بانتاريو إلا أن البداية الحقيقية للشبكة يرجع إلى عام ١٩٦٥ نتيجة لاتفاقية غير رسمية.[٦٥] ويوضح رالف ستايروالت Ralph Stierwalt البرامج التي تقدمها شبكة (OULCS) فيما يلي :

النظم المشتركة للمكتبة الآلية، تطوير الملفات الموحدة للاستعانة بها في تطوير المجموعات وزيادة الاشتراك في مصادر البحوث وتنفيذ سياسة تطوير المجموعات على المستوى الاقليمي لخمسين جامعة، والقيام بدراسات للتعرف على الحاجة لانشاء مكتبة أو مكتبات ايداع في الاقليم.[٦٦] وفي الوقت الحاضر فان شبكة (OULCS) تدير مشروع الفهرسة المشتركة على الخط المباشر وذلك بالتعاون مع مؤتمر رؤساء جامعات مقاطعة كويبك. وفي أواخر عام ١٩٧٧ أصبحت الشبكة تضم ٣٢ عضواً من المكتبات الاكاديمية. هذا وقد شاركت (OULCS) في سبعة مشاريع تعاونية مختلفة.[٦٧]

أما المركز البيليوغرافي (CB) فقد تأسس في عام ١٩٦٧م. وذلك لخدمة ٦٢ كلية تكنولوجية وتطبيقية في مدينة اونتاريو في مجالات مركزية الشراء والفهرسة والاجراءات الفنية.[٦٨]

أما بالنسبة لشبكة (UTLAS) فقد تم تأسيسها في البداية على أساس أنها نظام ببليوغرافي آلي لمكتبة جامعة تورنتو في عام ١٩٦٧م. وفي عام ١٩٧١م. اتسعت دائرة خدماتها لتعم المكتبات الأخرى في تورنتو. وفي عام ١٩٧٣م. استقلت شبكة (UTLAS) عن جامعة تورنتو وأصبحت شبكة ببليوغرافية على المستوى الوطني مثل مركز (OCLC) في الولايات المتحدة. وأصبحت تضم حوالى ٢٠٠ مؤسسة وشبكة في أوائل ١٩٨١ وتصل خدماتها إلى أكثر من ٦٠٠ مكتبة كندية ويابانية وامريكية (الولايات المتحدة)(٦٩). وتحاول شبكة (UTLAS) تقديم الخدمات التالية: نظام الفهرسة المدعم (CATSS)، نظام الضبط الاستنادي، نظام ضبط الدوريات والتزويد، التحويل الراجع (RECON): (REFACTSS)، ادارة المجموعات والخدمات الاستشارية.(٧٠).

ثالثا ــ بريطانيا :

ومن أهم التطورات التي حدثت في انجلترا في مجال التعاون بين المكتبات الاكاديمية هو المشروع التعاوني الآلي للمكتبات الجنوبية الغربية (SWALCAP). وقد تم تأسيسه في عام ١٩٦٩م من قبل مكتبات جامعة برستول واكستر وكلية الجامعة بكارديف بهدف تأسيس نظام مكتبي مركزي مجهز بالحاسب الالكتروني لثلاث مكتبات تعاونية ترتبط بالوحدة الرئيسية على الخط المباشر. ويقوم المشروع بتقديم خدمات الاعارة والتزويد والفهرسة.(٧١).

ومن أنجح المشروعات التعاونية الأخرى في بريطانيا المشروع التعاوني الآلي لمكتبات برمنجهام (BLCMP) والذي اشتركت في تأسيسه كل من جامعة استون وبرمنجهام والمكتبات العامة في برمنجهام بهدف تطوير نظام يساعد على الاستخدام المركزي للسجلات الببليوغرافية المتوفرة على اشرطة (MARC)(٧٢) بخدمة كل أنواع المكتبات وخاصة المكتبات الاكاديمية الكبيرة والمكتبات العامة ومكتبات كليات متعددة الفنون (Politechnic)(٧٣). وسيقوم (BLCMP) بتمثيل مركز (OCLC) في بريطانيا.(٧٤).

رابعا ــ السويد :

ومن أشهر المشروعات التعاونية القائمة بين المكتبات الاكاديمية في دولة السويد «نظم المكتبات والمعلومات» Library Information System (LIBRIS) والخطة الاسكندنافية، والذي شاركت في تأسيسه أربع من أكبر الجامعات السويدية في عام ١٩٥٥م وهي جامعة ستوكهلم وابسالا ولوند وجوتنبرج. ويركز البرنامج على التعاون في مجال التزويد للانتاج الفكري الأجنبي. وقد توسعت في نشر خدماتها لتشمل مكتبات البحوث على المستوى الوطني والعالمي مثل دول الدنمارك وفنلندا وايسلندا(٧٥). ويرجع الفضل الأول في انشاء (LIBRIS) للمؤسسة السويدية للتطوير الاداري بالتعاون مع مجلس مكتبات البحوث السويدي وذلك في أواخر الستينات. وكان التركيز الأساسي على توحيد الروتين المتبع في مجالات التزويد والفهرسة وضبط الدوريات وخدمات الاعارة ما بين الأعضاء.(٧٦،٧٧).

خامسا ــ اليابان :

ومن أهم ما تم من انجازات في مجال التعاون بين المكتبات في اليابان هو انشاء مركز جامعي للمعلومات والعلوم بهدف تقديم خدمات ببليوغرافية وذلك بايجاد بنوك معلومات ببليوغرافية تستخدم اشرطة (MARC) وغيرها.(٧٨)

سادسا ــ ماليزيا :

يعد التعاون القائم بين المكتبات الجامعية في ماليزيا الرائد بين دول جنوب شرق آسيا. وقد تم تأسيس شبكة مكتبة البحوث الماليزية. في عام ١٩٧٦م. بالتعاون مع منظمة اليونسكو. ويضم المشروع خمس جامعات ماليزية والمكتبة الوطنية بماليزيا(٧٩،٨٠،٨١)، ويتضمن المشروع **النقاط التالية:**(٨٢).

أ ــ استخدام بنوك المعلومات الخاصة باشرطة (MARC) لأغراض الاجراءات الفنية في المكتبات. بالاضافة إلى استخدام نظام التسجيل الميكروفيلمي. لمخرجات الحاسبات الالكترونية (COM) في الفهرسة وأطلق على هذا المشروع (MALMARC) أي مارك ماليزيا.

ب ــ انشاء بنك معلومات وطني للدوريات يطلق عليه (PERPUNET) وذلك لتوفير خدمات التلكس.
جـ ــ عمل شفرة خاصة بالتبادل في ماليزيا.
د ــ تطوير برامج التزويد التعاونية.

ونتيجة لذلك فقد تم عمل شفرة خاصة بالتبادل وتم استخدامها في الاعارة كما تم توفير خدمات التلكس لكل الأعضاء بالإضافة إلى التقدم المستمر والمرضي الذي يميز كل من «مارك ماليزيا» و«بنك المعلومات الوطني للدوريات» إلا أنه لوحظ بطء برامج التزويد التعاونية[٨٣].

خاتمـــة

وفي الختام، يتضح مما سبق أن هناك اهتماما كبيرا بالشبكات على كافة المستويات القومية والاقليمية والدولية وذلك لأهميتها الكبرى في حل كثير من المشاكل المتعلقة بمصادر المعلومات وخدماتها، وتعد كل من الولايات المتحدة وكندا رائدين في هذا المجال كما أن لماليزيا واليابان قصب السبق بين دول آسيا. أما بالنسبة للدول العربية فليست هناك محاولات جادة لانشاء شبكة معلومات عربية اللهم إلا شبكة المعلومات الصناعية العربية التي نظمتها المنظمة العربية للتنمية الصناعية.

وقد بدأت فكرة انشاء الشبكة العربية للمعلومات منذ سنوات قليلة على يد بعض المؤسسات الفكرية المتخصصة في العالم العربي فقد دعا مركز التنمية الصناعية التابع لجامعة الدول العربية منذ عام ١٩٧٧ إلى ربط المكتبات العربية المتخصصة فيها بشبكة معلومات متخصصة وربطها بالشبكات العالمية الأخرى من جانب آخر. وقد تجاوز المشروع مرحلة بناء بنك معلومات صناعي مركزي في المنظمة العربية للتنمية الصناعية ببغداد وتم ادخال خدمات المعالجة الآلية للبيانات وتركيب الحاسب الآلي في بداية عام ١٩٨٣. كما اشار اللقاء العلمي حول التوثيق وتبادل المعلومات الادارية المنعقد في عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية في مارس ١٩٧٩ إلى ضرورة انشاء شبكة معلومات ادارية تربط بين ارجاء الوطن العربي، كما عقد المركز الاقليمي لابحاث وتوثيق العلوم الاجتماعية حلقة بحث خاصة عن شبكات المعلومات المتخصصة في العلوم الاجتماعية واتخذ بعض الخطوات لخلق نوع من التعاون بين المكتبات المتخصصة في العلوم الاجتماعية مع مطلع عام ١٩٨١م، كما أكد المجتمعون في ندوة مسؤولي مراكز التوثيق التربوي في دول الخليج العربية المنعقدة في الرياض بالمملكة العربية السعودية في مارس ١٩٨١، على ضرورة اعداد دراسة تفصيلية لمراحل وخطوات انشاء شبكة المعلومات التربوية في منطقة الخليج العربي. كما ظهر حديثا اهتمام كبير في جامعة الدول العربية بتونس ببناء القمر الصناعي العربي (آربسات) لتسهيل نقل وايصال المعلومات بين مختلف دول المنطقة العربية[٨٤،٨٥،٨٦].

الهـوامـش

1. Basil Stuart-Stubbs. «An Historical Look at Resource Sharing.» **Library Trends** . 23 (April, 1975) 662.
2. Norman D. Stevens. «An Historical Perspective on the Concept of Networks: Some Preliminary Considerations.» **Networks for Networkers: Critical Issues in Cooperative Library Development.** Edited by Barbara Evans Markuson and Blanche Woolls. New York: NealSchuman, c1980. pp. 30-34.
3. Pauline Atherton. **Handbook for Information Systems and Services.** Paris: Unesco. 1977. p. 108.
4. Barbara Markuson. «Library Network Planning: Problems to Consider, Desicions to Make.» **Network.** 2 (August-September, 1977).
5. Joseph Becker. «Status Report on Library Network Planning in the United States. «**Unesco Bulletin for Libraries.** 31 (March-April, 1977) 78.
6. Joseph Becker. «Network Synergism.» **Illinois Libraries. 55 (May, 1973) 306.**
7. Joseph Becker. «Network Functions: Reactions.» **The Structure and Governance of Library Networks.**Edited by Allen Kent and Thoams J. Galvin. New York: Marcel Dekker, c1979. p.88.
8. Frederick G. Kilgour. «Computer-Based Systems, A New Dimension to Library Cooperation.» **College & Research Libraries.** 34 (March, 1973) 138.
9. Markuson. «Library Networks: Progress and Problems.» p. 35.
10. Brett Butler. «State of the Nation in Networking». **Journal of Library Automation.** 8 (September, 1975).200
11. Vern M. Pings. «Management Conflict in Network Develop-

ment.» **Special Libraries.** 70 (February, 1979) 72.

12. United States. National Commission on Libraries and Information Science. **Toward a National Program for Library and Information Services: Goals for Action.** Washington, D.C.: The Commission, 1975. pp. 82-83.
13. Allen Kent. «The Goals of Resource Sharing in Libraries.» **Library Resource Sharing.** Edited by Allen Kent and Thoams J. Galvin. New York: Marcel Dekkar, c1977. p. 16.
14. **Ibid.**, p. 18.
15. **Ibid.**, p. 15.
16. Allen Kent. «Network Anatomy and Network Objectives.» **The Structure and Governance of Library Networks.** Edited by Allen Kent and Thomas J. Galvin. New York: Marcel Dekker, c1979. p.6.
17. **Ibid.**, pp. 6-8.
18. **Ibid.**, pp. 8-9.
19. James G. Williams and Roger Flynn. «Network Topology: Functions of Existing Networks.» **The Structure and Governance of Library Networks.** Edited by Allen Kent and Thomas. J. Galvin. New York: Marcel Dekker, c1979. pp. 54-55.
20. **Ibid.**, p. 58.
21. William B. Rouse and Sandra H. Rouse. **Management of Library Networks: Policy Analysis, Implementation, and Control.** New York: John Wiley.
22. James H. Kennedy. «Network Anatomy and Objectives: Comments.» **The Structure and Governance of Library Networks.** Edited by Allen Kent and Thomas J. Galvin. New York: Marcel Dekker, c1979. p. 26.
23. Thomas F. Parker. «Resource Sharing from the Inside Out: Reflections on the Organizational Nature of Library Networks.» **Library Resources & Technical Services.** 19 (Fall, 1975) 349-351.
24. Vernon E. Palmour, Marcia C. Bellassai and Nancy K. Roderer. **Resources and Bibliographic Support for a Nationwide Library Program; Final Report to the National Commission on Libraries and Information Science.** Rockville, Md.: Westat, 1974. pp. 2-4.
25. C.H. Stevens., **op. cit., p. 220.**
26. **Ibid.**, pp. 221-222.
27. Robert T. Grazier. «Cooperation among Libraries of Different Types» **Library Trends.** 6 (January, 1958) 331-342.
28. Keyes D. Metcalf. **Cooperation among Maine Libraries: A Report Prepared for the Larger Libraries of Maine.** Cambridge, Mass.: 1961. p. 7.
29. G. Flint Purdy. «Interrelations among Public, School, and Academic Libraries.» **Library Quarterly.** 39 (January, 1969) 54.
30. **Ibid.**
31. Ruth J. Patrick. **Guidelines for Library Cooperation: Development of Academic Library Consortia.** Santa Monica: System Development Corporation, c1972. p.71.
32. Allen Kent (and others). **The Economics of Information Transfer Using Resource Sharing Networks: Network Functions.** Progress Report on National Science Foundation Grant No. 1ST-7717635. January 15, 1979.
33. Williams and Flynn., **op. cit.**, pp. 50-52.
34. **Ibid.**, pp. 58-59.
35. Kent. "The Goals of Resource Sharing in Libraries." pp. 23-24.
36. David C. Weber. «A Century of Cooperative Programs among Academic Libraries.» **College & Research Libraries.** 37 (May, 1976) 205-221.
37. Joe W. Kraus. «Prologue to Library Cooperation.» **Library Trends.** 24 (October, 1975) 169-181.
38. **Ibid**, p. 179.
39. Patrick., **op. cit.** p. 1.
40. Donald V. Black and Carlos A. Guadra. Directory of **Academic Library Consortia.** 2nd ed. Santa Monica: System Development Corporation, 1975.
41. Norman D. Stevens. «NELINET: Its Present State and Current Prospects.» **Connecticut Libraries.** 12 (Fall, 1970) 8-11.
42. Paul B, Kebabian. «On the Campus. NELINET, or Nothing Ventured.» **Vermont Libraries.** 1. (April, 1971) 5-6.
43. «NELIENT Members Vote Separation.» **Channel.** 8 (June,1978) 1.
44. «NELINET Sees Technology as Next Network Step.» **Library Journal.** 105 (15 May 1980) 1118.
45. Frederick G. Kilgour. «The Ohio College Library Center: A User - Oriented System.» **New Dimension for Academic Library Service.** Edited by E.J. Josey. Metuchen, N.J.: Scarecrow Press, 1975. p. 250.
46. «New Governance Structure Adopted- Ohio College Library Center Becomes OCLC, Inc.» **OCLC Newletter.** No. 113 (4 January 1978) 1.
47. OCLC, Inc., **Questions & Answers.** September, 1980. unpaged.
48. **Ibid.**
49. John H. Gribbin. «SOLINET: The Million-Dollar Beginning» **Southeastern Librarian.** 14 (Fall, 1974) 17-21.
50. John P. Kennedy. «The Southeastern Library Network: Second Progress Report.» **«Southeastern Librarian.** 13 (Summer, 1973) 12-13.
51. C.H. Stevens., **op. cit., p. 24.**
52. «SOLINET Says Goals of Membership Come First.» **Library Journal.** 105. (15 May 1980) 1117.
53. **Ibid.**

54. «For Major American Libraries Announce Cooperative Plan to Provide Better Service for Scholars and Researchers.» **Bookmark.** 33 (March-April, 1974) 106.
55. L.R. Pearson. «Major Consortium Votes for BALLOTS; Harvard Quits Group.» **American Libraries.** 9 (June, 1978) 308-309.
56. RLG Reorganizes «ILL: Adds Three Members.» **Amercian Libraries.** 12 (February, 1981) 107.
57. The Research Libraries Group, Inc. **Selected Facts.** January, 1980.
58. Donald V. Black and Carlos A. Cuadra. **Directory of Academic Library Consortia.** 2ded. Santa Monica: System Development Corporation, 1975. p. 178.
59. Susan K. Martin. **Library Networks 1981-82.** White Plains, N.Y.: Knowledge Industry Publications, c1981 p.50.
Black and Cuadra., **op. cit.**, p. 69.
Martin, **op. cit.**, p. 50.
60. John F. Harvey. «The Southwest Academic Library Consortium». **International Library Review.** 7 (October, 2975) 469-473.
61. Karen Brewer, Gary Pitkin and Neal Edgar. «A method for Cooperative Serials Selection and Cancellation Through Consortium Activities.» **Journal of Academic Librarianship.** 4 (September, 1978) 204-208.
62. Jame T. Dodson and Laurance Miller. «Soaring Journal Costs: A Cooperative Solution.» **Library Journal** 105 (15 September 1980) 1793-1795.
63. Elizabeth Homer Morton. «Cooperation in Canada.» **Library Trends.** 24 (October, 1975) 413.
64. Laurence E. Thomas. «Tri-University Libraries.» **Canadian Library Journal.** 35 (February, 1978) 27-33.
65. Virginia Gillham and Margaret Beckman. «Individual Autonomy and Successful Networking: A Canadian Experience.» **New Horizons for Academic Libraries.** Edited by Robert D. Stueart and Richard D. Johnson. New York: K.G. Saur, 1979. p.292.
66. Ralph E. Stierwalt. «Cooperative Library System for Ontario Universities.» **Ontatior Library Review.** 58 (June, 1974) 83-89.
67. Roderick M. Duchesne and Mazharul Islam. «Computerized Library Networking in Canada.» **Bulletin of the American Society for Information Science.** 5 (June, 1979) 19.
68. Gordon H. Wright. «Coperative Steps Toward a Library Network in Ontario.» **Library Resources & Technical Services.** 20 (Fall, 1976) 348.
69. **UTLAS : A Profile.** January, 1981. p.1.
70. **Ibid.**, pp. 4-22.
71. Jean M. Plaister. «Cooperation in England. **Library Trends. 24 (October, 1975) 421.**
72. **Ibid.**, p. 419.
73. S.W. Massil. «Automation, Cooperation and Coordination». **Library Review.** 27 (Autumn, 1978) 150.
74. «OCLC-Birmingham Link. «**Outlook on Research Libraries.** 2 (July, 1980) 11.
75. Gosta Ottervik. «Sweden, Libraries In.» **Encyclopedia of library and Information Science.** New York: Marcel Dekker, c1980. 29, 311-314.
76. Ibid., pp. 307-308.
77. «The Swedish LIBRIS Network.» **LARC Report.** 6 NO.2 (1973) 9-16.
78. Akira Koizumi. «Cooperation among University Libraries in Japan.» **Issues in Library Administration.** Edited by Warren M. Tsuneishi, Thomas R. Buckman and Yukihisa Suzuki. New York: Columbia University Press, 1974. pp. 138-140.
79. Bjorn Tell. **Pilot Project on the Development of a Library Network.** Paris: Unesco., 1976.
80. Lim Huck Tee. «The Southeast Asian University Library Network (SAULNET): A Proposal and a Model for Resource Sharing in ASEAN Countries.» **Resource Sharing of Libraries in Developing Countries.** Edited by H.D.L. Vervliet. Munchen: K.G. Saur, 1979. pp. 224-227.
81. D.E.K. Wijasuriya. «Resource Sharing: Existing Arrangements and Future Developments» **Malaysia International Library Review.** 12 (April, 1980) 139-141.
82. D.E.K. Wijasuriya. «The Malaysian Research Library Network: A Report with Comments.» **Majalah Perpustakaan Malaysia.** 6 (1978) 9.
83. **Ibid.**

84. أحمد حسن عبد الرحمن المكاوي. **شبكة المعلومات الصناعية العربية. حاضرها ومستقبلها.ـ المجلة العربية للمعلومات. المجلد الرابع** العدد الثاني، ١٩٨٣. ص ٩٠.

85. شعبان عبد العزيز خليفة. شبكة المعلومات العربية الحقيقة والرجاء. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية.** السنة الأولى، العدد الرابع، (اكتوبر ١٩٨١). ص ٤.
86. مكتب التربية العربي لدول الخليج. **أعمال ندوة مسؤولي مراكز التوثيق التربوي لدراسة تنمية نظم المعلومات التربوية في دول الخليج العربية وتطويرها من اجل تعاون مشترك.** الرياض، مكتب التربية لدول الخليج، ٢١١ ــ ٢٣ مارس، ١٩٨١) ص ٥٧.

دراسة حول وضع الكتب العربية في جامعة ميشغن

جـان آيلتس
رئيس قسم الشرق الأوسط
بمكتبة جامعة ميشغين
نديـم الحـامض
مكتبي مساعد بقسم الشرق الأوسط
بمكتبة جامعة ميشغين

ابتدأت جامعة ميشيغن بتدريس اللغة العربية في عام 1893 كجزء من برنامج الساميات. ليس هناك في أرشيف المكتبة ما يشير إلى تاريخ إضافة أول كتاب عربي إلى مجموعتها، لكن مع الوقت الذي عين فيه أول موظف دائم في المكتبة للاهتمام بشؤون المواد العربية في عام 1956 كان حجم المجموعة العربية قد وصل إلى حوالي ستة آلاف (6000) كتاب.

إن الدراسة التي قامت بها الـ Association for Research Libraries حول المجموعات العربية في الولايات المتحدة عام 1973[1] تشير إلى أن مجموعة ميشيغن هي ثالث أكبر مجموعة إذ بلغ تعدادها حينذاك حوالي 38300 مجلد. أما الآن (شباط 1984) فبلغ حجم المجموعة العربية حوالي 70000 مجلد.

لقد توسعت المجموعة خاصة في فترة الستينات والسبعينات بسبب تطور البرامج العربية في الجامعة من ناحية وكنتيجة للقانون العام 480. (PL — 480) والبرنامج التابع له في مصر.

بعد مرور عدة سنوات على تعاملنا بالكتب العربية لاحظ أكثر العاملين في قسمنا أن المواد والطرق المستعملة في انتاج هذه الكتب ليست على المستوى المطلوب، مع العلم أن الكلام هنا ليس عن المحتوى أو المضمون.

إن هذه الحالة لظاهرة منتشرة في العالم الثالث حيث الورق سلعة نادرة ومرتفعة الثمن يتم استيرادها بالعملة الصعبة. بالنسبة لنا فلقد اكتفينا بهذا التفسير لعدة سنوات دون التحقق منه عملياً، لذلك قررنا أخيراً القيام بدراسة اختبارية لهذه المشكلة كخطوة أولى نحو عملية تهدف لحفظ المعلومات المطبوعة على تلك النوعية السيئة من الورق.

في خريف 1983 ابتدأت أعد لدراسة عن وضع مجموعاتنا العربية بالتعاون مع الزميل نديم حامض، وهو يحمل شهادة ماجستير في علم المكتبات ويحضر لشهادة الدكتوراه في جامعة ميشيغن، إذ ساعدني في تخطيط الدراسة وقام شخصياً باجراء المسح والاختبار.

حتى نستطيع تحديد أفق الدراسة في اطار فترة محددة من الوقت قررنا أن نأخذ عينة من بطاقات الفهرسة من قائمة الرفوف، وذلك من أبواب التصنيف الثلاثة الرئيسية أو الأوسع في مجموعتنا العربية، وهي حسب نظام مكتبة الكونغرس للتصنيف:

BP (الاسلام، باقي الأديان، علم التفسير).
DS (تاريخ الشرق الأوسط والأدنى).

و PJ (اللغة والأدب العربيين) .

أما عن كيفية انتقاء العينة التي استعملت في اختبارنا ، فقد تم جمعها من الأبواب الثلاثة التي سبق ذكرها بسحب البطاقة العاشرة من كل انش بالتوالي من قائمة الرفوف الممثلة لكل باب من أبواب التصنيف المذكورة[٢] .

المعلومات اللازمة لدراستنا كرقم طلب الكتاب ، مكان النشر وتاريخ النشر تم تسجيلها من قائمة الرفوف على بطاقات McBee Keysort (و هي بطاقات مثقبة بشكل يسمح بفرزها حسب الموضوع) ومن ثم توجهنا إلى الرفوف لسحب عينة الكتب التي ستستعمل في الدراسة وفي حالة عدم وجود الكتاب في مكانه على الرف أخذنا مكانه الكتاب العربي الذي يليه على الرف ومن ثم وضعنا له بطاقة جديدة ، أما إذا كان الكتاب موجوداً في قاعة التخزين (storage) خارج المكتبة فقد كان يجري طلبه ومن ثم تم استعماله في الدراسة . ولقد تسبب هذا في بعض التأخير في اجراء الاختبار لكنه شر لابد منه حتى تبقى العينة سليمة وممثلة للمجموعة تمثيلاً أفضل . أما عن سبب وجود قسم من المجموعة في قاعة التخزين خارج المكتبة فهو عائد لقلة استعمالها أو لحالتها السيئة ، ولقد بلغ حجم العينة 179 كتاباً .

وبعد حصولنا على الكتب ، استطعنا إضافة معلومات جديدة على البطاقات المثقبة الـ (McBee Keysort) كمكان التجليد .

وبعد استكمال المعلومات اللازمة ابتدأنا باختبار عينة الكتب لتحديد أربعة عوامل مستعملين بذلك المعايير المستخدمة في دراسة مماثلة أجريت في جامعة واشنطن[٣] ولم يتم استخدام تلك الفئات والمعايير لانها الأفضل بالضرورة ، إنما لانها كانت متوفرة ، سهلة التطبيق والاستعمال نسبياً وصالحة لدراسة العوامل التي تهمنا .

أما العوامل الأربعة التي استهدفتها الدراسة فهي التالية :

(١) حالة الورق : (٢) التجليد الداخلي : (٣) التجليد الخارجي : (٤) التلف الناتج عن العوامل المحيطة كالرطوبة ، درجة الحرارة ، الحشرات الخ ... بالاضافة لذلك قمنا بقياس نسبة تواجد الاس الهيدروجيني (PH) في الورق .

وقد تم استعمال المعايير نفسها المستعملة في دراسة واشنطن لقياس العوامل الاربعة المذكورة سابقاً ، وهي تتراوح بين صفر واثنين (0-2) ، صفر تعني بحالة جديدة واثنين بحالة سيئة جداً .

جدول رقم ١

أ ـ حالة الورق : تشمل الورق المطبوع عليه النص فقط .

صفر ـ الورق غير مشقق أو مفتت .
ـ الأطراف غير بالية أو تالفة .
ـ لا اصفرار في لون الورق .
ـ لا تمزق أو تكسر عند شدّ زاوية الورق بلطف .

١ ـ بعض التمزق في الورق أو قطع صغيرة ناقصة .
ـ قليل من التلف يبدو على أطراف الورق .
ـ لا تمزق أو تكسر عند الضغط على زاوية الورق بنعومة .

٢ ـ الورق مشقق ، ممزق ، قطع ناقصة ، قد تتناثر قطع مفتتة من الورق إذا فتح الكتاب بالمقلوب .
ـ أطراف من الورق بالية أو تالفة بشكل كبير .
ـ قد يكون لون الورق مصفر .
ـ تمزق أو تكسر عند الشد على زاوية الورق بلطف .

ب ـ التجليد الداخلي : ويشمل البنية الداخلية للكتاب فقط ، وعادة تكون إما مدروزة (مقطبة) أو ملصقة بواسطة مادة الغرى أو الصمغ أو غيرها . هذا الجزء يدرس مدى قوة إحكام الورق في جسم الكتاب ككل .

صفر لا أوراق فالتة أو غير ثابتة في الكتاب ، الأوراق تبدو ثابتة إذا جرى شدها بلطف .
ـ الدرز أو التقطيب بحالة جيدة .
ـ إذا لم يكن مدروزاً ، الصمغ أو الغري بحالة جيدة أي غير جاف أو متفسخ .

١ ـ الصفحات تبدو غير ثابتة إذا تم شدها بلطف، لا يوجد أكثر من صفحتين أو ثلاثة غير ثابتة (باستثناء الصفحة الأولى والأخيرة).
ـ قد يبدو الدرز أو التقطيب غير متماسك، لكن غير مقطع.
ـ إذا لم يكن مدروزاً، الصمغ أو الغري بحالة جيدة أي غير جاف أو متفسخ.

٢ ـ الأوراق غير محكمة الاثبات، قد تسقط من الكتاب، عدة صفحات فالتة (أكثر من ثلاثة).
ـ الدرز أو التقطيب مقطع ويلزمه تصليح.
ـ إذا لم يكن التجليد مدروزاً «أو مقطباً»، مادة اللصق (الغري أو الصمغ) جافة ومفسخة.

ت ـ **التجليد الخارجي: يشمل غلاف الكتاب ومدى احكام جسم الكتاب إلى الغلاف أو التجليد.**

صفر ـ التجليد محكم الاثبات إلى جسم الكتاب.
ـ لا تفسخ على مفاصل التجليد من الخارج أو الداخل زوايا الكتاب غير مكسرة، ملتوية، أو ناقصة.
ـ ظهر الكتاب أو كعبه (spine) غير ممزق، لا قطع ناقصة.
ـ تجليد ظهر الكتاب أو كعبه محكم الاثبات، الغلاف غير ممزق أو متلف إلى حد كبير.

١ ـ الغلاف محكم الاثبات إلى جسم الكتاب، قد يكون هناك بعض التفسخ على المفصل في الداخل أو الخارج.
ـ قد تكون زوايا الكتاب ملتوية أو تالفة، لكن غير ناقصة أو مكسورة بشكل سيء.
ـ قد يكون هناك قليل من التمزق في كعب أو ظهر الغلاف (في أعلاه أو أسفله) لكن غير مقطوع أو ناقص.
ـ التجليد ما يزال سليماً، لكن قد يحتاج إلى قليل من الترميم أو أن مظاهر التلف بدأت تبدو عليه.

٢ ـ الغلاف غير محكم الاثبات إلى جسم الكتاب أو المفاصل متفسخة أو بوضع سيء وتحتاج إلى ترميم سريع.
ـ الزوايا مكسرة، ناقصة، أو متلفة.
ـ كعب أو ظهر الكتاب يظهر به عطل رئيسي، إما منفصل كلياً عن جسم الكتاب أو تنقصه أجزاء رئيسية.
ـ التجليد ممزق بشكل سيء، متلف، أو ينقص أجزاء كبيرة.

ث ـ **العوامل البيئية: تشتمل على أضرار في الصفحات الداخلية أو التجليد الخارجي. كذلك الاضرار الناتجة عن القوارض أو الحشرات أو الماء أو البقع الناتجة عن التعفن (بقع سوداء، خضراء، أو قرمزية اللون). لا يتشمل على الاضرار الناتجة عن بقع الطعام، الحبر،** أو بقع بنية اللون.

صفر ـ لا أثر للثقوب، قرض أو قضم على الورق، التجليد أو كعب الكتاب.
ـ لا رائحة عفن.
ـ لا أثر لتلطخ أو بقع من التعفن.
ـ لا أثر لبقع من الماء.

١ ـ ربما توجد بعض الثقوب القديمة في الغلاف أو الورق.
ـ لا أثر ملحوظ لرائحة العفن.
ـ امكانية وجود بعض التعفن بسبب وجود بعض البقع على الغلاف أو الورق.
ـ بعض بقع الماء.
ـ الورق متجعد أو متعفن.

٢ ـ ثقوب كبيرة، آثار قضم وقرض على الورق، التجليد أو كعب الكتاب.
ـ حشرات حية في الكتب أو على الرفوف أو مظاهر أخرى لوجود حشرات أو قوارض.
ـ تعفن قوي، بقع تعفن منتشرة على الورق أو الغلاف
ـ بقع من الماء كثيرة.
ـ كثير من التجعد والتعفن.

لقد قمنا بفحص وقياس الاس الهيدروجيني (pH) من الصفحات الداخلية لكل كتاب مستعملين شرائح الـ (ColorpHast) وهي مصممة خصيصاً لقياس نسبة الاس الهيدروجيني في الورق صناعة (,E. Merck, Darmstadt Germany) . تحتوي كل شريحة على أربعة أنواع مختلفة من المواد الكيماوية التي يمكن أن تشير إلى نسبة الاس الهيدروجيني وذلك بمقارنة اللون الذي تتحول إليه بعد اجراء الاختبار ، مع لائحة موجودة على العلبة التي تحتوي على الشرائح حيث يُعطى كل لون رقم يناسبه .

أما الخطوات العلمية التي اتبعناها في اجراء الاختبار فهي التالية : أولاً ، يتم ترطيب صفحة تختار عشوائياً من كل كتاب بقليل من الماء المقطر[4]، ثانياً ، تضغط شريحة الاختبار (ColorpHast) على الرقعة المرطبة من الورق لفترة تتراوح بين عشر وخمس عشرة ثانية ، ثالثاً ، يقارن اللون الذي تحولت إليه الشريحة مع لائحة الألوان المرقمة لمعرفة الاس الهيدروجيني ويتم تسجيل النتيجة على بطاقة الـ (McBee Keystor) .

ملخص النتــائج

اللائحة التالية تتضمن النتائج الكاملة للاختبار وذلك حسب تاريخ الاصدار لكل كتاب وبشكل تصاعدي .

جـدول رقــم ٢

نظرة عامة عن وضع الكتب العربية

	عامل ا			عامل ب			عامل ت			عامل ث			الاس الهيدروجيني (pH)					المجموع
	0	1	2	0	1	2	0	1	2	0	1	2	3	4	5	6	7	
دون تاريخ	1	1		2			2			2					2			2
1882		1			1			1		1					1			1
1892		1		1			1				1					1		1
1893		1				1			1		1				1			1
19--	3			3			3			3					2	1		3
1903	1					1			1	1						1		1
1908		1		1			1			1				1				1
1909		1			1				1	1					1			1
1910			1							1				1				1
1912		1		1			1				1			1				1
1913		1		1			1			1					1			1
1926		1		1			1			1					1			1
1927		1		1			1			1					1			1
193-	1			1			1			1						1		1
1933	1	1		2			2			2				1	1			2
1935	1			1			1			1					1			1
1937		1		1			1			1				1				1
1938	1				1			1		1					1			1
1940		1		1			1			1					1			1
1945		2		2			2			2					2			2
1949	1			1			1			1					1			1
195-	1	3		4			4			4				2	2			4
1950		1		1			1			1					1			1
1952		2		2			2			2				2				2
1953		2		2			2			1	1			1	1			2
1955	2	1		3			3			3				1	1	1		3
1957		1		1			1			1				1				1
1958		1		1			1			1					1			1
1959	2			2			2			2					2			2
196-	1	2		3			2	1		3				1	1	1		3
1960	1	2		3			3			3				2		1		3
1961	1	3		4			4			4				2	2			4
1962	2	3		4	1		5			5				1	3	1		5
1963	2	5		5	2		4	3		6	1		1	3	3			7
1964	5	4		7	2		7	2		9				2	7			9
1965	6	1		4	3		6	1		7				1	5		1	7
1966	5			4	1		5			5				2	2	1		5
1967	2			2			2			2						2		2
1968	2	3		3	2		2	3		5				1	2	2		5
1969	6	3		9			9			9				1	5	3		9
1970	8	1		8	1		7	2		8	1				4	5		9
1971	5	1		6			4	2		6					5	1		6
1972	6	1		7			6	1		7					3	4		7
1973	7			7			7			7					2	5		7
1974	6			5	1		5	1		6					1	5		6
1975	3	1		3	1		3	1		4				1	2	1		4
1976	4			4			4			4					1	3		4
1977	8			6	2		7	1		8					3	5		8
1978	4	1		5			5			5					4	1		5
1979	11			11			11			11					8	3		11
1980	6			5	1		6			6				1	3	2		6
1981	4			4			4			4					3	1		4
1982	1			1			1			1					1			1
	121	57	1	156	20	2	155	20	3	173	6	0	1	30	95	52	1	179

كذلك اختبار ودراسة عوامل أخرى والعلاقات المتبادلة فيما بينها . أما النتائج العامة فتشير إلى أن النسب المئوية التالية من العينة بدأت تتلف بطريقة ما .

جـدول رقم 3

النسب المئوية من مجموع العينة التي تظهر تلفاً

عامل أ	عامل ب	عامل ت	عامل ث	(pH)
32	12	13	3	

ـ ملاحظة : كل كتاب فيه نسبة 5 أو أقل من الاس الهيدروجيني (pH) تم اعتباره حمضي (acidic)

بالاضافة لذلك تم جمع المعلومات التالية عن بلدان النشر .

جـدول رقم 4

النسبة المئوية من العينة التي بدأت تتلف ، حسب البلد

البلد	عامل أ	عامل ب	عامل ت	عامل ث	(pH)
مصر	47	17	21	3	74
لبنان	22	10	6	2	70
سوريا	0	0	0	8	54
العراق	13	0	0	0	86

بالطبع العينة لم تصمم خصيصاً لدراسة أوضاع انتاج الكتب في كل بلد لذلك لا يمكن اعتبار المعلومات الخاصة بهذا الموضوع دقيقة بل بالاحرى معلومات أولية .

أما فيما يختص بالتجليد فقد وجدنا أن الكتب التي تم تجليدها خارج الولايات المتحدة في العالم العربي ، في ١٦ بالمئة منها الصفحات بدأت تتفكك و ١٥ بالمئة قد تفككت بشكل كامل عن التجليدة ؛ قسم كبير من هذه الكتب تم اصداره في السنوات العشر الاخيرة .

أما بالمقارنة مع الكتب التي تم تجليدها وإعادة تجليدها في الولايات المتحدة ، فقد وجد أن خمسة بالمئة فقط كانت تعاني من مشاكل في التجليد الداخلي أو الخارجي مع العلم أن أكثرها كان عمره ٤٠ سنة أو أكثر .

نتيجة لهذه الدراسة أجرينا بعض التعديلات على سياستنا المتصلة بحفظ الكتب العربية . إذ لم نعد نطلب من عملائنا الذين نستورد المطبوعات بواسطتهم تجليد الكتب قبل ارسالها إلينا . وأستعضنا عن التجليد كخطوة أولى ، بتخزين الكتب دون تجليدها في قاعات التخزين خارج المكتبة حيث الحرارة مكيفة خصيصاً لحفظ الكتب التي يتوقع أن يندر استعمالها ، وحيث لا يتم اخراجها من أماكنها إلا عند الطلب .

إذا تبيّن فيما بعد أن الطلب على كتاب معين هو أكثر مما كان متوقعاً ، يتم تجليده محلياً حسب المواصفات التي تفرضها المكتبة على المجلدين الذين تتعامل معهم .

إننا ما نزال نعتبر هذه الدراسة أولية لذلك لن نتخذ خطوات أكثر جذرية في سياستنا لحفظ الكتب حتى تجري دراسة جديدة أشمل تعتمد على عينة أوسع وأكثر تمثيلاً لمجموعتنا العربية .

الحواشـــي

1 — David H. Partington, "Arabic library collections: a study of the P.L. 480 program by the Committee on the Middle East," Foreign Acquisitions Newsletter 40: p. 1-18 (Fall 1974).

2 — Rosemary Magrill and Constance Rinehart, "Selection for preservation: a service study," Library Resources and Technical Services 24: p. 44-57 (Winter 1980).

3 — University of Washington Preservation self study.

٤ ـ يجب التأكد من خلو الماء المقطرة من الرواسب، الماء الذي استعمل في دراستنا تم فحصه بواسطة الـ (electronic pH meter) فتبين انه يحتوي على نسبة قليلة من الأس الهيدروجيني بما يعادل pH 6.7 ولقد أخذ بعين الاعتبار عند إجراء الاختبار

المخطوطات

المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس

عبد الفتاح محمد الحلو

أستاذ بقسم المكتبات والمعلومات ـ كلية العلوم الاجتماعية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية

تقع المخطوطات العربية في قسم الشرق الأدنى من مبنى آدمز، وهو أحد المباني الثلاثة التي تتكون منها مكتبة الكونجرس، وتشتمل على ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: التي فهرسها الدكتور صلاح الدين المنجد حين زار المكتبة سنة ١٩٦١ م. وأصدر لها فهرساً سماه «فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس بواشنطن»، سنة ١٩٦٩ م.

وقد أخبرني الدكتور جورج عطية مدير قسم الشرق الأدنى بالمكتبة أن هذه المجموعة اشتريت من كُتُبي أرمني الأصل يدعى كيفورك مينوسيان، وكان يقيم بنيويورك وهي تضم ٩٩ مجلدة، إلى جانب مجموعة من الصفحات الخطية المفردة تصل إلى ١٠٠ صفحة، بعضها من القرن الرابع الهجري، وبعضها من شمال أفريقيا، وبعض أجزاء من القرآن بالخط القيرواني، وجلود بعض الكتب (نحو ٧٠) لها صفة الندرة، وكان شراء هذه المجموعة مبكراً، سنة ١٩٣٧ م أو نحوها.

وتضم هذه المجموعة من المخطوطات القيمة:

١ ـ (أ) الأدوية المعروفة المستعملة
لنجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي، المتوفى سنة ٦١٩ هـ
نسخة كتبت سنة ٩٠٢ هـ.

(ب) الدستور
للمؤلف السابق
نسخة كتبت سنة ٨٩٢ هـ

(ج) الرسالة التي يبدل بعضها مكان بعض من المعجونات والأقراص والأدوية المفردة
للمؤلف السابق
نسخة كتبت سنة ٨٩٢ هـ

٢ ـ (أ) الأس في العمل بالسيف والترس
لمحمد بن علي الحنفي الهاشمي، بخط المؤلف، سنة ٩٩٩ هـ

(ب) الكفاية في علم الرماية
للمؤلف السابق
بخط المؤلف، سنة ٩٩٩ هـ

٣ ـ شرح فصول أبقراط

لعبد الرحمن بن علي بن أبي صادق، المتوفى سنة ٤٦٠ هـ.
نسخة من القرن السابع تقديراً.

٤ – النهاية في شرح الهداية
لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، المتوفى سنة ٨٥٥ هـ.
نسخة كتبت سنة ٩٩٥ هـ.

٥ – صور الكواكب
لعبد الرحمن بن عمر الصوفي، المتوفى سنة ٣٧٦ هـ.
نسخة كتبت سنة ٨٢٦ هـ.

٦ – شرح كنز الدقائق
لمعين الدين الهروي مُلّا مسكين، المتوفى سنة ٩٥٤ هـ.
نسخة كتبت سنة ثلاث (لعلها ثلاثون) وتسعمائة.

٧ – القاموس المحيط
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، المتوفى سنة ٨١٧ هـ.
قطعة منه إلى آخر باب الطاء، نسخة خزائنية، كتبت سنة ٩٤٨ هـ.

٨ – مجمع البحرين
لأحمد بن علي ابن الساعاتي، المتوفى سنة ٦٩٤ هـ.
نسخة كتبت سنة ٨١٢ هـ.

٩ – نهاية المرام شرح مختصر شرائع الاسلام.
لمحمد بن أبي الحسن الحسيني.
الجزء الثالث، نسخة كتبت سنة ١٠٠٦ هـ.

١٠ – كنز الدقائق
لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي، المتوفى سنة ٧١٠ هـ.
نسخة خزائنية، كتبت في القرن التاسع الهجري.

١١ – (أ) العمدة في الأحكام
لعبد الغني بن عبدالواحد المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ.
نسخة كتبت سنة ٨٠٤ هـ.

(ب) أربعون حديثاً في فضل الفقراء والصوفية
لأبي سعيد أحمد بن أبي الحسن الطوسي.
نسخة كتبت سنة ٩٤٧ هـ.

١٢ – المنقذ من الهلكة في رفع مضار السموم المهلكة
للحسن بن أبي ثعلب بن المبارك.
نسخة نقلت من نسخة المصنف (٧٧٤ هـ) وتاريخها ٨٣٤ هـ.

١٣ – تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لعبد الجليل بن محمد، ابن عظوم القيرواني، المتوفى سنة ٩٦٠ هـ.
نسخة كتبت سنة ١٠١٣ هـ.

١٤ – (أ) كتاب المسرة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة لمرعي بن يوسف بن أبي بكر الحنبلي المقدسي، المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ.

نسخة كتبت سنة ١٠٧١ هـ، نقلت من خط المؤلف.

١٥ – مقاصد المواقف
لسيف الدين أحمد الأبهري.
نسخة كتبت سنة ٧٨٧ هـ.

المجموعة الثانية: مجموعة المنصوري، وهو الشيخ محمود الإمام المنصوري، من هيئة كبار العلماء بالأزهر، وقد اشترت منه مكتبة الكونجرس مجموعة كتبه المطبوعة والمخطوطة سنة ١٩٤٥ م، عندما قررت إقامة قسم للشرق الأوسط، ويصل عدد مجلدات هذه المكتبة إلى خمسة آلاف، منها نحو ١٤٠٠ مخطوطة.

والمكتبة بصفتها مكتبة عالم من الأزهر تمثل علوم الدين الاسلامي واللسان العربي، وتكثر فيها الكتب السائرة بين المشايخ من حواش وتقريرات، ولكنها تشتمل على عدد طيب من الكتب الأصول، والنوادر الخطية، ويتضح فيها حرص صاحبها على استكمال مراجعه في الفنون المختلفة، واستنساخ المؤلفات التي ظهرت لعلماء عصره والسابقين عليه مما لم يطبع، كما تضم موروثاً عظيماً من المخطوطات التي انتقلت إليه من آبائه.

وكنت على نيّة كتابة بطاقة عن كل كتاب فيها، حتى يتاح تقويمها على سبيل الاستقصاء، ولكن ضيق الوقت منعني من ذلك، فعمدت بعد الأسبوع الأول إلى استعراضها كتاباً كتاباً، واختيار ما يجب الاشارة إليه، فتحصّل لي من وراء ذلك:

في التفسير وعلوم القرآن:

١ - حاشية التفتازاني على الكشاف
لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، المتوفى سنة ٧٩٣ هـ.
الجزء الأول، وهو إلى آخر سورة الأنعام
بقلم نسخي، كتبه جمال الدين بن مشرف الحصاري سنة ٨٢٧ هـ.

٢ - حاشية السيد الشريف الجرجاني على الكشاف
وهو علي بن محمد بن علي الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦ هـ.
وبحواشيها تقييدات على المواضع المشكلة من الكشاف، لابن شيخ علي الجيلاني.
بقلم تعليق، سنة ١٠٦٨ هـ، مجدولة بالذهب.

٣ - مجمع البيان في علوم القرآن
لأمين الدين أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الامامي، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ.
عشرة أجزاء، في أربعة مجلدات.
بقلم نسخي جميل، سنة ١١١٧ هـ، مجدولة بالذهب.

٤ - أنوار التنزيل، وأسرار التأويل
لناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ.
النصف الأول، إلى آخر سورة الكهف.
بقلم نستعليق، سنة ١٠٧٩ هـ.

٥ - تعليقات (حواشي) سعدي جلبي على أنوار التنزيل (للبيضاوي)
وهو سعد الله بن عيسى القسطموني المفتي، المتوفى سنة ٩٤٥ هـ.
من أول سورة هود إلى أوائل سورة المؤمن.
(ذكر حاجي خليفة أنها من أول سورة هود إلى آخر القرآن. كشف الظنون ١٩)
بقلم تعليق، من القرن الثاني عشر

٦ - التيسير
لنجم الدين عمر بن محمد النسفي الحنفي، المتوفى سنة ٥٣٧ هـ.
الجزء السابع، من أول سورة الحجرات إلى آخر السور.
بقلم نسخي من القرن الثامن.

٧ - تفسير القرآن
لملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي، المتوفى سنة ١٠١٤ هـ.
الجزء الثاني، من أول سورة يونس إلى آخر سورة القصص
بقلم نسخي، سنة ١١٤٨ هـ.

٨ - مجلس يتعلق بتفسير: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ....) الآية
لأحمد بن إبراهيم البرماوي، المتوفى سنة ١١٠٦ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١١٤١ هـ.

٩ - السر القدسي في تفسير آية الكرسي
لمنصور سبط ناصر الدين الطبلاوي، المتوفى سنة ١٠١٤ هـ.
فرغ منه سنة ٩٩٧ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١٠٩٤ هـ.

١٠ - الإتقان في علوم القرآن
لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ.
بقلم نسخي دقيق جميل، من القرن العاشر.

١١ - أجوبة على مسائل نحوية من القرآن
لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد، ابن هشام الأنصاري، المتوفى سنة ٧٦١ هـ.
بقلم نسخي، من القرن الحادي عشر.

١٢ - التبيان في آداب تلاوة القرآن
لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ.
بقلم تعليق، سنة ٨٣١ هـ.

١٣ - التيسير في القراءات السبع
لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، المتوفى سنة ٤٤٤ هـ.
بقلم نستعليق، سنة ٩٠٧ هـ.

١٤ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر
لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي البناء المتوفى سنة ١١١٧ هـ.
بقلم نسخي جميل، مجدولة بالذهب، وكذلك فواصلها

١٥ - حرز الأماني ووجه التهاني (الشاطبية) في القراءات السبع
لأبي محمد القاسم بن فيره بن خلف الرعيني الشاطبي، المتوفى سنة ٥٩٠ هـ.
نسخة خزائنية نفيسة جداً، بقلم نسخي سنة ٦٦٧ هـ، وملئت العناوين وبعض الكلمات بالذهب.

١٦ ـ نسخة أخرى بقلم نسخي جميل مختلف، سنة ١٠١٠ هـ، والصفحة الأولى مزخرفة مذهبة.

١٧ ـ كنز المعاني لحرز الأماني
لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد الموصلي المقري، شعلة، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ.
بقلم نسخي، عليها تملك سنة ١٠٧٨ هـ.

١٨ ـ شرح رواية حفص من طريق الشاطبية
لموسى بن قاسم المغربي المالكي (من رجال القرن الحادي عشر)
بقلم مغربي، سنة ١١٥٩ هـ.

١٩ ـ نظم وقف حمزة وهشام
لبرهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري، المتوفى سنة ٧٣٢ هـ.
بقلم نسخي نفيس، في القرن التاسع.

٢٠ ـ الطراز في شرح ضبط الخراز
لمحمد بن عبدالجليل التنيسي (التنسي)، المتوفى سنة ٨٩٩ هـ.
بقلم مغربي، سنة ١٠٣٣ هـ.

٢١ ـ الجزرية (المقدمة الجزرية)
لشمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣ هـ.
بقلم نسخي مشكول، من القرن التاسع.

٢٢ ـ النكات الحسان على شرح شيخ الاسلام لمقدمة تجويد القرآن (أي لمقدمة الجزري)
لأبي النصر عبدالرحمن الغمراوي.
فرغ منها سنة ١١٨٠ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١٢٠١ هـ.

٢٣ ـ شرح الجزرية
لعصام الدين أبي الخير أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي، طاش كبرى زادة، المتوفى سنة ٩٦٨ هـ.
بقلم تعليق، سنة ١٠٥٨ هـ.

٢٤ ـ بيان المشكلات على المبتدين من جهة التجويد في القرآن المبين
للمنلا حسين.
فرغ من تأليفه سنة ١٠٦٠ هـ.
بقلم نسخي، في القرن الحادي عشر.

٢٥ ـ رسالة في رد «بغية المرتاد لتصحيح الضاد»
البغية لعلي بن محمد بن خليل المقدسي، ابن غانم، المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ.
والرد لعلي بن سليمان بن عبدالله المنصوري المصري، المتوفى سنة ١١٣٤ هـ.
بقلم تعليق جميل، سنة ١١٣٠ هـ، مجدولة بالذهب، ورأس الصفحة الأولى مزخرف بالذهب.

٢٦ ـ فصل فيما يسوغ القراءة به في الصلاة وغيرها من القراءات ومالا يسوغ وفيه شرح لأبيات من الشاطبية (حرز الأماني).
بقلم معتاد نفيس، من القرن الثامن.

٢٧ ـ كشف الملمات في حكم ما ابتدعته القراء من الألحان والنغمات
لمحمد بن محمد الغمري، سبط المرصفي، المتوفى سنة ٩٦٥ هـ.
بقلم معتاد، لعلها بخط المؤلف، وعليها مقابلة.

٢٨ ـ اللؤلؤ الفريد في معرفة أحكام التجويد
لسيف الدين بن عطاء الله البصير المقري الشافعي
بقلم نسخي، كتبها محمد بن علي بن أحمد القصيري الشافعي القادري سنة ١٠١٩ هـ.

في الحديث وعلومه:

٢٩ ـ بشرى الكئيب بلقاء الحبيب
لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ.
بقلم نسخي، سنة نيّف وسبعين وألف.

٣٠ ـ زيادة الجامع الصغير من حديث البشير النذير
لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٩٥٧ هـ.

٣١ ـ التيسير بشرح الجامع الصغير
لزين الدين (محمد) عبدالرءوف بن تاج العارفين المناوي، المتوفى سنة ١٠٣١ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٢٠١ هـ.

٣٢ ـ تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي ﷺ والملك
لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ.

بقلم معتاد، كتبها محمد بن شمس الدين، المدرس المكي بالطائف سنة ٩٩٩ هـ.

٣٣ ـ داعي الفلاح في أذكار المساء والصباح لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ.
بقلم نسخي حسن، في القرن العاشر.

٣٤ ـ تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة
لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ.
بقلم نسخي جميل، سنة ١٠٦٦ هـ.

٣٥ ـ الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف
لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ
بقلم معتاد، سنة ١٠١٩ هـ.

٣٦ ـ نسخة أخرى بقلم معتاد، سنة ١٠٤٢ هـ.

٣٧ ـ المسلسلات الصغرى
لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ.
بقلم نسخي حسن، في القرن الحادي عشر.

٣٨ ـ رسالة في حديث «كل مولود يولد على الفطرة»
لتقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الشافعي، المتوفى سنة ٧٥٦ هـ.
بقلم نسخي جميل، من القرن العاشر تقديراً.

٣٩ ـ قطر السيل في أمر الخيل
لسراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني، المتوفى سنة ٨٠٥ هـ.
بقلم نسخي حسن، سنة ١١٦٣ هـ.

٤٠ ـ تبليغ الأماني في حسن ترتيب المباني (مباني الاسلام)
بقلم نسخي نفيس، وعليها تملك سنة ٨٨٥ هـ.

٤١ ـ الفتح المبين بشرح الأربعين
لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي، ابن حجر المكي الهيتمي الشافعي، المتوفى سنة ٩٧٤ هـ.
فرغ منه سنة ٩٥١ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١١٥٦ هـ.

٤٢ ـ حواش على شرح ابن حجر الهيتمي للأربعين (الفتح المبين)
للشيخ حسن بن علي بن أحمد المدابغي، المدرس بالأزهر، المتوفى سنة ١١٧٠ هـ.
بقلم معتاد، عليها مقابلة سنة ١١٣٧ هـ.

٤٣ ـ هداية الانسان لفضل طاعة الإمام والعدل والإحسان
وهو تخريج للأحاديث الأربعين التي انتخبها زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القوي بن عبد الله المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ.
لشرف الدين أبي إسحاق إبراهيم السلمي الشافعي.
بقلم نسخي، سنة ١١٩٨ هـ.

٤٤ ـ المسلسلات (رسالة في المسلسلات)
بقلم نسخي، سنة ١١٨٤ هـ.

٤٥ ـ فتح الباقي بشرح ألفية العراقي
لأبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، المتوفى سنة ٩٢٦ هـ.
فرغ من تأليفه سنة ٨٩٦ هـ.
بقلم تعليق، سنة ١٠٣٩ هـ.

٤٦ ـ نزهة النظر شرح نخبة الفكر
كلاهما لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.
فرغ منه سنة ٨١٨ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١٠٨٧ هـ.

٤٧ ـ زوال الترح في شرح منظومة ابن فرح
لعز الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز، ابن جماعة الكناني الشافعي، المتوفى سنة ٨١٩ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١١٠٩ هـ.

٤٨ ـ شرح البيقونية
لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي، المتوفى سنة ١١٢٢ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١١٧٥ هـ.

٤٩ ـ قلائد الدرر من أقسام الأثر (منظومة)
لمحمد بن علي الصبان الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ.
فرغ منها سنة ١١٦٨ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٢٣٦ هـ.

٥٠ ـ الامداد بمعرفة علو الإسناد
لسالم بن عبدالله بن سالم البصري الشافعي، المتوفى سنة ١١٦٠ هـ.
بقلم معتاد، في القرن الثاني عشر.

٥١ ـ إجازة صالح الدمشقي لولدي السيد علي أفندي بصحيح البخاري وكل ما يجوز له وعنه روايته.
بقلم معتاد، وبآخرها خطه بالإجازة سنة ١١٦٨ هـ (صالح بن إبراهيم ابن سليمان الحسني الدمشقي الحنفي، المدرس تحت القبة بالجامع الشريف الأموي).

٥٢ ـ الأبحاث التي كالبحر الجاري على آخر حديث في البخاري
لتاج العارفين بن موفق الدين.
بقلم معتاد، كتبها حسن ابن المؤلف سنة ١١٨٠ هـ.

٥٣ ـ بداية القاري في ختم البخاري
لناصر الدين محمد بن سالم بن علي الطبلاوي الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ٩٦٦ هـ.
بقلم نسخي حسن، سنة ١٠٢٨ هـ.

٥٤ ـ جمع النهاية في بدء الخير وغاية (مختصر ابن أبي جمرة)
لأبي محمد عبدالله بن سعد بن أبي جمرة الأزدي، المتوفى سنة ٦٩٥ هـ.
بقلم معتاد مشكول، سنة ١١٧٢ هـ.

٥٥ ـ حاشية على مختصر ابن أبي جمرة (جمع النهاية)
لمحمد بن علي الشنواني الشافعي، المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ.
فرغ منها سنة ١٢٠٢ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٢٦٩ هـ.

٥٦ ـ مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار
لعبد اللطيف بن عبدالعزيز بن أمين الدين الكرماني الحنفي، ابن الملك المتوفى سنة ٨٠١ هـ.
بقلم نسخي، في القرن العاشر.

٥٧ ـ كنز الحق المبين في أحاديث المرسلين
لعبد الغني بن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي، المتوفى سنة ١١٤٣ هـ.
بقلم معتاد، في القرن الثاني عشر

٥٨ ـ مقدمة في الكلام على البسملة والحمدلة
للشيخ شهاب الدين عميرة البرلسي الشافعي (من رجال القرن العاشر).
بقلم نسخي، سنة ١٠٢٦ هـ.

٥٩ ـ مقدمة في الكلام على البسملة والحمدلة.
لأبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، المتوفى سنة ٩٢٦ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١٠٢٧ هـ.

في التوحيد وعلم الكلام:

٦٠ ـ رسالة في تخليص السنوسية
لمحمد بن محمد بن إبراهيم الغمري الشافعي
بقلم المؤلف، قلم معتاد، سنة ١٢٠٦ هـ.

٦١ ـ إتحاف المريد بجوهرة التوحيد
لعبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي، المتوفى سنة ١٠٧٨ هـ.
فرغ منه سنة ١٠٤٧ هـ.
بقلم نسخي حسن، في القرن الحادي عشر.

٦٢ ـ حاشية على السنوسية
جمع فيها محمد بن عبادة بن بري العدوي المالكي. المتوفى سنة ١١٩٣ هـ.
تقرير شيخه علي السفيسي.
فرغ منها سنة ١٢٠١ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٢١٠ هـ.

٦٣ ـ تحفة المريد على جوهرة التوحيد
لإبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري الشافعي، المتوفى سنة ١٢٧٧ هـ.
فرغ منها سنة ١٢٣٤ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٢٥٧ هـ.

٦٤ ـ شرح العقائد (عقائد عضدالدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي)
لجلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني الشافعي، المتوفى سنة ٩١٨ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١١٨٠ هـ.

٦٥ ـ حواش على شرح عقائد الإيجي (للدواني) لشمس الدين أحمد بن موسى الخيالي الرومي الحنفي، المتوفى سنة ٨٧٠ هـ. (أو في حدود ٨٨٦ هـ).
بقلم معتاد، في القرن الثاني عشر.

٦٦ ــ جواهر اللآلي لشرح بدء الأمالي
ينقص من أوله صفحة من المقدمة.
بقلم تعليق، سنة ١٠٠٠ هـ.

٦٧ ــ شرح المواقف
لسيف الدين أحمد الأبهري.
بقلم تعليق، سنة ٨٦٨ هـ.

٦٨ ــ حاشية على شرح المواقف
لحسن جلبي بن محمد شاه الفناري المتوفى سنة ٨٨٦ هـ.
فرغ من تسويده وتتمته سنة ٩١٥ هـ.(لعله تاريخ النسخ).

٦٩ ــ حاشية على شرح الأصفهاني على التجريد (للطوسي) الشرح القديم للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦ هـ.
بقلم تعليق، سنة ٩٣٣ هـ.

٧٠ ــ شرح الرسالة الرسلانية (فتح الرحمن بشرح رسالة الولي رسلان)
لأبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، المتوفى سنة ٩٢٦ هـ.
بقلم نسخي جميل، سنة ١٠١٣ هـ.

٧١ ــ أزهار الروضات في شرح روضات الجنات
والأصل والشرح لحسن الكافي الأنصاري، المتوفى سنة ١٠٢٨ هـ.
لعلهما بخطه، خط نسخي جميل، سنة ١٠١٥هـ مجدولة بالذهب في أولها.

٧٢ ــ كنز الأسرار عما خفي من الأفكار
لأبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد، ابن العماد العكري الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ.
ذكر فيه أجوبة مسهلة عن مسائل مشكلة.
بقلم معتاد، سنة ١٠٥٧ هـ، وقوبلت على نسختين عظيمتين.

٧٣ ــ السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والالحاد.
للسيد مصطفى بن كمال الدين بن علي الصديقي البكري، المتوفى سنة ١١٦٢ هـ.
يرد فيها على طوائف ممن يدعون التصوف.
بقلم معتاد، سنة ١١٩٨ هـ.

٧٤ ــ الطريقة المحمدية
لمحمد بن بير علي البركوي (البركلي) الرومي الحنفي، المتوفى سنة ٩٨١ هـ.
فرغ منها سنة ٩٨٠ هـ.
بقلم نسخي جميل، مجدولة بالذهب، سنة ١١٤٥ هـ.

٧٥ ــ بحر الكلام
لأبي المعين ميمون بن محمد بن محمد النسفي، المتوفى سنة ٥٠٨ هـ.
بقلم نسخي، من القرن العاشر.

٧٦ ــ الهادي في علم الكلام
لجلال الدين عمر بن محمد بن عمر الخبازي، المتوفى سنه ٦٩١ هـ.
بقلم نسخي سنة ١٠٢٨ هـ.

٧٧ ــ بديع المعاني في شرح عقيدة الشيباني
لنجم الدين محمد بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن، ابن قاضي عجلون الشافعي، المتوفى سنة ٨٧٦ هـ.
فرغ من تأليفه سنة ٨٥٩ هـ.
بقلم نسخي جميل مشكول.

٧٨ ــ شرح العقيدة الشيبانية
لعله للسابق
بقلم نسخي سنة ١٠١٩ هـ، وعلى النسخة مقابلة.

٧٩ ــ شرح العقيدة السنوسية
بقلم نسخي، سنة ١٠١٩ هـ، وعلى النسخة مقابلة.

٨٠ ــ شرح رسالة الطوسي في إثبات العقل
لمحمد بن يوسف بن سلطان محمد سمرقندي
فرغ منه سنة ٩٢٥ هـ.
بقلم معتاد، في القرن الثاني عشر.

٨١ ــ شرح الفوائد
والفوائد وشرحها لأحمد بن زين الدين الاحسائيّ.
بقلم المؤلف، قلم نسخي، سنة ١٢٣٣ هـ.

٨٢ ــ أنوار الملكوت في شرح الياقوت
والياقوت لأبي إسحاق إبراهيم بن نوبخت
والشرح لجمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلي الشيعي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ.
بقلم تعليق، سنة ١٠١٨ هـ.

٨٣ ـ الكشف والبيان في علم معرفة الانسان
وهو شرح لعينية ابن سينا
والشرح لعفيف الدين سليمان بن علي بن عبدالله التلمساني، المتوفى سنة ٦٩٠ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١٠٦٧ هـ.

٨٤ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح
لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١ هـ.
نسخة نفيسة، بقلم نسخي، سنة ٨٣٥ هـ، قوبلت سنة ٨٣٦ هـ.

٨٥ ـ رسالة في مسألة العقل والروح، وما حقيقتها، وأين مسكنها
أجاب عنها شيخ الاسلام الامام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن عبدالسلام بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ.
نسخة نفيسة، بقلم نسخي، قرئت على مصنفها شيخ الاسلام، قرأها مسطرها محمد بن عبدالله بن أحمد، سبط ابن رشيق المالكي.

٨٦ ـ المفصل شرح المحصل (لفخر الدين الرازي)
لنجم الدين علي بن عمر بن عمر بن علي الكاتبي القزويني، دبيران، المتوفى سنة ٦٧٥ هـ.
ناقص من آخره، ينتهي أثناء القسم الرابع في الأمامة.
بقلم معتاد، في القرن العاشر.

٨٧ ـ ضوء المعالي لبدء الأمالي
لعلي بن سلطان محمد القاري، المتوفى سنة ١٠١٤ هـ.
ومنظومة بدء الأمالي لسراج الدين أبي الحسن علي بن عثمان الأوسي
بقلم نسخي جميل، سنة ١١٤٥ هـ.

٨٨ ـ حاشية خواجه زاده (مصطفى بن يوسف، المتوفى سنة ٨٩٣ هـ) على شرح منلا زاده (أحمد بن محمود الهروي الخزرباني) على هداية الحكمة (لأثير الدين مفضل بن عمر الأبهري، المتوفى سنة ٦٦٣ هـ).
بقلم تعليق سنة ٩١٨ هـ، ضمن مجموعة.

٨٩ ـ حاشية حسين السمناني الخراساني، على شرح منلا زاده على هداية الحكمة (لأثير الدين مفضل بن عمر الأبهري)
بقلم تعليق سنة ٩١٨ هـ، ضمن المجموعة السابقة.

٩٠ ـ المطالب الوفية في شرح الفرائد السنية، في علم التوحيد لعبدالغني ابن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي، المتوفى سنة ١١٤٣ هـ.
بقلم نسخي، في القرن الثاني عشر.

٩١ ـ الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية
لأبي الصلاح حسن بن عبدالمحسن، المشهور بأبي عذبة (كان حياً سنة ١١٧٢ هـ).
بقلم نسخي حسن، في القرن الثاني عشر.

٩٢ ـ لامية البوصيري التي عارض بها الملة النصرانية، وبعدها تقريره عليها
بقلم نسخي حسن، سنة ١٠٩٨ هـ.

٩٣ ـ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة
لشهاب الدين أحمد بن محمد، ابن حجر الهيتمي الشافعي، المتوفى سنة ٩٧٨ هـ.
بقلم نسخي جميل، سنة ١٠٥٥ هـ.

٩٤ ـ معالم الدين وملاذ المجتهدين (من كتب الشيعة)
لزين الدين بن محمد بن حسن العاملي الشامي المتوفى سنة ١٠٦٢ هـ.
خلاصة الأثر ٢/ ١٩١، ١٩٢ (وفي إيضاح المكنون ٢/ ٥٠٥ أنه حسن بن علي البحراني، المتوفى سنة ١٠١١ هـ).
بقلم نسخي، سنة ١٠٥٠ هـ.

في أصول الفقه:

٩٥ ـ منار الأصولين
أصول شمس الأئمة السرخسي (محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٤٨٣ هـ) وأصول الامام فخر الدين البزدوي (علي بن محمد، المتوفى سنة ٤٨٢ هـ) بقلم نسخي جميل، من القرن الثامن أو التاسع، وعلى النسخة تملك سنة ٩٩١ هـ.

٩٦ ـ الوجيز من الأصول
ليوسف بن حسين الكرماستي الحنفي، المتوفى سنة ٩٠٦ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١١٠٥ هـ.

٩٧ ـ شرح مختصر ابن الحاجب (أبي عمر وعثمان بن عمر بن أبي بكر المالكي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ)
لقطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، المتوفى سنة ٧١٠ هـ.

فرغ منه سنة ٧٣٤ هـ (كذا جاء بالنسخة، ولعله الفراغ من النسخ) والمتن مجدول بالذهب بقلم نسخي جميل، والشرح على جانب الصفحة مجدول بالذهب أيضاً بقلم نسخي دقيق جميل، وعلى النسخة تملك سنة ١٠٩٨ هـ.

٩٨ — العقد الفريد في أحكام التقليد
للسيد علي بن عبدالله بن أحمد السمهودي الحسني الشافعي، نزيل طيبة المشرفة، المتوفى سنة ٩١١ هـ.
فرغ منه سنة ٨٩٧ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٠٠٨ هـ.

٩٩ — رسالة لجلال الدين المحلي الشافعي (محمد بن أحمد بن محمد المتوفى سنة ٨٦٤ هـ).
تشتمل على معرفة فصول من أصول الفقه.
بقلم نسخي، سنة ١٠٢٧ هـ.

في فقه الحنفية:

١٠٠ — الفوائد البدرية (شرح القدوري)
بقلم معتاد، سنة ٨٤٢ هـ.

١٠١ — وقاية الرواية في مسائل الهداية
لبرهان الشريعة محمود بن أحمد بن عبيدالله المحبوبي (أنظر: الفوائد البهية ١١٠)
بقلم معتاد، سنة ٨٥٩ هـ.

١٠٢ — شرح وقاية الرواية من مسائل الهداية
لعبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة (من رجال القرن الثامن).
بقلم تعليق، سنة ٨٥٧ هـ.

١٠٣ — ذخيرة العقبى (شرح صدر الشريعة العظمى)
ليوسف بن جنيد التوقاتي، اشتهر بأخي جلبي، المتوفى سنة ٩٠٥ هـ.
فرغ منها سنة ٩٠١ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٩٨٩ هـ، وعليها مقابلة سنة ٩٩١ هـ

١٠٤ — جامع الرموز (شرح مختصر الوقاية)
لشمس الدين محمد القهستاني، المتوفى سنة ٩٦٠ هـ.
فرغ منه سنة ٩٤١ هـ.
بقلم تعليق، في القرن العاشر، والنسخة مجدولة بالذهب، والصفحة الأولى مزخرفة.

١٠٥ — شرح ابن ملك على مجمع البحرين
ومجمع البحرين وملتقى النهرين لابن الساعاتي
وابن ملك هو عبداللطيف بن عبدالعزيز بن أمين الدين الحنفي، المتوفى سنة ٨٠١ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٨٦٣ هـ.

١٠٦ — درر الحكام في شرح غرر الأحكام
كلاهما لمحمد بن فرامور بن علي الرومي، منلا خسرو، المتوفى سنة ٨٨٥ هـ.
فرغ منه سنة ٨٨٣ هـ.
بقلم تعليق، سنة ١٠٣١ هـ، وهي مجدولة في أولها بالذهب ومقابلة بنسخ أخرى.

١٠٧ — شرح لمقدمة الصلاة (التي جمعها شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفناري، المتوفى سنة ٨٣٤ هـ).
لأحمد بن مصطفى بن خليل، طاش كبرى زاده، المتوفى سنة ٩٦٨ هـ.
بقلم معتاد، في القرن العاشر، وعليها مقابلة.

١٠٨ — الفرائض السراجية
لسراج الدين محمد بن محمد بن عبدالرشيد السجاوندي (من رجال القرن السادس).
بقلم تعليق، سنة ٩٩٣ هـ.

١٠٩ — شرح السراجية
لشمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفناري، المتوفى سنة ٨٣٤ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٨٦١ هـ.

١١٠ — قلائد الفرائد وموائد الفوائد في غرائب فقه الامام أبي حنيفة النعمان لعبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي، المتوفى سنة ١١٤٣ هـ.
بقلم نسخي، في القرن الثاني عشر.

١١١ — الجوهر الكلي في شرح عمدة المصلي
لعبد السلام بن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي، المتوفى سنة ١١٤٣ هـ.
بقلم نسخي، في القرن الثاني عشر.

١١٢ — بضاعة القاضي (في الصكوك)
لمير محمد بن موسى بن محمد البروسوي (نسب حاجي كتاباً بهذا

الاسم إلى شيخ الاسلام ابي السعود العمادي . كشف الظنون ٢٤٧)
بقلم معتاد، من القرن العاشر.

١١٣ ـ الفتاوى العدلية
لرسول بن صالح الآيديني، المتوفى سنة ٩٧٨ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٠١٥ هـ.

١١٤ ـ المقدمة الغزنوية
في فروع الحنفية (في العبادات)
لأحمد بن محمد الغزنوي، المتوفى ٥٩٣ هـ.
بقلم نسخي جميل، سنة ٩٥٩ هـ، وصفحة المقدمة رأسها مزخرف.

١١٥ ـ جامع الفصولين (في القضاء)
لمحمود بن إسرائيل بن عبدالعزيز الحنفي، ابن قاضي سماوية (سماونة)، المتوفى سنة ٨٢٣ هـ.
جمع بين فصول محمد بن محمد الأستروسني، وفصول عماد الدين.
بقلم معتاد، سنة ١٠٦١ هـ.

في فقه المالكية:

١١٦ ـ هداية السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج (على مذهب الإمام مالك)
لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن الحطّاب الرعيني المالكي. المتوفى سنة ٩٥٤ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١٠٦٣ هـ.

١١٧ ـ تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام (منظومة)
لأبي بكر محمد بن محمد بن محمد، ابن عاصم القيسي الغرناطي، المتوفى سنة ٨٢٩ هـ.
بقلم نسخي نفيس، سنة ٩٦٤ هـ.

في فقه الشافعية:

١١٨ ـ دقائق المنهاج
لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٧ هـ.
بقلم نسخي نفيس، سنة ٨٥١ هـ.

١١٩ ـ تيسير الفتاوى من تحرير الحاوي
لشرف الدين هبة الله بن عبدالرحيم، ابن البارزي الحموي الشافعي، المتوفى سنة ٧٣٨ هـ.
بقلم معتاد دقيق، ٨٥٦ هـ.

١٢٠ ـ الفتحة الأُنسية لغلق التحفة القدسية
والتحفة القدسية في اختصار الرحبية في الفرائض
نظم أبي العباس أحمد بن محمد، ابن الهائم الشافعي، المتوفى سنة ٨١٥ هـ.
والفتحة لأبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، المتوفى سنة ٩٢٦ هـ.
بقلم نسخي، في القرن العاشر.

١٢١ ـ المنحة البقاعية بشرح التحفة القدسية
لشمس الدين محمد الأرموي البقاعي، الشهير بعرفة.
فرغ منه سنة ٩٠١ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٩٨٧ هـ.

١٢٢ ـ البسملة
لشهاب الدين أبي العباس أحمد البرلسي، الشهير بعميرة (من رجال القرن العاشر).
وهي تتعلق بمتن المنهاج وشرحه للجلال المحلي.
بقلم نسخي جميل، سنة ١٠٥٣ هـ، وعليها صورة سماع وإجازة.

١٢٣ ـ قرة العين في مساحة ظرف القلتين
لمحمد بن بهاء الدين عبدالله بن علي العجمي الشنشوري الشافعي المتوفى سنة ٩٨٣ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٠٦٩ هـ.

١٢٤ ـ فتوى كل مولود يولد على الفطرة
وفتوى الأرواح هل تفنى كما تفنى الأجساد
لتقي الدين علي بن عبدالكافي بن علي السبكي، المتوفى سنة ٧٥٦ هـ.
تاريخ الإجابة سنة ٧٣٨ هـ.
والفتوى الثانية غير كاملة
بقلم نسخي مشكول، من القرن الثامن.

في فقه الحنابلة:

١٢٥ ـ عمدة كل فارض (ألفية في الفرائض)
لأبي الهدى صالح بن حسن بن أحمد البهوتي الحنبلي، المتوفى سنة

١١٢١ هـ.
بقلم معتاد مشكول، سنة ١١٤٤ هـ.

١٢٦ ــ شيء من فتاوي شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ.
جمعها علي بن محمد بن تغلب البعلي.
بقلم نسخي نفيس، سنة ٧٢٩ هـ، وعليها تملك سنة ٨٧٦ هـ.

في فقه الشيعة:

١٢٧ ــ من لا يحضره الفقيه
لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، ابن بابويه القمي، المتوفى سنة ٣٨١ هـ.
بقلم نسخي حسن، سنة ١١١٠ هـ.

في اختلاف الفقهاء:

١٢٨ ــ رحمة الأمة في اختلاف الأئمة
لمحمد بن عبدالرحمن بن الحسين العثماني
فرغ منه سنة ٧٨٠ هـ.
نسخة نفيسة بقلم نسخي، سنة ٨٦٠ هـ.

في المنطق:

١٢٩ ــ شرح قطب الدين الرازي (تحرير القواعد المنطقية) على متن الشمسية (لنجم الدين علي بن علي الكاتبي القزويني، المتوفى سنة ٦٧٥ هـ.) وفي كشف الظنون ١٠٦٣ هـ أنه شرحها قطب الدين محمد بن محمد التحتاني، المتوفى سنة ٧٦٦ هـ.
بقلم تعليق، سنة ٩٩١ هـ.

١٣٠ ــ رسالة في الجنس والنوع إلخ
لعبيد الله بن جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع، المتوفى نحو سنة ٤٥٣ هـ.
بقلم نسخي، من القرن السابع أو الثامن.

في اللغــة:

١٣١ ــ مثلثة قطرب، وشرحها
نظم ابن مسك عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن السخاوي الشافعي المتوفى سنة ١١٢٣ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١١٧٦ هـ.

في النحو والصرف:

١٣٢ ــ الكافية في النحو
لجمال الدين أبي عمرو وعثمان بن عمر بن أبي بكر المالكي، المتوفى سنة ٦٤٦ هـ.
بقلم نسخي جميل، سنة ١٠٢١ هـ، ضمن مجموعة.

١٣٣ ــ الشافية في الصرف
لجمال الدين أبي عمرو وعثمان بن عمر بن أبي بكر المالكي، ابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ.
بقلم نسخي جميل، سنة ١٠٢١ هـ، ضمن المجموعة السابقة.

١٣٤ ــ شرح مقدمة ابن الحاجب
لرضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، المتوفى نحو سنة ٦٨٦ هـ.
بقلم نسخي جميل، في القرن التاسع أو العاشر، وعليها مقابلة على وجه التدريس والضبط التام.

١٣٥ ــ الوافية في شرح الكافية (الشرح المتوسط)
لركن الدين حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الاسترابادي، المتوفى سنة ٧١٥ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٠٥٥ هـ.

١٣٦ ــ خلاصة الأعراب
لحاج بابا بن حاج إبراهيم بن حاج عبدالكريم الطوسويّ
وهو شرح على المصباح، للمطرزي ناصر بن عبدالسيد المتوفى سنة ٦١٠ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٩٤٧ هـ.

١٣٧ ــ شرح الأنموذج، في النحو (لجار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ).
فرغ منه مؤلفه سنة ٧٢١ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٨٤٠ هـ.

١٣٨ ــ شرح اللباب، في النحو (لتاج الدين محمد بن محمد بن أحمد الإسفرايني، المتوفى سنة ٦٨٤ هـ).
لقطب الدين محمد بن مسعود بن محمد بن أبي الفتح السيرافي الفالي
فرغ من إملائه سنة ٧١٢ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٧٧٤ هـ.

١٣٩ ــ شرح الاعراب عن قواعد الإعراب (لجمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد، ابن هشام الأنصاري، المتوفى سنة

٧٦١ هـ).
لمحمد بن سليمان بن سعد المشهور بكافيجي، المتوفى سنة ٨٧٩ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٩٨١ هـ، وعلى النسخة مقابلة.

١٤٠ ـ حواشي ناصر الدين محمد اللقاني المالكي (من رجال القرن العاشر) على شرح تصريف العزى، لسعد الدين التفتازاني.
فرغ منها سنة ٩٢٤ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٠١٦ هـ.

١٤١ ـ شرح مراح الأرواح (لأبي الفضائل أحمد بن علي بن مسعود.
انظر بغية الوعاة ١ / ٣٤٧).
بقلم تعليق، سنة ٨٧٦ هـ.

١٤٢ ـ شرح الحدود النحوية
كلاهما لأبي الفضل عبدالله بن أحمد عفيف الدين الفاكهي المكي، المتوفى سنة ٩٤٧ هـ. (انظر: النور السافر ٢٢٦ ـ ٢٢٨):
بقلم معتاد، بمكة المشرفة، سنة ٩٩٥ هـ.

١٤٣ ـ مقدمة في النحو
لاسماعيل بن إبراهيم بن غازي الحنفي.
بقلم نسخي، سنة ١٠٤٨ هـ.

١٤٤ ـ كتاب في شرح متن في الصرف
لعله (الشافية)
ينقص من أول المقدمة قليلاً.
بقلم نسخي نفيس، سنة ٧٢٤ هـ، وعليه تصحيح سنة ٧٦٦ هـ.

في البلاغة:

١٤٥ ـ مفتاح العلوم
ليوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ.
القسم الثالث في علم المعاني والبيان.
بقلم معتاد حسن، سنة ٧٩٤ هـ.

١٤٦ ـ تلخيص المفتاح
لجلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر القزويني الشافعي، المتوفى سنة ٧٣٩ هـ.
بقلم نسخي جميل، سنة ٩٨٧ هـ.

١٤٧ ـ المطول (شرح تلخيص المفتاح للقزويني)
لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، المتوفى سنة ٧٩٣ هـ.
نسخة نفيسة، بقلم تعليق، سنة ٧٩٥ هـ.

١٤٨ ـ حاشية على المطول
لنظام الدين عثمان الخطائي، المتوفى سنة ٩٠١ هـ.
بقلم تعليق، سنة ١٠١١ هـ.

١٤٩ ـ تلخيص شرح تلخيص المفتاح
لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، المتوفى سنة ٧٩٣ هـ.
بقلم تعليق، سنة ١٠٧٧ هـ.

١٥٠ ـ شرح الاستعارات
لأبي النافع أحمد بن محمد بن إسحاق القازابادي، المتوفى سنة ١١٦٣ هـ.
بقلم تعليق، سنة ١١٨٠ هـ، مجدولة بالذهب.

١٥١ ـ نسخة أخرى بقلم نسخي، سنة ١١٥٩ هـ.

١٥٢ ـ نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية
النظم والشرح لصفي الدين عبدالعزيز بن سرايا بن علي الحلي، المتوفى سنة ٧٥٠ هـ.
لعلها بخطه، أو في القرن الثامن الهجري.

١٥٣ ـ شرح المفتاح (للسكاكي يوسف بن أبي بكر، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) وهو المسمى بالمصباح.
للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦ هـ.
فرغ منه سنة ٨٠٣ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٨٤٠ هـ.

١٥٤ ـ نسخة أخرى، بقلم معتاد، سنة ٨٧٤ هـ.

في الأدب:

١٥٥ ـ نزهة العشاق وثمرات الأوراق
لتقي الدين أبي بكر بن علي بن عبدالله، ابن حجة الحموي، المتوفى سنة ٨٣٧ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١٠٦٩ هـ.

١٥٦ ـ مقامات السيوطي
جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، المتوفى ٩١١ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١٠٨٨ هـ.

١٥٧ ـ شرح أبيات ألغز قائلها وأشكل إعرابها ومعانيها
مرتبة على حروف الهجاء.
بقلم معتاد، سنة ١١٥١ هـ.

في السيرة النبوية والشمائل.

١٥٨ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى
للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، المتوفى سنة ٥٤٤ هـ.
بقلم تعليق جميل، سنة ١١٦٦ هـ، وهي مجدولة بالذهب، والصفحة الأولى مزينة مذهبة.

١٥٩ ـ مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا
لأحمد بن محمد بن محمد بن حسن الشمني، المتوفى سنة ٨٧٢ هـ.
بقلم نسخي، في القرن العاشر، وعليها تملك في القرن الثاني عشر

١٦٠ ـ أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل
لشهاب الدين أحمد بن محمد، ابن حجر الهيتمي، المتوفى سنة ٩٧٣ هـ.
فرغ منه سنة ٩٤٩ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١٠٧٤ هـ.

١٦١ ـ النور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج
لعلي بن محمد بن عبدالرحمن الأجهوري المالكي، المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١١٠٤ هـ.

١٦٢ ـ شرح على الغيطي
على قصة المعراج الكبرى لنجم الدين محمد بن أحمد بن علي الغيطي الشافعي، المتوفى سنة ٩٨٤ هـ.
فرغ منه سنة ٩٩٩ هـ.
بقلم نسخي حسن، سنة ١١١٧ هـ، من نسخة عن نسخة عن نسخة المؤلف.

١٦٣ ـ الألفية في السيرة
لزين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١٠٠٣ هـ.

١٦٤ ـ شرح قصيدة كعب «بانت سعاد»
لجمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد، ابن هشام الأنصاري، المتوفى سنة ٧٦١ هـ.
بقلم نسخي، سنة ١٠٨٣ هـ، وهي مقابلة على نسخة أخرى.

١٦٥ ـ شرح الشفا
لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ.
فرغ منه سنة ١٠٥٨ هـ.
في مجلدين.
نسخة نفيسة، بقلم نسخي، سنة ١١٨٢ هـ، والصفحة الأولى والثانية مزخرفتان مذهبتان.

في التاريخ والتراجم:

١٦٦ ـ مختصر طبقات الشعراني
بقلم معتاد، سنة ١٠٣٤ هـ، ولعلها بخط المختصر.

١٦٧ ـ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار
لعبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الشافعي، المتوفى سنة ٩٧٣ هـ.
فرغ منه سنة ٩٥٢ هـ.
بقلم نسخي حسن، سنة ١٠٥٠ هـ.

١٦٨ ـ وحيدة الدهر وفريدة العصر
في التواريخ والأخبار
في شرح قصيدة أبي محمد عبدالمجيد بن عبدالله بن عبدون، المتوفى سنة ٥٢٩ هـ، التي يندب فيها بني الأفطس.
لأبي القاسم عبدالملك بن عبدالله بن بدرون الحضرمي، المتوفى بعد سنة ٦٠٨ هـ.
بقلم نسخي، من القرن العاشر، وعليها تملكات في القرن الثاني عشر.

١٦٩ ـ خلاصة الأقوال في معرفة الرجال (رجال الشيعة)
اختصر فيه كتابه كشف المقال في معرفة الرجال
لجمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ.
بقلم تعليق، سنة ١١١٠ هـ.

في الطب:

١٧٠ ـ تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب
لداود بن عمر الأنطاكي، المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ.
في مجلدين.
بقلم مغربي، سنة ١١٦٤ هـ.

في الجبر والمقابلة :

١٧١ ـ شرح على أرجوزة أبي الحسن علي بن عبد الصمد الجلاوي المالكي
وذكر الشارح أنه جاور بمكة سنة ٧٨٩ هـ ، وألفها هناك .
بقلم معتاد ، في القرن الثامن أو التاسع .

المجموعة الثالثة : التي أهداها السيد جيكوب بيكر إلى مكتبة الكونجرس ، سنة ١٩٨٣ م ، وكان والده قد أقام في تركيا فاقتنى هذه المجموعة ، وتصل مجلداتها إلى ٢٤٤ ، وهي تضم بعض المخطوطات الفارسية والتركية ، وقد راجعتها جميعها ، ومن مخطوطاتها القيمة :

في التفسير وعلوم القرآن :

١ ـ التفسير الوسيط
لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي ، المتوفى سنة ٤٦٨ هـ. الربع الأول إلى آخر سورة المائدة .
نسخة نفيسة ، بقلم نسخي ، سنة ٧٧١ هـ.

٢ ـ تفسير القرآن
لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ٣٧٣ هـ.
نسخة نفيسة ، بقلم معتاد ، سنة ٦٩٢ هـ.

٣ ـ نسخة أخرى فيها النصف الأول منه إلى آخر سورة الكهف ، بقلم معتاد سنة ٨٧٩ هـ.

٤ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل
لناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي ، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ.
بقلم معتاد ، سنة ٧٧٣ هـ.

٥ ـ التيسير في القراءات السبع
لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني ، المتوفى سنة ٤٤٤ هـ.
نسخة نفيسة ، بقلم نسخي ، من القرن السابع أو الثامن .

٦ ـ الفوائد المظفرية في حل عقائد تكملة الشاطبية
لكمال الدين أحمد بن علي المحلي الضرير المقرىء (انظر : كشف الظنون ١٣٠١ ، ١٣٠٢) حل فيها وشرح منظومته التي كمل بها الشاطبية فوصلت القراءات إلى عشر .
بقلم نسخي ، سنة ١١١٧ هـ.

في الحديث وعلومه :

٧ ـ في معرفة انواع علم الحديث (مقدمة ابن الصلاح).
لتقي الدين أبي عمر وعثمان بن عبدالرحمن بن موسى الشهرزوري ، ابن الصلاح ، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ.
رواية محمد بن جماعة ، رواية الشيخ عبدالله بن خليل ، رواية محمد المهتار ، عن المصنف .
نسخة نفيسة ، بقلم نسخي مشكول متقن ، سنة ٧٥٥ هـ.

٨ ـ إكمال الكمال (الاكمال)
شرح صحيح مسلم
لأبي عبدالله محمد بن خليفة بن عمر الأُبّي التونسي ، المتوفى سنة ٨٢٨ هـ.
الجزء الثالث من الفرائض إلى آخر الاستئذان .
بقلم نسخي حسن ، سنة ٩٨٢ هـ.

في فقه الحنفية :

٩ ـ الهداية
لبرهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني ، المتوفى سنة ٥٩٣ هـ.
الجزء الأول ، إلى آخر كتاب الوقف .
بقلم نسخي ، سنة ٧٤٥ هـ.

١٠ ـ حل المواضع المغلقة من وقاية الرواية في مسائل الهداية
لصدر الشريعة الثاني عبيد الله بن مسعود المحبوبي ، المتوفى سنة ٧٥٠ هـ.
ووقاية الرواية لجده برهان الشريعة محمود بن صدر الشريعة الأول المحبوبي .
بقلم معتاد ، سنة ٩٥١ هـ.

١١ ـ نسخة ثانية ، بقلم تعليق ، سنة ١٠٤٠ هـ.

١٢ ـ نسخة ثالثة ، بقلم تعليق ، سنة ٩٩٥ هـ.

١٣ ـ الاختيار لتعليل المختار
لمجد الدين أبي الفضل عبدالله بن محمود بن مودود الموصلي ، المتوفى سنة ٦٨٣ هـ.
بقلم نسخي حسن ، سنة ٨٥٤ هـ.

١٤ ـ درر الحكام في شرح غرر الأحكام
لمحمد بن فراموزين علي ، ملاخسرو ، المتوفى سنة ٨٨٥ هـ.
أتم تأليفه سنة ٨٨٣ هـ.
بقلم معتاد ، سنة ٩٦٦ هـ.

١٥ ـ شرح الفرائض السراجية (لسراج الدين محمد بن محمد بن عبدالرشيد السجاوندي، من رجال القرن السادس).
لعله لشمس الدين أحمد بن سليمان، المعروف بابن كمال باشا، المتوفى سنة ٩٤٠ هـ.
بقلم نسخي حسن، سنة ٩٤٥ هـ.

١٦ ـ لسان الحكام في معرفة الأحكام
للسان الدين أبي الوليد أحمد بن محمد بن محمد، ابن الشحنة الحلبي المتوفى سنة ٨٨٢ هـ.
بقلم نسخي حسن، سنة ٩٩١ هـ.

في الأخلاق والآداب الشرعية:

١٧ ـ شرعة الاسلام إلى دار السلام
لركن الاسلام محمد بن أبي بكر الجوغي الحنفي، إمام زاده، المتوفى سنة ٥٧٣ هـ.
بقلم نسخي، سنة ٩٩٤ هـ.

١٨ ـ مفاتيح الجنان ومصابيح الجنان
وهو شرح لشرعة الاسلام
ليعقوب بن سيد علي البروسوي، المتوفى سنة ٩٣١ هـ.
بقلم معتاد، سنة ٩٧٢ هـ.

١٩ ـ مكاشفة القلوب
فرغ منه مؤلفه سنة ٩٥٢ هـ.
بقلم معتاد، سنة ١١٨٨ هـ.

في التاريخ:

٢٠ ـ العرائس (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء
لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧ هـ.
بقلم نسخي، سنة ٧٩٧ هـ.

٢١ ـ زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام
لعمر بن إبراهيم الأنصاري الأوسي
بقلم نسخي نفيس، من القرن التاسع تقديراً.

في النحو:

٢٢ ـ الفوائد الضيائية في حل مشكلات الكافية
لنور الدين أبي البركات عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الجامي، المتوفى سنة ٨٩٨ هـ.
والكافية في النحو لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر، ابن الحاجب، المتوفى سنة ٦٤٦ هـ.
بقلم تعليق، في القرن التاسع.

٢٣ ـ نسخة أخرى، بقلم تعليق، سنة ١٠٣٠ هـ.

٢٤ ـ كتاب في النحو
ناقص من أوله، وآخره الباب الثامن من الكتاب في ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور. ثم ذكر إحدى عشرة قاعدة.
فرغ منه مؤلفه في البلد الحرام.
نسخة نفيسه، بقلم نسخي سنة ٧٦١ هـ، وعليها مقابلة وتصحيحات.

وهذه المجموعات الثلاث تكوّن مكتبة خطية طيبة، ينبغي أن يعتنى بها وأن تيسر الإفادة منها، فإنها لم تحظ حتى الآن بفهرسة شاملة تكشف عنها للباحثين، كما أنها تحتاج إلى ترميم وتعقيم، وتجليد وصيانة، واستنساخ لها بالرقائق المصوّرة (ميكروفيلم).

المخطوطـــات في المؤسسة العامـــة للآثـــار

أسامة ناصر النقشبندي

المؤسسة العامة للآثار ـــ بغداد

سنة ١٩٣٣ تأسست في المتحف العراقي مكتبة صغيرة سميت بمكتبة المتحف العراقي، وقد خصصت لها قاعة من قاعات مديرية الآثار، ثم أخذت تنمو وتتوسع وجلبت لها المطبوعات من كل مكان وفي كافة اللغات وأقيمت لها بناية خاصة لصق بناية المتحف العراقي القديمة، ونقل إليها الأستاذ كوركيس عواد عندما تولى الأستاذ ساطع الحصري مديرية الآثار وأصبح أميناً لها سنة ١٩٣٦ واعتنى في اختيار والتقاط الكتب النادرة والمهمة لها حتى أصبحت مرجعاً ثقافياً عراقياً لما تضمنته من المصادر والمراجع ونوادر الكتب، وأخذ يرتادها أعلام العراق من الأدباء والمؤرخين والمحققين، فكانت مركزاً للعلم والأدب والثقافة شأن ما كانت عليه خزائن الكتب القديمة في بغداد والقاهرة والمدينة ودمشق.

إلاّ أنه لم يكن للمخطوطات نصيب في مكتبة المتحف العراقي حتى عام ١٩٤٠ حيث اقتني وسجل أول مخطوط فيها وهو معجم البلدان لياقوت الحموي، وأهديت بعد ذلك مكتبة رشيد عالي الكيلاني ومكتبة الآباء الكرمليين ببغداد المعروفة بمكتبة انستاس ماري الكرملي ومكتبة ملاصابر الكركوكلي وغيرها.

وفي عام ١٩٦١ نقلت المخطوطات من بناية مكتبة المتحف العراقي لتستقر في إحدى قاعات المدرسة المستنصرية العباسية بعد أن تمت صيانتها وقد بلغ عدد المخطوطات آنذاك (٢٢٥٠) مخطوطاً وعهدت مسؤوليتها للمرحوم السيد ناصر النقشبندي مدير المسكوكات والأبحاث الاسلامية. وقد عملت في تلك الفترة موظفاً في مديرية الآثار العامة وكنت طالباً في كلية التجارة والاقتصاد ونسبت للعمل في قسم المخطوطات في ١٠/٢/١٩٦٢ وبعد وفاة المرحوم ناصر النقشبندي أصبح مسؤولاً عن المخطوطات المرحوم عبدالحميد خياط، وفي نهاية تلك السنة أصبحت مسؤولاً عن قسم المخطوطات.

وفي عام ١٩٦٣ انتقل القسم مع مكتبة المتحف العراقي إلى البناية الجديدة الحالية، وخصص فيها ركن خاص للمخطوطات، وقد عملت في تلك الفترة مع الأستاذ كوركيس عواد حتى خروجه إلى التقاعد سنة ١٩٦٤ وحاولت خلال عملي معه الافادة من تجربته في دراسة وفهرسة وتقييم المخطوطات وبعد ذلك تابعت موضوع المخطوطات في العراق وأماكن وجودها ورصدها واقتنائها إلاّ أن هذه العملية كانت ضيقة لعدم توفر المبالغ اللازمة للاقتناء وقلة الوعي في الحفاظ على المخطوطات. وقد بلغ عدد المخطوطات في نهاية الستينات نحو أربعة آلاف مخطوط.

وفي بداية السبعينات بدأ الاهتمام الفعلي بالمخطوطات حيث خططت مديرية الآثار لجمع المخطوطات وحمايتها ومنع الاتجار بها مستعينة بقانون الآثار رقم ٥٩ لسنة ١٩٣٦ وبعد ذلك شرع التعديل الأول للقانون المذكور وأفردت فقرات ومواد خاصة لحماية المخطوطات وتنظيم حيازتها والتصرف بها. وجعلت مديرية الآثار الدائرة المركزية للمخطوطات في العراق ومنحت الفرصة لحائزي المخطوطات من أفراد ومكتبات عامة وخاصة لتسجيل ما بحوزتهم من مخطوطات، كما تم رصد المبالغ اللازمة لاقتناء المخطوطات وشكلت لجان فنية انتقلت إلى المحافظات والمناطق النائية بحثاً عن المخطوطات واقتنائها وتسجيلها وإسداء الارشادات اللازمة لحمايتها. وكانت حصيلة هذه العملية الكبيرة

التي تعد مرحلة انتقال تاريخية في عالم المخطوطات في العراق أن بلغت المخطوطات التي يمتلكها القسم الآن أكثر من (٣٦) ألف مجلد مخطوط من بينها مجاميع كبيرة من المخطوطات النادرة والفريدة والخزائنية والتي كتبت بعضها بأقلام مؤلفيها كما أن من بينها مخطوطات لا تشكل الأهمية التي تتصف بها تلك المخطوطات مع ذلك فإن ما تحتويه مهما كان ، يعد مادة حضارة فكرية ، أنتجته الأمة كما تحمل بعض المخطوطات حديثة الخط تأليف ونتاجات فكرية وضعت في عهود التقدم والازدهار وفقدت ولم نعلم عنها شيئاً وجاءتنا بنسخ حديثة . لذلك فان كل مخطوط له أهمية خاصة لأن التأريخ بالنسبة للمخطوطات قد توقف ولم يعد هنالك نساخ يكتبون وينمقون المخطوطات بعد أن حلت الطباعة ويسرت طبع التأليف بآلاف النسخ .



وخلال هذه الفترة تم اقتناء خزائن خطية ذات طابع تراثي حافظ عليها أصحابها وعرفت بأسمائها كخزانة عبدالله السنوي وعباس العزاوي ومحمد صالح السهروردي وصادق كمونة وعبدالوهاب النائب وعبدالرزاق الألوسي ومسعود محمد وقاسم الرجب وأحمد نيازي وغيرهم .

من نوادر المخطوطات :

لقد تم اقامة أكثر من معرض للمخطوطات منذ عام ١٩٧٣ إلى الآن للتعريف بنوادر ونفائس المخطوطات ولاطلاع الجمهور على شكل المخطوط العربي وأساليب صنعه وتذهيبه وزخرفته وتنميقه وجماليته وشكل الورق والغلاف وأنواع الخطوط واللوحات الفنية . وقد بادرت مؤسسة الآثار أخيراً إلى تخصيص قاعتين لعرض المخطوطات فيهما في المتحف العراقي بصورة دائمة تم افتتاحهما مؤخراً وهي بادرة ينفرد بها العراق من بين الأقطار العربية .

ومن نوادر المخطوطات التي نمتلكها صفحات من القرآن الكريم كتبت على الرق بالخط الكوفي ترقى للقرنين الأول والثاني الهجريين وأجزاء من القرآن الكريم كتبت على الرق كذلك ترقى للقرن الثالث الهجري وكتاب مجمل اللغة لابن فارس كتب سنة ٤٤٦ هـ ورسالة الوافق بخط الخطاط البغدادي ابن البو المتوفى سنة ٤١٣ هـ وكتاب رسوم القضاة وكتاب الشروط للسمرقندي كتب سنة ٥٠٩هـ مع مجموعة أخرى من المخطوطات كتبت بأقلام مؤلفيها كابن خلكان وابن كثير الدمشقي وابن حجر العسقلاني والحافظ الذهبي والألوسي الكبير وغيرهم . إضافة إلى عدد من المخطوطات التي كتبت لخزائن الخلفاء والسلاطين والولاة والقضاة وغيرهم .

فهارس المخطوطات :

لقد نشر الأستاذ كوركيس عواد قبل سنة ١٩٦٠ ثلاث مقالات عن مخطوطات التأريخ والطب والأدب في مجلة (سومر الأعداد ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥) عندما كان عدد المخطوطات في حدود (٢٢٠٠) مخطوط .

وفي سنة ١٩٦٤ نشرتُ مقالة في مجلة الاذاعة والتلفزيون ضمنتها فهرساً لمخطوطات الموسيقى والغناء والسماع بمناسبة انعقاد المؤتمر العربي الأول للموسيقى.

وفي عام ١٩٦٨ أصدرتُ الجزء الأول من فهارس مخطوطات مكتبة المتحف العراقي تناولت فيه فهرسة (٥٠٣) مخطوطة في اللغة وعلومها. وفي سنة ١٩٧٥ صدر الجزء الثاني عن مخطوطات الفقه وأصوله تضمن وصف ٦٨٧ مخطوطاً. وفي سنة ١٩٧٩ صدر الجزء الثالث عن مخطوطات الغناء والسماع والموسيقى التي بلغت (٤٩) مخطوطة. وفي سنة ١٩٨٠ صدر الجزء الرابع العربي تضمن وصف (مجموعة من المخطوطات) مخطوط في الحساب والهندسة والجبر وفي سنة ١٩٨١ صدر الجزء الخامس عن مخطوطات الطب والبيطرة والصيدلة تناولت فيه وصف (٧٤٩) مخطوطاً وفي سنة ١٩٨٢ صدر الجزء السادس تناول وصف (٦٠٠) مخطوطة في الفلك والتنجيم. وفي نفس السنة صدر الجزء السابع الذي تناول وصف (٩٧١) مخطوطة في التأريخ والتراجم والسير. وفي سنة ١٩٨٣ صدر فهرس بالمخطوطات العسكرية نشر في مجلة سومر. إن ثلاثة فهارس من التي صدرت شاركتني فيها الآنسة ظمياء محمد عباس الموظفة في قسم المخطوطات. وأنجزت معها أخيراً فهرس مخطوطات الأدب قدم للطبع كما أعمل الآن على انجاز القسم الثاني من فهارس مخطوطات اللغة وعلومها تشاركني فيه السيدة باسمة الحبوبي. وأنجزت كذلك دراسة لاجازات الخطاطين في قسم المخطوطات والتي بلغت (٥٠) اجازة وهي من أكبر المجموعات في العالم وسأحاول طبعها بالألوان لاهميتها.

أما الخزائن الخطية الخاصة التي يحتفظ بها قسم المخطوطات فقد أصدرت لها عدة فهارس نشرتها في مجلة المورد منها مخطوطات الخزانة الألوسية ومخطوطات خزانة رشيد عالي الكيلاني ومخطوطات الخزانة العمرية وصدر أخيراً القسم الأول من مخطوطات خزانة عباس الغزاوي وسيستمر نشر فهارسها تباعاً.

لقد اتبعت في أعداد هذه الفهارس أسلوبين. الأول: هو أسلوب الفهرسة الوصفية الذي تناولت فيه ذكر عنوان المخطوط



جانب من خزانة **عباس العزاوي قبل نقلها الى مؤسسة الآثار والتراث**

واسم المؤلف والتعريف الموجز بالكتاب وأول المخطوط وتأريخ النسخ واسم الناسخ وما عليه من تملكات وقراءات وسماعات واجازات وحواش وشروح ثم ذكرت قياسات المخطوط والمصادر التي تتكلم على اسم المؤلف وعنوان الكتاب وألمحت فيما إذا كان المخطوط قد طبع أم لا وزودت الفهارس بنماذج مصورة للمخطوطات وكشافات للاعلام والعناوين والأمكنة. ومن الفهارس التي أصدرتها بهذا الأسلوب فهرس اللغة وعلومها والفقه وأصوله وفهارس مخطوطات الخزائن الخاصة التي نشرت في مجلة المورد.

والأسلوب الثاني الذي نهجته هو الفهرسة التحليلية حيث ضمنت الفهارس إضافة إلى ما ذكرته في الفهرسة الوصفية تعريفاً تفصيلياً لما يتضمنه المخطوط خصوصاً إذا لم يكن مطبوعاً، فقد ذكرت أقسام الكتاب من مقالات وأبواب وفصول وفوائد، وقد استخدمت هذا الأسلوب في فهارس المخطوطات العلمية كالفلك والتنجيم والحساب والهندسة والجبر والطب والبيطرة والصيدلة، حيث أن معظم المؤلفات العربية في



صفحة العنوان من النسخة الخزائنية لكتاب طبقات الشافعية الكبرى للسبكي التي كتبت سنة ٨٥٩ هـ ١٤٥٤ م

مواضيع العلوم اتخذت شكل الموسوعات العلمية فالكتاب الواحد يتكلم على جملة علوم في اختصاصات متقاربة في حين أصبح في الوقت الحاضر لكل علم من تلك العلوم ولفروعها كذلك تخصص معين فمن أجل الكشف عن محتويات كل مخطوط رأيت من الضروري أن أبين ما يحتويه من علوم ومعارف ليفيد منها كل باحث في حقل اختصاصه . فكتب الطب مثلاً معظمها يتكلم في الأمراض الكلية والجزئية كأمراض الرأس والعين والأذن والأنف والحنجرة وأمراض القلب والمعدة والمفاصل والجهاز العصبي والعظام والأورام والأدوية والعقاقير المفردة والمركبة ، وعليه فالضرورة تقضي بتفصيل ما يحتويه المخطوط من هذه .

كما أضفت كشافاً جديداً لم يظهر في الفهارس التي صدرت في العالم هو كشاف أوائل المخطوطات بدأته في فهرس الفقه وأصوله الذي صدر عام ١٩٧٥ . وقد دفعني إلى صنعه هو عملي في الفهرسة حيث أن هذا الكشاف يوفر على المفهرس جهداً ووقتاً كبيرين فمن مجرد تطبيق أول المخطوطات مع كشافات الأوائل يستطيع المفهرس معرفة عنوان المخطوط واسم المؤلف ، وإذا علمنا أن أكثر من ٥٠ ٪ من المخطوطات العربية في العالم لم تفهرس فان هذا الكشاف إذا ما شاع استخدامه سيختصر لنا الوقت لانجاز الفهارس ويسهل عملية الفهرسة . وقد رأيت أن هذا الكشاف استخدم أخيراً في فهرس أوقاف السليمانية بالعراق الذي صدر عام ١٩٨٣ وهي خطوة جيدة أتمنى أن تعم .

بالاضافة إلى هذه الفهارس التي أصدرناها فاننا نعمل باستمرار على وضع بطاقات فهرسة في مختلف العلوم ولجميع المخطوطات لتسهيل مهمة الباحث والمحقق . كما نعمل الآن بمشروع مهم وهو وضع بطاقات فهرسة للخزائن الخطية العامة والخاصة الموزعة في محافظات القطر والمسجلة لدينا في سجلات الحيازة والتي يزيد عددها على ٥٠ ألف مجلد مخطوط ، حيث تبين في بطاقات الفهرسة عنوان المخطوط واسم المؤلف وتأريخ النسخ واسم الناسخ وموضوع المخطوط وقياساته مع ذكر رقم المخطوط في الخزائن الخطية والمحافظة الموجودة فيها ورقم سجل الحيازة وقد استخدمنا لذلك رموزاً لغاية الاختصار . وسنحاول انجاز هذا الفهرس البطاقي في أقرب وقت ليستطيع الباحث والمحقق الوقوف على كافة المخطوطات في العراق من خلال هذا الفهرس ـ البطاقي دون تحمل عناء التنقل للبحث عما يريد . كما ستكون بطاقة ـــ الفهرسة هذه انموذجا لعملية البرمجة عند استخدام أجهزة الكومبيوتر في فهرسة المخطوطات .

أما بالنسبة للخدمات التي نقدمها للباحثين والمحققين فان جميع المخطوطات في متناول الباحثين وتحت تصرفهم لغرض الدراسة والتحقيق والنشر ، ونقوم بتصوير المخطوطات حسب الطلبات التي تقدم إلينا لغرض التحقيق والنشر على أن يكون صاحب الطلب من المحقيق والباحثين وإذا كان لغرض الدراسات العليا فتعزز الطلبات بكتابة تأييد من الجامعات أو المؤسسات

العلمية. وهناك مسك سجلات خاصة بالتصوير لغرض تنسيق عملية تحقيق المخطوط كما يتم حجز المخطوط الذي يصور لأحد الباحثين لغرض التحقيق لكي لا يتكرر العمل من قبل أكثر من محقق في نفس الوقت ولحماية المحققين من التجاوز على عملهم، يتم تنبيه صاحب أي طلب إلى أن المخطوط يقوم بتحقيقه فلان ... وهذا العمل قد حقق خدمة جليلة للكثير من الباحثين.

ولابد لي من الاشارة أخيراً إلى أن قسم المخطوطات يحتفظ بعلاقات طيبة مع مراكز المخطوطات والمعاهد والجامعات التي تهتم بالتراث العربي المخطوط ودراسته ونشره ومنها معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية والجامعات ومراكز المخطوطات في الأقطار العربية على وجه الخصوص. وكذلك أغلب مراكز المخطوطات في العالم وإن هذه العلاقات وتبادل المعلومات في حقل المخطوطات لها أهمية كبيرة في حماية المخطوطات والتعرف على ما يصدر من الفهارس والدراسات وكذلك ما يحقق وينشر من تراثنا العربي الاسلامي.

أضواء على فهرست المخطوطات العربية في أفريقية لعثمـــان البيلـــي

إبراهيم الزين صغيرون

أستاذ مساعد بقسم التاريخ

كلية العلوم الاجتماعية

ـ جامعة الامام محمد بن سعود

البيلي، عثمان سيد أحمد/ فهرست المخطوطات العربية. مشروع بحث تاريخ شمال نيجريا. ـ الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٤م، ٢٠٠ ص

تمهيد: مما لاشك فيه أن هذا الفهرست اسهام رائد ومجهود طيب يستحق عناية الباحثين بصفة عامة. وقد قام بإعداده والتقديم له عثمان سيد أحمد البيلي أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعتي الخرطوم وأحمد بلو وعميد كلية الآداب بجامعة الخرطوم سابقاً ووزير التربية والتوجيه بجمهورية السودان حالياً. وله عدد من المؤلفات والبحوث في مجالات التاريخ الاسلامي والدراسات الأفريقية[1].

وقد كان المؤلف مع نخبة من زملائه بقسم التاريخ بجامعة أحمد بلو قد أشرفوا وشاركوا في مشروع بحث تاريخ شمال نيجريا حيث أولوا عنايتهم الفائقة أمر المخطوطات العربية في نيجريا عامة والعمل على جمعها وتصنيفها وتنسيقها وحفظها ودراستها وقد كان هذا الفهرست جزءاً قليلاً من ثمار جهودهم القيمة في هذا الميدان[1]

وقد اهتمت دار جامعة الخرطوم للنشر إسهاماً منها في بث الوعي الفكري بالتراث الاسلامي الأفريقي بنشر الكتاب في غرة رمضان ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ ويقع في حوالي ٢٠٠ صفحة من القطع الكبير. وتعميماً للفائدة فقد قام المؤلف بإعداد الفهرست بالأبجديتين العربية واللاتينية «حتى يتسنى لقراء العربية عامة وأهل هذا التراث خاصة والباحثين فيه الإطلاع عليه والإستعانة به»[3] لذا فقد شمل القسم العربي من الفهرست الجزء الأول من الكتاب (صفحات ١ ـ ١١٩) والقسم اللاتيني الجزء الثاني (صفحات ١ ـ ٨١).

عرض الكتاب:

وضع المؤلف منهجاً علمياً دقيقاً للفهرست وقد برزت معالمه في ثبت المحتويات كالآتي:

ـ كشاف أسماء الأماكن المذكورة في أسماء المؤلفات ١١٧

في تقديمه لهذا «الفهرست» تناول المؤلف بالشرح جذور الثقافة العربية الاسلامية في أفريقية الغربية ورجوعها إلى القرن الثامن الميلادي وكيف انتشر الدين ولغة القرآن وحضارة الاسلام وكيف أخذ ذلك الاشعاع الحضاري القوي الباهر يمتد مع الزمن إلى ما يتاخم العالم الاسلامي من عوالم فيغمرها بنوره الساطع وذلك بفضل قوته الحضارية والاقتصادية والمداخل المختلفة التي كان ينفذ بها إلى تلك العوالم وتنفذ منها إليه مع التجارة والرحلة والهجرة وغيرها من وسائل الانتقال والتأثير والاتصال.

ومن الحقائق التاريخية الجديرة بالتسجيل والاعتبار التي أشار إليها المؤلف في هذا السفر القيم ذلك أنه في الوقت الذي أفل فيه نجم الاسلام ودولته في أوربا في القرون الوسطى وتفككت قواه في المغرب والمشرق قد ظل نجم الاسلام في صعود وتألق في تلك الفترة في أواسط أفريقية وشرقها ووسطها وغربها فيما عرف بعد ببلاد السودان وشهد هذا الاقليم قيام الممالك الاسلامية وتركزت فيه دعائم الثقافة العربية الاسلامية في العديد من الممالك وفي أوساط مختلف الجماعات، في غانا ومالي وفي برنو وفي سودان النوبة وفي بلاد التكرور.

أورد المؤلف في تقديمه لهذا الفهرست والمخطوطات التي أثبتت فيه بأن هذا يدل دلالة واضحة بأن اللغة العربية المعبرة عن روح إسلامي عميق وأصيل قد كانت لغة الدين والعلم والدولة أيام الخلافة «العثمانية الصكتية» والتي كان مركزها «ولاية صكت» الحالية الواقعة في الشمال الغربي من جمهورية نيجريا الفدرالية. تلك الخلافة التي شملت جل شمال نيجريا خلا بلاد البرنو وامتد بها الزمان طيلة قرن (١٨٠٤ ـ ١٩٠٣ م).

وقد شمل «الفهرست» بلاد البرنو (كانم ـ برنو) والتي كانت سابقة في هذا المضمار حيث قامت فيها الدولة «السيفية» واعقبتها الدولة الكانمية المعاصرة للدولة العثمانية حتى جاء الاستعمار ليفرض نفوذه الاداري والثقافي على الدولتين منذ مطلع القرن العشرين. وعلى الرغم من ذلك يذكر المؤلف بأن الدراسات القرآنية والثقافة العربية الاسلامية بسائر علومها وفنونها قد ظلت مستمرة وصلات كل هذه الرقعة الطويلة العريضة من أفريقية متصلة ببلاد العالم الاسلامي الأخرى في شمال أفريقية كلها ومصر والحجاز طيلة هذه الحقب من الزمان.

ويـعنى المؤلف في تقديمه لهذا «الفهرست» ويضيف بأن ازدهار اللغة العربية قد أدى إلى اسهام الكثيرين بالتأليف بها من رجالات الدولة والعلم والدين[٤] اذ تجمع مع الزمن رصيد كبير من المؤلفات باللغة العربية وبعض اللغات المحلية التي استعملت فيها الحروف العربية للكتابة مثل لغة الفلاني والهوسا والكنوري والنفي والتي تأثرت بالاسلام والعربية في ألفاظها ومضموناتها وتراكيبها الشعرية والنثرية. لذلك قد شمل «الفهرست» المخطوطات باللغة العربية واللغات الأخرى التي كتبت بالحروف العربية. وقد احتوى الفهرست كل المؤلفات ما عدا الرسائل الديوانية باستثناء تلك التي اعتبرت مهمة بالنسبة للجهاد العثماني الصكتي والمتعلقة بالعلاقات الإقليمية الخارجية في تلك الفترة الهامة.

وثمة أخرى جديرة بالتسجيل بالنسبة لهذا «الفهرست» ما أشار له المؤلف بأن المخطوطات المثبتة لا تقتصر على المؤلفات المحلية فقط بل تضمنت بعض مؤلفات العلماء المسلمين والعرب لما لها من أثر على العلم والتأليف في نيجريا[٥]. وفي ختام تقديمه لهذا «الفهرست» يلخص لنا عثمان سيد أحمد أهمية هذا التراث والآمال المرجوة منه بالنسبة للدارسين والباحثين حيث يقول:

«..... والمؤلفات المحلية المثبتة هنا جديرة بالدراسة والإهتمام لا كمصادر للدراسات الانسانية المختلفة فحسب بل وفي حد ذاتها كأدب أصيل وعريق ومتنوع وعميق لا يمكن اغفاله أو اهماله في فهم الشخصية النيجرية الأصيلة. ولهذا فان المراد من هذا «الفهرست» أن يكون صورة في شكل باقة عناوين لتلك الثقافة العربية الافريقية.

والأمل معقود أن يلفت هذا «الفهرست» الأنظار إلى أعمال «مشروع بحث تاريخ شمال نيجريا» بقسم التاريخ بجامعة أحمد بلو واهتمامه بجمع المخطوطات وحفظها وتنسيقها وتسهيل الاطلاع عليها والاستفادة منها بالدراسة والتحقيق والنشر

والترجمة متى ما وُجد إلى ذلك سبيل...»[٦].

وفي نهاية التقديم (صفحات ٤ ـ ٥) قد أحسن المؤلف بشرح ترتيب «الفهرست» والمخطوطات والطريقة التي أتبعت في الترتيب على الأبجدية وفق أسماء المؤلفين وتتبعهم أسماء مؤلفاتهم المخطوطة ثم يلي ذلك عدد الصفحات والموضع الذي يشار إليه بأرقام تشير إلى السجلات أو المظاريف التي وضعت بداخلها المخطوطات أو المجلدات التي غالباً ما تنسب لأسماء الأشخاص الذين قاموا بجمعها وقد أهتم المؤلف كذلك بشرح الإختصارات التي استعملت في «الفهرست» مما ييسر على الباحث الاستفادة مما ورد فيه ولعل من أبرز الفوائد التي تضمنها «فهرست المخطوطات العربية» المقدمة التي أفردها المؤلف ليحدثنا عن:

اللغة العربية والحرف العربي في غربي أفريقية (الصفحات ٦ ـ ١٥) فهي تلقى الضوء بصورة علمية دقيقة على شتى الوسائل والسبل والظروف الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية التي أسهمت في مدى انتشار اللغة العربية والحرف العربي في أفريقية قبل وبعد ظهور الإسلام. وكما ذكر المؤلف لقد كانت الفتوحات الاسلامية بداية لنهضة حضارية شاملة أهم ما فيها ظهور مراكز العلم وانتشار التعليم. ولقد كانت غرب أفريقية ولا تزال مرتبطة علمياً بما يحدث بالمغرب ومصر وغيرها حتى الحجاز والشام كما كانت ولا تزال مكان العديد من مراكز تعليم الاسلام وعلومه وقد برز من علمائهــا رجال أفذاذ كما يثبت «الفهرست» وأعاد المؤلف للأذهان ما أشار اليه ابن خلدون عن الصلة بين معرفة علوم اللغة وأهل الشريعة. ويعلق البروفسير عثمان سيد أحمد على هذه الظاهرة بالنسبة للموقف الخاص بعلماء الجهاد ونشاطهم في هذا المجال:

«إن دراسة المخطوطات المثبتة في هذا الفهرست لتوضح بصورة قاطعة صدق قول ابن خلدون والشريعة وما يتصل بها هي الغاية واللغة هي الوسيلة ولقد برع الكثيرون من علماء غربي أفريقية في العلمين. ولينظر من يريد لتآليف أحمد بابا التنبكتي أو الشيخ عثمان بن فودي أو أخيه الشيخ عبدالله بن فودي أو ابنه السلطان محمد بل عليهم جميعاً رحمة الله ورضوانه أو كتابات الشيخ الوزير جنيد بن محمد البخاري أمد الله في عمره وأرضاه. الملاحظ أيضاً أن اللغة العربية المكتوبة بها هذه المخطوطات هي لغة علماء وفقهاء ولكن بها ـ عند أبناء فودي على الخصوص ـ جدة وبلاغة وحياة. بل إن ما بلغته الكتابة العربية في عصرهم يجعل فترتهم من أهم فترات ازدهار الكتابة العربية في وقت كانت فيه الكتابة العربية في العالم العربي في فترة تقليد وركود.»[٧].

ملاحظات وتعليقات عامة عن «الفهرست».

(١) يجدر بنا باديء ذي بدء الأشادة بهذا الجهد القيم الذي بذله الأستاذ الدكتور عثمان سيد أحمد في إعداد هذا «الفهرست» بصورة علمية منهجية لموضوع له أبعاد كبيرة ومهمة بالنسبة لمستقبل الدراسات العربية الاسلامية في أفريقية. ولعل من أبرز التحديات التي تواجه الباحثين من المؤرخين خاصة والمهتمين بدراسة التراث الاسلامي الأفريقي بصفة عامة ـ ندرة المادة المكتوبة بأقلام المسلمين وغلبة المصادر التي كتبها النصاري من مبشرين ومستشرقين وغيرهم من الأوربيين. ان هذا «الفهرست» سيكون بلا أدنى شك هادياً ومرشداً للدارسين والباحثين وليس في مجال الثقافة العربية والأفريقية فحسب بل التراث الاسلامي بصفة عامة.

(٢) إن المتأمل في هذه المؤلفات التي تضمنها «الفهرست» يخرج بفوائد كثيرة. فقد احتوى على معلومات مفيدة وقيمة تنعكس من عناوين المخطوطات ومبثوثة في ثناياها وبوسع القاريء استخلاصها من الأعمال اليسيرة التي تم تحقيقها ونشرها في الأونة الأخيرة فإذا اتخذنا فترة الجهاد والخلافة «العثمانية الصكتية» كمثال نجد أنفسنا أمام علماء ومفكرين أفذاذ كما يثبت «الفهرست». فالشيخ عثمان بن فودي (المتوفى ١٨١٧) وأخوه الشيخ عبدالله فودي (المتوفى ١٨٢٩) وابنه السلطان محمد بل (المتوفى ١٨٣٧) من أوفر علماء المسلمين تأليفاً ومن أخصبهم انتاجاً في العصر الحديث. فهم بلاشك نمط متميز من علماء المسلمين المتعدد الثقافات والآخذ من كل علم بطرف وهم فوق كل ذلك من التابعين من علماء السنة الذين أسهموا بالاجتهاد في علوم الدين والشريعة.

ويحدثنا عثمان سيد أحمد في بحث آخر بأن للشيخ عثمان أكثر

من مائة مؤلف وللشيخ عبدالله ستون مؤلفاً أما محمد بل فقد رصدت له حوالي ثمانية وسبعين مؤلفاً[٨]. وعلى الرغم من أعباء الحكم وادارة الدولة فقد خصصوا حيزاً كبيراً من وقتهم للتأليف مما جعل عصرهم من أهم فترات ازدهار الكتابة في المسائل العربية والاسلامية وقد كان منهجهم شمولياً وموسوعياً لم يقف عند العلوم القرآنية والتفسير والحديث والفقه والأصول وإنما امتد نشاطهم العلمي إلى اللغة والتاريخ والتراجم والأدب من نثر وشعر كما هو واضح من «الفهرست» ولكنهم نهلوا من منبع ومعين واحد أصله القرآن والسنة.

(٣) ومن المعالم الفكرية البارزة التي يعكسها هذا التراث كما يتضح من الفهرست الاتجاه السلفي الواضح وبخاصة في فترة الجهاد التي اجتاحت غرب أفريقية منذ مطلع القرن الثالث عشر للهجرة والتي تميزت بصحوة اسلامية بلغت من القوة في خلال قرن واحد، حداً يفوق ما بلغته الموجة الاسلامية الأولى في خدمة الاسلام والثقافة الاسلامية في غرب أفريقية خلال سبعة قرون. وترجع أهمية هذا الموضوع إلى حقيقة واضحة وهي أن الدعوة السلفية ـ كدعوة اتخذت ـ اصلاح الوضع الديني للمسلمين ـ امتدت آثارها الى مناطق متعددة من بلاد المسلمين، وتركت أثراً كبيراً في العودة بالمسلمين إلى الدين القويم عن طريق اصلاح العبادة الاسلامية وتخليصها مما تسرب إليها من البدع والخرافات والوثنيات التي تفشت في البلاد. وقد ناسبت الدعوة السلفية بأفكارها الوضع الاسلامي في غرب أفريقيا حيث تأثر المسلمون بالبيئة الوثنية ومعطياتها[٩]. ولعل خير ما نستشهد به في هذا المقام ما ذكره الشيخ محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي في كتابه المثبت بالفهرست: **انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور** والذي أرخ فيه لجهاد والده الشيخ عثمان اذ يقول:

«وقد وجد في هذه البلاد (بلاد الحوصة) من أنواع الكفر والفسوق والعصيان أموراً فظيعة، وأهوالاً شنيعة، طبقت هذه البلاد وملأتها حتى لا يكاد يوجد في هذه البلاد من صح إيمانه وتعبده إلاّ النادر القليل، ولا يوجد في غالبهم من يعرف التوحيد، ويحسن الوضوء والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات، فمنهم كفار يعبدون الأحجار والجن، ويصرحون على أنفسهم بالكفر، ولا يصومون، ولا يزكون، ويسبون الله ويقولون في حقه ما لا يليق في جنابه الأعلى. وهؤلاء غالباً عامة السودان الذين يقال لهم: «ما غنداوا»، وبعض عتاة الفلاتيين والتوارك. ومنهم قوم يقرون بالتوحيد ويصلون ويصومون ويزكون من غير استكمال شروط، بل يأتون في ذلك كله بالرسم والعلامة، مع أنهم يخلطون هذه الأعمال بالكفر الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم وبعضهم من قبل نفسه، ..... وغالب ملوك هذه البلاد وجنودهم وأطبائهم من هذا القبيل ومنهم قوم يقرون بالتوحيد، ويصلون ويزكون من غير استكمال شروط كما مر، مع أنهم مقيمون على عوائد ردية وبدع شيطانية، ومنهم المنهمكون في المعاصي الجاهلية متأنسون بها، جارون فيها مجرى المباحات، حتى كأنها لم يرد فيها نهي، وهي حصال كثيرة أقاموا عليها، وهؤلاء هم أكثر عامة الفلاتيين، وبعض مسلمي السودانيين (الحوصة). إذ قد مر أن غالبهم كفار بالأصالة وبعضهم بالتخليط. ومنهم قوم عارفون بالتوحيد كما ينبغي، محسنون للوضوء والغسل والصلاة والزكاة والصيام بذلك كما ينبغي، وهؤلاء النادر القليل.»[١٠].

(٤) إن هذا «الفهرست» معين لا ينضب للباحثين في مجال الدراسات التاريخية في أفريقية الغربية فضلاً عن تناوله لموضوعات ـ كما تشير لها عناوين المخطوطات ـ ذات أهمية كبيرة في مجال التشريع والفقه والثقافة العربية الاسلامية. فكتاب الشيخ محمد بل «انفاق الميسور» لم يؤرخ لجهاد الشيخ عثمان فحسب وإنما شمل كل المجموعات التي اشتركت في الجهاد وذلك بتسجيل الروايات الشفهية المتعلقة بتواريخ هذه الشعوب ولم تكن وقفاً على الفلاني أو الهوسا وإنما شملت معظم «بلاد التكرور» وقد اهتم ـ مثلاً ـ لتدوين معلومات مفيدة عن بلاد اليوربا (Yoruba) وقد كان المصدر الذي اعتمد عليه أحد المؤلفات المحلية وعنوانه «**أزهار الربا في تاريخ يوربا**»[١١]. هذه النظرة والمعالجة الشاملة في كتابة التاريخ تنعكس في مؤلفات الشيخ عثمان ابن فودي وأخيه عبدالله وابنه محمد بل في انتمائهم لكافة «بلاد السودان» والذي يتردد صداه في الأسلوب وطريقة تعبيرهم عنه في لفظ «بلادنا السودانية» الذي يتردد في كتاباتهم[١٢]. وهذا التراث الضخم المتمثل في هذه المخطوطات التي احتواها هذا

« الفهرست » قد حظي باهتمام كبير في أوساط الباحثين في الدراسات الأفريقية في الجامعات الأفريقية والأوربية والدليل على ذلك هو الرسائل الجامعية التي تم تسجيلها لنيل درجات الماجستير والدكتوراه والتي كان محورها دراسة وتحقيق هذه المخطوطات كما تم نشر وترجمة بعضها للغات الأوربية[١٣]. إن الجهد الرائع الذي قام به هذا النفر من العلماء الأفارقة المسلمين إسهام كبير في مجال مصادر الدراسات التاريخية المتعلقة بالقارة وفتح جديد للمهتمين بإعادة كتابة التاريخ الأفريقي وتصحيح مساره ومناهجه التي وضعتها المدرسة الأوربية والعقلية الاستعمارية التي كانت ولا تزال مهيمنة في بعض معاهدنا ومؤسساتنا التعليمية.

(٥) ولعل من أهم المعالم الفكرية التي يمكن استخلاصها من عناوين المخطوطات والتي يجدر الإشارة إليها الأسلوب والمنهج الذي اتبعه العلماء الأفارقة في مخاطبة أتباعهم وتلاميذهم. أن المنهج التربوي والتعليمي القائم على المبادىء الاسلامية السمحة بأن الاسلام دين إقناع وحجة وبرهان. « **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** »[١٤].

أروع ما يتضح في الأسلوب التربوي الودود الذي انتهجه الشيخ عثمان بن فودي في تعليم أتباعه. والمتأمل للفهرست يمكنه أن يلمس هذا التقليد الذي يوضح بجلاء مسار الدعوة الاسلامية في غرب أفريقية التي تبنت منهجاً تعليمياً رشيداً بأسلوب الدعوة الهينة والكلمة اللينة الرقيقة ومن حق الشيخ عثمان بن فودي علينا أن نستشهد بالبعض من مؤلفاته التي أثبتها « الفهرست » والتي يتضح صداها ومغزاها التعليمي من عناوين المخطوطات الآتية :

(١) « إرشاد الأمة إلى تيسير الملة »[١٥].

(٢) « إرشاد أهل التفريط والافراط إلى سواء الصراط »[١٦]

(٣) بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية »[١٧].

(٤) « تبشير الأمة الأحمدية لبيان بعض المناقب القادرية »[١٨].

(٥) « تحذير الاخوان من إدعاء المهدية الموعودة آخر الزمان »[١٩].

(٦) « تعليم الاخوان بالأمور التي كفرّنا بها ملوك السودان »[٢٠].

(٧) « تنبيه الاخوان على أحوال أرض السوادن »[٢١].

(٨) « سراج الاخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان »[٢٢].

(٩) « نجم الاخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان »[٢٣].

(١٠) « نصائح الأمة المحمدية لبيان حكم الفرق الشيطانية التي ظهرت في بلادنا السودانية »[٢٤]

(١١) « نصيحة أهل الزمان لأهل السودان من الأعراب والأعجام في جميع البلدان. »[٢٥]

إن النظرة الفاحصة السريعة لعناوين هذه المخطوطات توضح ما ترمي إليه في استقصاء وتحليل المنهج التربوي الاسلامي في مؤلفات الشيخ عثمان ولنتأمل ذلك في مخاطبته « الأمة » و « الاخوان » والأسلوب التعليمي المتمثل في تبليغ الدعوة التي قامت تنادي بكتاب الله وسنة رسوله ولنلاحظ أيضاً الوسائل التي اتبعت لتحقيق هذه الغاية عن طريق أل « أرشاد »، « بيان »، « تبشير »، « تحذير »، « تنبيه »، « سراج »، « نجم »، « نصائح » و « نصيحة ».

إن النهضة التعليمية التي شهدها هذا الجزء من أفريقيا لم تكن وقفاً على الرجال فحسب بل شملت قطاعاً هاماً ومؤثراً في المجتمع فأقام الشيخ عثمان وأتباعه حلقات الدرس لتعليم النساء من خلف حجاب تمشياً مع التقاليد الاسلامية « والفهرست » يلقي الضوء على هذه الظاهرة الطيبة، في الاهتمام بتبصير المرأة بتعاليم الدين الحنيف. فقد أفرد الشيخ عثمان مؤلفاً مخطوطاً عنوانه :

« تنبيه الاخوان على جواز اتخاذ المجلس لأجل تعليم النسوان علم فروض الأعيان من دين الله تعالى الرحمن »[٢٦]

(٦) إن هذا التراث العربي الاسلامي المتمثل في المخطوطات العربية والتي أثبتها هذا « الفهرست » القيم والذي شمل المؤلفات المحلية في غرب أفريقيا لجدير بالاهتمام كمصدر للدراسات

الانسانية بصفة عامة وكتراث أفريقي إسلامي أصيل يدحض بصورة علمية موثقة آراء ومفتريات بعض المستشرقين الذين أنكروا في أسلوب مجحف ومتعصب مجرد وجود ما يسمى بالتاريخ الأفريقي دع عنك هذا التراث الانساني الهائل الذي تعرضنا له بالعرض والتحليل والذي كان من بعض ثمراته هذا «الفهرست» الذي يمثل بحق باقة رائعة للثقافة العربية الأفريقية(٢٧). والحقيقة الجوهرية التي أبرزها هذا العمل هي أن هؤلاء العلماء المسلمين الأفارقة قد أخذوا زمام المبادرة وأسهموا في إثراء التراث الاسلامي من واقع ظروفهم وبيئاتهم وتطورهم السياسي والاجتماعي. إن أروع الانجازات التي حققوها في هذا المجال بحق هو اهتمامهم باللغة العربية وآدابها التي أعانتهم في تدوين هذه المخطوطات واللغات الأخرى التي كتبت بالحروف العربية كالهوسا والفلاني والكنوري.

هذا التطور الفكري والثقافي قد أقلق مضاجع الاستعمار وأدواته الثقافية المتمثلة في الهيئات التنصيرية وبعض المستشرقين الذين كانوا يدركون خطورة هذه الحقائق ودورها في توحيد شعوب أفريقية تحت راية الاسلام من أجل التحرر والحفاظ على كيانهم وتراثهم. ولهذا قد عملت طلائع الغزو الفكري الاستعماري على طمس هذه الحقائق عن وعي كامل وبصيرة تامة إمّا لتثبيت دعائم الاستعمار وإمّا للابقاء على حالة الاستعمار بعد جلاء جيوشه. وقد كان السلاح البتار الذي أشهرته هذه القوى حرب اللغة العربية بكافة الوسائل والأساليب. وقد أحسن البروفسير عثمان سيد أحمد وأجاد في تناوله هذه السياسة وإيضاح مراميها وأهدافها في قوله:

«نحن في سودان وادي النيل وسودان غربي أفريقية وشرقها ووسطها في نيجيريا وفي تشاد، في تنزانيا وفي الصومال بل في أندونيسيا والفلبين نعرف كيف حوربت هذه اللغة وهذا الحرف وهما في حالة انتشار لا أنحسار مع الغزو الاستعماري القديم والحديث المثقل بصليبية شرسة تترصد وترصد الأموال والرجال والعتاد وتزحف تحت واجهات شتى وأسماء مختلفة رافعة شعارات العون والتحديث والتعليم ضامرة التفتيت والاضعاف والحد من رباط يوحد ويآلف ويدفع الناس إلى الأمام. إن تعلم اللغات الأجنبية لا يعنى إغفال اللغة العربية إن كانت هي لغة الناس أو لغة تراث الناس. وليس صحيحاً أن الأبجدية اللاتينية أنسب للغات الأفريقية من الأبجدية العربية فالشاهد أن أصوات العربية الأساسية والفرعية و حيازها أكثر وأوسع من رصيفاتها في اللاتينية التي تختلف في الانجليزية منها في الفرنسية أو الألمانية أو الأسبانية. ثم أن العربية بكلماتها وقواعدها وذوقها وتراثها أسبق وأغنى وأعرق وما شاء الله كان. وقد تم انتشار العربية وحروفها في ظروف بعيدة عن القهر أو الاستعمار أو الفرض.» (٢٨).

(٧) هذه بعض الملاحظات والتعليقات العامة حول «فهرست المخطوطات العربية» وفي يقيني أنه قد لفت الأنظار بصورة ملحة ومستعجلة للاهتمام بالتوثيق وسد النقص الكبير في الضبط البيليوغرافي وجمع المخطوطات العربية في مناطق أفريقية أخـرى وبخاصة شرقها ووسطها. إن التحدي الذي يفرض نفسه على الباحثين والمهتمين بالتراث العربي الاسلامي يقتضي التركيز وبذل جهود مماثلة في تلك المنطقة التي شهدت قيام الكثير من الإمارات الاسلامية التي ازدهرت فيها الثقافات العربية والسواحلية ذات الطابع الاسلامي المتميز في المدن والجزر الساحلية في زنجبار وممباسا ولامو وبمبا «الجزيرة الخضراء» وجزر القمر وملاقاشي(٢٩).

(٨) وختاماً إن هذا الجهد الكبير الذي بذله عثمان سيد أحمد في إعداد هذا «الفهرست» للمخطوطات العربية في غرب أفريقية سيقابل بالشكر والعرفان من القراء والباحثين والمهتمين بالتراث الاسلامي بصفة عامة والعاملين في حقل الدراسات الأفريقية بوجه خاص.

الحــواشي والتعليقــات

(١) من البحوث التي أسهم بها عثمان سيد أحمد في مجال الدراسات الأفريقية الاسلامية أود أن أشير هنا إلى بحثين وجدت فيهما فائدة جمة في إلقاء الضوء على هذا «الفهرست» وقد تقدم بالأول في المؤتمر العالمي الأول للمؤرخين الأفارقة والمنعقد في دار السلام في أكتوبر عام ١٩٦٥ وقد كان عن التقليد التأريخي للاسلام في أفريقية بالأنجليزية وعنوان :

Uthman S. Ismail: "The Historiographical Tradition of African Islam" أنظر :

T.O. Ranger, (edit) Emerging Themes of African History, Proceedings of The International Congress of African Historians (Dar Es Salaam, 1965) PP. 7—13.

أما البحث الثاني فهو عبارة عن تأملات في التاريخ الفكري والثقافي للجهاد والخلافة في غرب أفريقية وكان قد تقدم به ضمن حلقات البحث (Seminars) التي كانت تقام في قسم التاريخ بجامعة أحمد بلو في زاريا وكانو في شمال نيجريا وهو بالانجليزية أيضاً وعنوانه :

Uthman S. Ismail: **Towards An Intellectual History: Some Reflections On The Literature of The Jihad And The Caliphate. 1774 — 1903.**

(٢) هنالك عدد من الأساتذة من النيجريين والسودانيين وغيرهم قد كان لهم قصب السبق في الاهتمام بأمر المخطوطات العربية وقد نوه المؤلف بالدور الطليعي والرائد للأستاذ البروفسير المرحوم عبدالله إسحق الذي تم إهداء «الفهرست» له. وقد ساعده أيضاً من زملائه وطلابه المرحوم البروفسير محمد أحمد الحاج والدكتور مري لاست والدكتور الحاج جنيد بن محمد البخاري وزير صكت والدكتور علي أبو بكر وغيرهم.

(٣) **الفهرست ص ٢٢**

(٤) انظر إسهام أبناء فودي (الشيخ عثمان بن فودي وأخيه عبدالله ابن فودي وأبنه محمد بل) فقد جمعوا بين العلم والدين والسياسة بحسبانهم رجال دولة في الخلافة العثمانية الصكتية.

(٥) من المخطوطات التي أثبتت في **الفهرست** لبعض مؤلفات العلماء المسلمين الآخرين الآتي :

ـ أرجوزة الولدان في أصول الدين (قصيدة) التي نظمها أبو زكريا يحيى القرطبي الداري. **الفهرست** ص ٢٠

ـ قصيدتان **البردة** والقصيدة الهمزية «**كيف ترق رقيك الأنبياء**» للبوصيري. **الفهرست** ص ٢٦

ـ **أرجوزة في فتة المقبور وتحفة الظرفاء ونظم الدرر في علم الأثر** لجلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي. **الفهرست** ص ٢٨

ـ **هداية السالك لمذهب الإمام مالك** لشهاب الدين السيوطي. **الفهرست** ص ٣٢

ـ شرح مختصر **على السنوسية** لمحمد بن ابراهيم المالكي التلمساني. **الفهرست** ص ٥٨

ـ رسالة إلى كرم الله **بن الشيخ محمد (عن سقوط الخرطوم)** ومنشورة الأحكام للامام محمد أحمد المهدي (الإمام المهدي السوداني. المنشورات نشرها محمد ابراهيم أبو سليم. الخرطوم) **الفهرست** ص ٥٩

ـ **المنهج الفريد في معرفة علم التوحيد** لمحمد الوالي ابن سليمان **الفهرست** ص ٦٣

(٦) ـ**الفهرست** ص ٣

(٧) ـ **الفهرست** صفحات ١٣، ١٤

(٨) ـ أنظر بحث البروفسير عثمان سيد أحمد :

"Towards An Intellectual History: Some Reflections On The Literature of The Jihad" P.2.

(٩) ـ من المخطوطات التي توضح المنهج السلفي ومحاربة البدع نستشهد ببعض ما جاء في هذا **الفهرست** من تأليف الشيخ عثمان بن فودي الآتي :

ـ **إتباع السنة وترك البدعة** ص ٤٢

ـ **إحياء السنة وإخماد البدعة** ص ٤٢

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ص ٤٣
- **بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية** ص ٤٥
- **وثيقة الإخوان لتبيين دليلات وجوب إتباع الكتاب والسنة والإجماع ودليل اجتاب البدعة لمن يدين بدين الاسلام** ص ٥٣

(١٠) أنظر محمد بلو: **انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور** (القاهرة ١٩٦٤) صفحات ٥٨ ـ ٦٠

(١١) إن المصطلح (التكرور) كثيراً ما يستعمل في المصادر العربية ويطلق على كافة المسلمين في غرب أفريقيا أما اليوربا (**Yoruba**) فيطلق على مجموعة قبلية كبيرة وعلى الاقليم الذي يقع في جنوب غربي جمهورية نيجريا الحالية. وقد أبرز البروفسير عثمان سيد أحمد هذا المنهج الشمولي والمعالجة الموضوعية في الكتابة التاريخية في أدب الجهاد في بحثه الذي أشرنا إليه في الحواشي ١,٨ أنظر:

'Intellectual History', P. 15.

(١٢) **Ibid, P. 12**

(١٣) ومن الرسائل التي أجيزت لنيل درجات الدكتوراه والماجستير ما يلي:

- **ضياء الحكام** لعبد الله بن محمد بن فودي. تحقيق وترجمة شيخو باموسى. ماجستير جامعة أحمد بلو. طبع زاريا ـ ١٩٥٦
- **إحياء السنة وإخماد البدعة** لعثمان بن محمد بن فودي. تحقيق وترجمة إسماعيل بالفون. دكتوراه جامعة لندن ١٩٦٧
- **بيان وجوب الهجرة على العباد** لعثمان بن محمد بن فودي تحقيق وترجمة فتحي حسن المصري. دكتوراه جامعة أبادن ١٩٦٨
- **أجوبة أسئلة الأمير الحاج أبي عبد الله أبي بكر أسكيا محمد** ابن عبد الكريم المغيلي. تحقيق وترجمة J. O. Hunwick دكتوراه جامعة لندن ١٩٧٤.

للمزيد من الدراسة عن إسهام المخطوطات العربية في إثراء البحث التاريخي والدراسات الأفريقية أنظر مقالة:

J. O. Hunwick, 'The Study of Muslim Africa: Retrospect and Prospect'

وذلك ضمن دراسات وبحوث قدمت عن «الدراسات الأفريقية منذ عام ١٩٤٥» أنظر:

Christopher Fyfe, **'African Studies Since 1945** (London 1976) PP. 136 — 155

(١٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(١٥) **الفهرست** ص ٤٢

(١٦) **الفهرست** ص ٤٢

(١٧) الفهرست ص ٤٥

(١٨) الفهرست ص ٤٦

(١٩) الفهرست ص ٤٦

(٢٠) الفهرست ص ٤٦

(٢١) الفهرست ص ٤٧

(٢٢) الفهرست ص ٤٨

(٢٣) الفهرست ص ٥١

(٢٤) الفهرست ص ٥١

(٢٥) **الفهرست** ص ٥١

(٢٦) **الفهرست** ص ٤٧ وللمزيد من المعلومات المفيدة عن المنهج التعليمي والتربوي لعلماء الجهاد انظر بحث البروفسير عثمان سيد أحمد المشار إليه في الحواشي (١) و (٨) و (١١) **'Intellectual History'** PP. 1 — 18

(٢٧) ومن الكتابات الغربية التي تتسم بالغرور والقصور والجهل بهذا الرصيد والتراث الهائل الذي أسهم به المسلمون الأفارقة في تدوين تاريخ مجتمعاتهم ما جاء على لسان أحد الأساتذة الكبار في جامعة اكسفورد والذي يؤكد العلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار ودور المؤسسات الأكاديمية في الغرب في تشويه ومسخ صورة المجتمعات الأفريقية وتدلل على النزعة الاستعلائية العنصرية في تناولهم بالدراسة لهذه المجتمعات. يذكر هيوق تريفورروبر أستاذ كرسي التاريخ الحديث في تلك الجامعة الشهيرة ما يلي:

«... لربما يكون في المستقبل بعض التاريخ الأفريقي ولكن وفي هذه اللحظة فلاشيء البتة... هنالك فقط تاريخ الأوربيين في أفريقيا.. وما تبقى ظلام

وليس الظلام موضوعاً للتاريخ» أنظر : Hugh Trevor-Roper, «The Rise of Christian Europe» The **Listener** (London), 28 November 1963, P.871

والنص الأصلي كالآتي :

«Maybe in the future there will be some African history, but at the moment there is none... There is only the history of Europeans in Africa... The rest is darkness, and darkness is not a subject of history».

وللاحاطة بمفاهيم الدارسين وتصوراتهم ومناهجهم والخلفية التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية أنظر البحثين اللذين قام باعدادهما كل من يوسف فضل حسن وعز الدين عمر موسى للندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي في عمان بالأردن تحت عنوان :

«العرب وأفريقيا» والتي نشرت حديثاً في بيروت ١٩٨٤ وقد كان البحثان المشار إليهما كالآتي :

يوسف فضل حسن: «الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية» صفحات ٢٧ — ٤٥.

عز الدين عمر موسى: «الاسلام وأفريقيا» صفحات ٦٧—٨٦.

(٢٨) **الفهرست** ص٦

(٢٩) قد برز في القرن الماضي وأوائل هذا القرن العديد من العلماء الأفارقة والعرب الذين كتبوا الكثير من المؤلفات والمخطوطات باللغة العربية والسواحيلية في شتى الموضوعات المتعلقة بالتراث الاسلامي في شرق أفريقيا والذي لا يزال مهملاً وينتظر الإهتمام بجمعه والعناية بتحقيقه ودراسته. ومن العلماء الذين وردت أسماؤهم في المصادر والمراجع الأوربية والقليل النادر الذي وصلنا بالعربية تلمع بعض الأسماء من أمثال الشيخ محيى الدين بن شيخ ابن عبدالله القحطاني (١٧٩٠ — ١٨٧٩) وعلي بن خميس بن سالم البرواني (١٨٥٢ — ١٨٨٦) وسيد منصب بن علي (١٨٦٣ — ١٩٢٧) والشيخ علي بن عبدالله بن نافع المزروعي (١٨٢٥ — ١٨٩٤) والشيخ عبد العزيز الأموي (١٨٣٢ — ١٨٩٦) والشيخ عبدالله بن محمد باكثير الكندي (١٨٦٤ — ١٩٢٥) والشيخ أحمد بن سميط (١٨٦١ — ١٩٢٥).

ولعل أفضل مقدمة تلقي الضوء على دور هؤلاء العلماء الريادى في الدعوة الاسلامية والإسهام بالتأليف في حقل العلوم القرآنية البحث القيم الذي كتبه ب. ج مارتن عن بعض العلماء في زنجبار وشرق أفريقية في القرن التاسع عشر وعنوانه:

B. G. Martin, «Notes on Some members of the learned classes of Zanzibar and East Africa in the Nineteenth Century», **The International Journal of African Studies, Vol IV, Part 3,** PP. 525-545.

ومن الدراسات المتخصصة التي تناولت الشعب السواحيلي في الساحل الكيني وثقافته الأفريقية الاسلامية تلك التي أسهم بها أحمد عيضه سالم الأستاذ بقسم التاريخ بجامعة نيروبي وكتابه بعنوان:

A. I. Salim:
The Swahili - Speaking Peoples of Kenya's Coast 1895 — 1965 (Nairobi, 1973).

فهرسة جديدة للمخطوطات العربية الموجودة في هولندا

جعفر هادي حسن

لقد صدر في العام الماضي الجزء الأول من الفهرس الجديد للمخطوطات العربية في مكتبة جامعة ليدن وفي غيرها الموجودة في هولندا، وعنوان الفهرس باللغة الأنجليزية هو
Catalogue of Arabic Manuscipts in the library of the University of Leiden and other collections in the Netherlands.

وقد طبع في ليدن في مطبعة بريل. وسيضم الجزء الأكبر من هذا الفهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة جامعة ليدن. والمكتبة المذكورة تضم عدداً ضخماً من المخطوطات العربية تقدر بأربعة آلاف مجلد وتضم هذه المجلدات أضعاف عددها من النصوص فهي مكتبة غنية ومهمة لا تقل أهمية عن المكتبات الأوربية المعروفة. وهي أيضاً المكتبة الوحدة في هولندا التي ما زالت مستمرة في اقتناء المخطوطات العربية بطريق الشراء من الأشخاص والكتبيين وغيرهم. أما المخطوطات التي توجد في هولندا في غير مكتبة جامعة ليدن والتي يأمل المؤلف أن يضمها فهرسه فهي لا تتجاوز بضع مئات.

ومؤلف هذا الفهرس هو J.J. Witkam مسؤول القسم الشرقي في مكتبة جامعة ليدن وهو رجل معروف في حقل المكتبات وله كتاب وبعض المقالات في هذا الحقل. وسيكون هذا الفهرس الفهرس الرابع للمخطوطات العربية في هولندا، فقد ظهرت قبله ثلاثة فهارس. اثنان منها في النصف الثاني من القرن الميلادي الماضي وبداية القرن الحالي وقد رتب هذان الفهرسان حسب المضوعات. أما الفهرس الثالث فقد رتب حسب الحروف الهجائية للعناوين بينما رتبت المخطوطات غير المعنونة في فصل مستقل حسب الموضوعات وقد طبع هذا الفهرس طبعتين كانت الأولى عام ١٩٥٧ والثانية في عام ١٩٨٠ م وعنوان هذا الفهرس هو
P. Voorhoeve's Nandlist of Arabic Mamuscripts.

ويعد في الوقت الحاضر المرجع المعتمد عليه للحصول على المخطوطات العربية من هولندا. ومن الطبيعي أن لا يضم هذا الفهرس كل المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة جامعة ليدن لأن المكتبة كما ذكرت آنفاً ما زالت مستمرة في اقتناء المخطوطات العربية. ويقدر Witkamأن هذا الفهرس يضم ثلاثة أرباع المخطوطات العربية الموجودة في المكتبة المذكورة.

وفهرس Voorhoeve سهل الاستعمال وغير معقد وهو بهذا يختلف عن الفهرسين اللذين سبقاه لأنهما يتبعان طريقة معقدة في الترقيم، ولذلك يفضل الناس استعماله. وسيبقى مرجعاً لهذه المخطوطات إلى أن يحل محله الفهرس الجديد الذي نحن بصدد الحديث عنه. ويقول Witkam في المقدمة بأن هناك حاجة ملحة لتأليف فهرسة جديدة للمخطوطات العربية تختلف عن الطريقة التقليدية المتعارف عليها بحيث يكون بالامكان من خلال هذه الفهرسة الجديدة تطوير بعض العلوم التي لها علاقة بالمخطوط العربي والتي ما زالت بحاجة كبيرة إلى تطوير كدراسة الـ Arabic Paleography وكذلك دراسة المصطلحات والرموز التي استعملت في المخطوط العربي ودراسة تأثير البيئات غير الاسلامية كالبيئة الصينية مثلاً على صناعة الكتاب العربي إلى غير ذلك.

ويقول بأنه يهدف من تأليف هذا الفهرس تزويد الدارسين ببعض الحقائق التي تتعلق بهذه الحقول من الدراسة بالاضافة إلى

المساهمة في دراسة البيليوغرافيا والتراث الاسلاميين.

وسوف تظهر أجزاء الفهرس تباعاً وسيصحب كل جزء قائمة منفصلة تضم عناوين المخطوطات وأسماء مؤلفيها وكذلك قائمة بالمخطوطات غير المعنونة. وبعد أن يتم الفهرس بكل أجزائه سيلحق به ملحق عام مستقل يضم أسماء المؤلفين وعناوين المخطوطات وأرقامها وأسماء المكتبات الأخرى التي تضم مخطوطات الفهرس إلى غير ذلك. وسيبدأ المؤلف بوصف المخطوطات التي اقتنتها مكتبة جامعة ليدن بعد صدور فهرس Voorhoeve. والترتيب الذي يتبعه المؤلف في سرد هذه المخطوطات ليس الترتيب الألفبائي للعنوان أو الموضوع وإنما هو يتبع الترقيم التسلسلي لهذه المخطوطات في المكتبة والمسبوق بالحرفين .or اللذين هما اختصار لكلمة Oriental.

وقد بدأ المؤلف بفهرسة المخطوطات التي اقتنيت حديثاً من قبل المكتبة وقد اختار المؤلف للجزء الأول من فهرسه من بين المخطوطات الحديثة التي اقتنتها مكتبة جامعة ليدن مجموعة رينيه باسيه. وهذه المجموعة تضم مخطوطات أغلبها يتعلق بشمال أفريقيا وقد جمع رينيه هذه المخطوطات عندما كان مقيماً في الجزائر من عام ١٨٨٠ م إلى عام ١٩٢٤ م. وقد احتوى الجزء الأول على القسم الأكبر من هذه المخطوطات.

أما الطريقة التي اتبعها المؤلف في فهرسه فهو يوضحها في المقدمة. فهو يقول بأن الفهرس سيضم شرحاً كافياً ووافياً عن كل مخطوط، وهذا الشرح يعتمد على ثلاثة عناصر وهي:

أولاً: **التشخيص**: أي تشخيص المخطوط ويعني هذا ذكر العنوان وذكر اسم المؤلف إذا كانا موجودين ثم ذكر مصادر التعريف بالمؤلف وإذا كانت هناك ضرورة لذكر الأدلة لهذا التشخيص فإنها تذكر.

ثانياً: **الوصف المادي**: ويندرج تحت هذا ذكر المادة التي كتب عليها المخطوط كالورق والرق وكذلك عدد الصفحات وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة وطريقة ترقيم الصفحات والمادة المستعملة في كتابة المخطوط وذكر ناسخ أو نساخ المخطوط إن كان ذلك مذكوراً وكذلك عمر المخطوط ومصدر الحصول عليه وإذا وجد من الضروري أو النافع - كما يقول المؤلف - وصف ملاحظات مالك المخطوط أو الملاحظات الجانبية فإنها توصف. بالإضافة إلى تعيين نوع الخط.

ثالثاً: **وصف محتوى المخطوط**: ويتضمن ذلك إيراد الأدلة من خلال المضمون على مؤلف المخطوط وعنوانه. أما بالنسبة إلى المخطوط النادر أو ذي القراءات المختلفة فإنه يحظى بدراسة تفصيلية. أما المخطوط الكثير النسخ أو الحديث فسيحال القاريء إلى الفهارس الأقدم التي ورد فيها وصفه. وسيصحب كل جزء من هذا الفهرس مجموعة من نماذج المخطوطات المؤرخة التي ذكرت في ذلك الجزء من الفهرس. وسوف تكتب التفصيلات التالية عن كل نموذج: عنوان المخطوط واسم مؤلفه، تاريخ النسخ وعدد النسخ ومصدر اقتناء المخطوط إذا كان ذلك معروفاً. وسوف تكون هذه النماذج غير مربوطة ببعضها البعض من أجل أن يتمكن الباحث من ترتيبها بالطريقة التي تناسبه من حيث تاريخ الخط أو نوعيته ومن حيث تاريخ النسخ أو مكانه ومن حيث حجم المخطوط أو موضوعه إلى غير ذلك حسب الغرض من دراستها.

وفي الواقع فإن هذه النماذج سوف تكون مفيدة جداً في دراسة الـ Arabic Paleography وهو حقل لم يحظ حتى الآن بالدراسة الكافية وليست هناك إلاّ مؤلفات قليلة تطرقت لهذا الموضوع[1].

أما بالنسبة إلى ترقيم صفحات المخطوط فيقول المؤلف إن الترقيم المستعمل عادة في المخطوطات العربية هو الترقيم بالكلمات أي كتابة الكلمة من الصفحة اللاحقة في ذيل الصفحة التي قبلها. يضاف إلى ذلك بأن المخطوطات كانت قد رقمت صفحاتها من قبل مسؤولي القسم الشرقي في المكتبة الذين تعاقبوا على رئاسته. وإذا تبين أن ترقيم المخطوط مضطرب - كما يقول المعد - أو ليس هناك ترقيم على الاطلاق فإن ترقيماً جديداً سوف يستعمل في هذه الفهرسة.

ويقول المعد بأنه عندما يتحدث عن المخطوط فإنه سيذكر

فيما إذا كان المخطوط قد طبع وفيما إذا كان المطبوع يتفق مع النسخة المخطوطة أم لا . أما إذا كان هناك اختلاف فإنه سوف يذكر طبيعة ذلك الاختلاف . بالإضافة إلى أنه يتعرض إلى أماكن وجود النسخ الأخرى للمخطوط إذا وجدت وسوف يشير أيضاً فيما إذا كان هناك شك حول مؤلف المخطوط . وكذلك سوف يذكر الكتب والمقالات المهمة التي تحدثت عن ذلك المخطوط .

لاشك أن الفهرس عند إتمامه سوف يقدم خدمة كبيرة جداً للباحثين خاصة وأنه سيحتوي على الكثير من المخطوطات التي لم تفهرس من قبل وإن من هذه المخطوطات نسخاً لم يطلع عليها محققو بعض الكتب التي طبعت وظهرت في الأسواق . والجزء الأول من هذا الفهرس على صغر حجمه ضم شيئاً من هذه النسخ . وكمثال على ذلك كتاب قصص الأنبياء المنسوب إلى الكسائي الذي عاش في القرن الخامس الهجري . وهذا الكتاب كان قد طبعه أيسنبرج عام ١٩٢٣م ولكن الفهرس الجديد يذكر نسخة مخطوطة من الكتاب لم يعرفها أيسنبرج . وهي مخطوطة تختلف عن الكتاب المطبوع في أنها أكبر حجماً منه . وهناك أمثلة أخرى شبيهة بذلك احتوى عليها الجزء الأول من هذا الفهرس . ومعنى هذا أنه يجب أن يعاد النظر في بعض الكتب التي حققت والتي لم يكن محققوها قد اطلعوا على النسخ التي يذكرها هذا الفهرس . وسيكون الفهرس أيضاً وسيلة قيمة لأولئك المهتمين بتأريخ الكتابة العربية وتطورها من خلال النماذج التي سيزود المؤلف بها الباحثين . وهناك ظواهر لغوية في هذا الفهرس جديرة بالدراسة والبحث . واحدى هذه الظواهر هي المفردات المستعملة في بعض هذه المخطوطات . وقد لفتت انتباهي الأمثلة التالية :

الإفراغ (= الفراغ)، العسر (= العصر)، المذنوب (= المذنب)، الراج (= الراجي)، الرجول (= الرجل)، تمليكة (= تملك)، يتشكره (= يشكره)، ماسمك (= ما اسمك) إلى آخره . وهناك ظواهر أخرى عدا ما ذكرته آنفاً كاعطاء معان جديدة لبعض الكلمات أو اشتقاقات جديدة غير معهودة في اللغة العربية الفصحى أو تركيب للجملة غير معروف سابقاً إلى غير ذلك . وإذا ما كانت هناك بعض الملاحظات على هذا الفهرس فهي ليست كثيرة منها طول الوقت الذي سوف يستغرقه إكماله فقد ظهر الجزء الأول الذي ضم ٥٦ مخطوطاً عام ١٩٨٣ ولم يظهر الجزء الثاني حتى الآن . والملاحظة الأخرى هي أن النماذج المنفصلة من المخطوطات التي وعد بها المؤلف قراءه، والتي قال عنها بأنها ستظهر مع كل جزء من الفهرس، لم تظهر مع الجزء الأول حتى الآن.

هامش

(١) من هذه المؤلفات كتاب Georges Vajda المعنون Album de Paleographie Arabe وكتاب A. Grohmann المعنون Arabische Palaegraphie وكتاب Witkam المعنون Seven Specimens of Arabic Manuscripts وكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد المعنون «الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري» .

الرسائل الجامعية

العلاقـــات المصريـــة اليمنيـــة

في الفترة ١٢٣٣/١٢٥٦ ـ ١٨١٨/١٨٤٠

رسالة ماجستير لحسين الغامدي

الغامدي: حسين بن محمد عبدالله/ **العلاقات المصرية اليمنية في الفترة ١٢٣٣ / ١٢٥٦ ـ ١٨١٨ / ١٨٤٠ هـ ـ الرياض: قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م، ص رسالة ماجستير**

تتكون هذه الرسالة من ستة فصول وخاتمة تضمن الفصل الأول نبذة تاريخية مختصرة عن الوضع السابق للفترة في كل من العالم الاسلامي ابان العهد العثماني، ثم مصر، وأخيراً في شبه الجزيرة العربية بما فيها اليمن وتحدث فيه بايجاز عن ظهور الدولة العثمانية وكيفية امتدادها لتضم معظم أراضي العالم الاسلامي، ثم تناول في لمحة موجزة الوضع في اليمن قديماً حتى وصل في تسلسل تاريخي إلى ارهاصات تلك الفترة المقصودة، أما مصر ولأنها العامل الفعّال في ظهور تلك العلاقة بين القطرين فقد ذكر عنها بعض المظاهر السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية التي كانت تسودها في ذلك الوقت، مع الكلام عن فترة تولي محمد علي أمور ولاية مصر العثمانية، وما واجهه من عقبات داخلية وخارجية اعترضت طريقه في البداية، استطاع بعدها النفاذ إلى غايته المنشودة في تكوين دولة قوية سياسياً وعسكرياً.

ثم تحدث عن أحوال شبه الجزيرة العربية من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية عند ظهور دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وما صارت إليه أمور هذه الدعوة عندما قويت واشتد عضدها بقيام الدولة السعودية الأولى فانتشرت خارج حدود نجد وأنشأت لها علاقات متينة خاصة في جنوب شبه الجزيرة والمنطقة اليمنية التي كانت خير معين ومناصر لهذه الدولة السعودية وتلك الدعوة السلفية.

أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن حملات محمد علي باشا على شبه الجزيرة العربية للقضاء على الدولة السعودية الأولى بناء على التكليف الصادر إليه من الباب العالي العثماني، وهذا الفصل مهم لأنه يمثل بداية التواجد المصري في شبه الجزيرة العربية، فتكلم عن تحركاته الأولية لانشاء العلاقات بينه وبين المنطقة اليمنية سياسياً ممثلاً بالاتصالات التي جرت بين محمد علي وزعماء المنطقة اليمنية قبل سقوط الدرعية، وعسكرياً في حملة خليل باشا التي احتلت السواحل اليمنية عقب سقوط الدرعية متعقبة أنصار الدولة السعودية.

أما الفصل الثالث فقد خصصه للحديث عن بداية المنافسة البريطانية لابعاد النفوذ المصري عن الشمال اليمني وسواحله

وكيف أنها استغلت حادثة بسيطة (كحادثة مخا) لإقامة نقطة ارتكاز لها في ذلك الميناء اليمني، وتجلي شروطها وأهدافها الاستراتيجية في نص معاهدة مخا التي عقدتها مع الامام اليمني وبالتالي تحدث عن موقف مصر العثمانية من تلك المعاهدة البريطانية اليمنية المذكورة باعتبار أن ذلك التدخل البريطاني في أطراف الدولة العثمانية يُعد بادرة خطيرة يجب مقابلتها بالحزم والحذر لئلا تستشرى نتائجها فتشمل بقية مناطق النفوذ المصري العثماني، وهذا ما أكدته الأحداث فيما بعد ووقع بالفعل حينما وقفت السياسة البريطانية بالمرصاد لكل خطط الباشا التوسعية في المنطقة اليمنية وأرغمته أخيراً على التراجع والانسحاب.

أما الفصل الرابع فقد تحدث فيه عن فترة الركود العسكري والسياسي الذي شاب العلاقات المصرية اليمنية في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، حيث اشتغل الباشا بحروبه الخارجية في السودان واليونان وحوض البحر المتوسط، عن الأوضاع في شبه الجزيرة العربية عامة والمنطقة اليمنية بوجه خاص، وعمل وقواده هناك على المحافظة على تلك الأوضاع الراهنة فنشأ عن ذلك قيام العديد من الثورات ضد الحكم المصري مثل ثورة عسير القوية، التي تحدث عن أسبابها ومراحل صراعها مع النفوذ المصري في تلك الجهات، وما عاناه محمد علي وقواد جيوشه منها، ثم تناول النشاط الملحوظ للعلاقات الاقتصادية بين اليمن ومصر في ذلك الوقت باعتباره البداية القوية للتبادل التجاري والاقتصادي بين القطرين، ومع أن محمد علي من القوة والمنعة بمكان حيث كان يستطيع وقتها الاستيلاء الكامل على اليمن، إلاّ أنه نظراً لانشغاله الخارجي بما ذكرناه، فإنه اكتفى مؤقتاً بتلك الضريبة السنوية المفروضة التي كان يدفعها الامام اليمني في صنعاء، مع ضمه امارة أبي عريش إلى التبعية المصرية ريثما يتم له التفرغ المنتظر للتوسع في تلك المناطق.

أما الفصل الخامس، فقد تضمن المحك الفعلي لتلك العلاقات والتي وصلت مرحلة النضوج الحقيقي عندما عزم محمد علي باشا على الانفراد بحكم المناطق الواقعة تحت نفوذه مستقلاً عن السلطان العثماني، وأصبح تراوده فكرة الامبراطورية العربية فسعى عملياً إلى ضم اليمن إلى مناطق حكمه الأخرى بشبه الجزيرة العربية ونشأ الاتصال الكامل بينه وبين تلك المنطقة حينما بعث بحملة ابراهيم باشا إلى اليمن فتحدث هنا عن أسباب تلك الحملة العسكرية وهو أن انشغال محمد علي بحروبه الأخرى ضد الدولة العثمانية في الشام وما صاحب ذلك من قلة الاهتمام بأحوال شبه الجزيرة العربية، ساعد في نشوء حركة تمرد وعصيان بين جنوده الأتراك في الحجاز بسبب انقطاع المرتبات أو تأخرها عنهم وعندما شدد الباشا عليها الخناق انسحبت تلك الثورة ممثلة في زعيمها تركجة بيلمز جنوبا نحو اليمن لذلك اضطر محمد علي إلى إعادة التفكير جدياً في ارسال قواته إلى هناك لتعقب فلول المتمردين ومن ثم تنفيذ سياسته التوسعية في كسب أراضي اليمن وسواحله وللتحكم في مياه البحر الأحمر استراتيجياً واقتصادياً، فتكلم عن خط سير تلك الحملة براً وبحراً حتى استولت على تهامة اليمن وموانئها الشهيرة، ثم تحدث عن التقدم المصري نحو العمق اليمني عندما استولت قوات ابراهيم باشا يكن على منطقة تعز العاصمة الثانية لليمن، وكيف أن النفوذ المصري أخذ في التوسع شمالاً وجنوباً حتى شمل منطقة عدين واب وغيرهما من القرى والقبائل المجاورة للعاصمة صنعاء.

ثم تطرق إلى ذلك التطلع الدائم الذي ظل يراود الباشا ابراهيم يكن في دخول عاصمة الامامة اليمنية صنعاء وكيف أن محمد علي أحجم أخيراً عن تلك الخطوة رغم سهولتها ويسرها وذلك لاعتبارات دولية ذُكرت في حينها.

وأخيراً في الفصل السادس تناول بالتفصيل جملة المواقف البريطانية المعادية لوالي مصر محمد علي، والتي تمثل آخرها في الاحتلال الانجليزي لعدن عسكرياً لاتخاذها ليست نقطة ارتكاز كما حدث في مخا من قبل بل نقطة انطلاق متقدمة لمهاجمة التوسع المصري في اليمن، ثم عقب بنبذة موجزة عن العلاقات المصرية مع عدن وحضرموت والسابقة لهذا الاحتلال، ثم تطرق إلى الوضع الحاصل بين محمد علي باشا والسلطان العثماني والحرب السورية الأولى والثانية التي قام بها والي مصر ضد الباب العالي، وكيف استغلت بريطانيا هذا الخلاف الحاصل للاستفادة منه في فرض ضغوطها السياسية والاقتصادية المحلية ضد الباشا في المنطقة اليمنية ثم اهتبالها الفرصة لتأليب الدول العظمى ضد محمد علي وارغامه

على التخلي عن مخططاته وأحلامه الامبراطورية التي كان يزمع اقامتها في أراضي الدولة العلية.

ونتيجة لتلك الضغوط البريطانية والدولية تحدث في هذا الفصل عن معاهدة لندن الشهيرة لكونها تمثل بداية النهاية للوجود المصري في الأراضي اليمنية بل وفي شبه الجزيرة العربية كلها، اذ تم على أثرها الانسحاب المصري العام من تلك الجهات.

كذلك أشار إلى الحالة العامة التي سادت المنطقة اليمنية عشية الجلاء المصري عنها حيث اقتسمتها القوى المتصارعة في السهول والجبال هذا فيما عدا انفراد السلطات البريطانية في عدن بالهيمنة الفعلية على جميع المناطق المجاورة للجنوب اليمني، فحصلت على بغيتها الاستراتيجية في ابعاد كل القوى الخارجية عن طرقها الامبراطورية في البحر الأحمر أو الخليج العربي والموصلة إلى الهند.

وقد أجمل الباحث في النهاية أهم النتائج التي توصل إليها في هذا البحث وبالرغم من عدم وجود نصوص ثابتة لملامح الحكم المصري في اليمن من الناحية الادارية والسياسية والاقتصادية، لكنه قدم في هذه الخاتمة مستخلصاً واضحاً عن أهم تلك الملامح تلمسها في ثنايا وثائق تلك الفترة، ثم أبرز عدداً من الملاحق الوثائقية أوردها بنصوصها الكاملة ليطلع عليها القاريء، ثم ثبت باسماء حكام اليمن وسلاطين الدولة العثمانية المعاصرين لتلك الفترة، ولأهمية موضوع البحث فقد حرص على الاطلاع على مصادره في مظانها الأصلية.

منطقة الطائف : دراسة في الجغرافية الاقليمية

رسالة ماجستير لعبد الرحمن الزامل

الزامل السليم، عبدالرحمن/ منطقة الطائف دراسة في الجغرافيا الاقليمية. ــ الرياض : كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الاسلامية، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٢م ، ٥٨٢ ص ، رسالة ماجستير

توزعت هذه الرسالة على مقدمة وعشرة أقسام وخاتمة على النحو التالي :

١ . المقــدمة : ــ

وقد حوت ما يأتي : ــ

١ . أسباب اختيار البحث ، وأهدافه .
٢ . تنظيم البحث.
٣ . عرض المراجع.
٤ . منهج وطريقة الدراسة الميدانية.
٥ . موقع المنطقة وأهميته.
٦ . تحديد المنطقة.

القسم الثــاني : ــ

٢ . الجيولوجيا والسطح : ــ

٢ . ٢ / أ / الجيولوجيا : وقد درسته بشكل يخدم الغرض الجغرافي، وذلك بدراسة الصخور ومدى مقاومتها للعوامل الجوية، وأهمية تلك الصخور في تشكيل سطح الأرض من حيث صلابتها وعدمه. لأن ذلك يعطي أهمية خاصة، في فهم السطح وعدة ظواهر جغرافية أخرى كالتصريف، وأنواع المياه، ونحوه.

٢ / ب/السطح : قُسّم إلى ثلاثة أقسام، وبين العوامل المورفولوجية التي أثّرت في تشكيل كلّ قسم من الأقسام الثلاثة.

القسم الثالث : ـ

المنـاخ : ـ
واشتمل على : ـ
١ . العوامل المؤثرة فيه ، كالموقع الفلكي
١ . والارتفاع ، والضغط الجوي والرياح.
٢ . دراسة عناصر المناخ، مثل الحرارة والرطوبة ، والأمطار، والبخر.

القسم الرابع : ـ

الهيدرولوجي : ـ
وقد شملت دراسته هنا الشبكة المائية ، ونوعية المياه ، ومكامن وجودها بالاضافة إلى دراسة أهم ستة أودية في المنطقة دراسة تفصيلية.

القسم الخامس : ـ

الغابات ، واشتمل على : ـ
تعريف الغابة ، وأهم غابات المنطقة ، ومساحة الغابات ، وملكيتها ، والبيئات والعشائر النباتية ، وأحوال الغابات وفوائدها، وأهم أشجارها.

القسم السادس : ـ

المراعي : واحتوى على : ـ
البيئات الرعوية ، واستعراض لحالة المراعي ، وقابلية النهوض بها ، وتطويرها وتنميتها ، ثم الجهود الرسمية في ذلك ، ثم تطرق إلى نظام الاحماء بشيء من التفصيل، وأعقبه بالحديث عن الثروة الحيوانية.
ويلاحظ أنّ هذا الفصل هو الثاني من حيث الطول بعد فصل السكان، وكان هذا نتيجة لأهميته التي تتجلى فيما يأتي : ـ

١ . المساحات الكبيرة التي تشغلها المراعي.
٢ . كونها مورداً أساسياً لقطاع من السكان ، بُني عليها جانب من الاقتصاد الوطني في السابق.
٣ . محاولة ايضاح الوضع الذي تعيشه المراعي وما يمكن أنّ ينتج عنه من أخطار بيئية، وتصحير للأراضي، وقصد بذلك محاولة تدارك ما تبقى منها لأن الفرصة مازالت مهيأة لذلك، خاصة في ظروف طبيعية ملائمة كظروف هذه المنطقة، وما يمكن أن ينتج عنه من تطوير للمراعي وتنميتها مما يكون ـ بالتالي ـ أساساً في تنمية الثروة الحيوانية ، خاصة وأن البلاد في حاجة متزايدة للحوم.
٤ . إن وجود نظام الاحماء في المنطقة قد حاز نصيبه من تلك الصفحات وما ذاك إلاّ لأنه نظام عريق أتى بنتائج باهرة على مر السنين وأثبت أنه النظام الرعوي الأكثر ملاءمة لمثل هذه المناطق.

القسم السابع : ـ

الزراعة : وقد تضمن الجوانب التالية : ـ
السمات الزراعية، العناصر الأولية للتنمية الزراعية، الوضع الزراعي، المساحة، والملكية، وأشكال الري والعمالة، والانتاج والتسويق.
ويتبين أنّ هذا الفصل قد احتل المرتبة الثالثة من حيث طوله ولعل ذلك راجع إلى الأسباب التالية : ـ
١ . مازالت الزراعة تحتل المرتبة الأولى في النشاط الاقتصادي.
٢ . اشتهرت المنطقة بزراعتها منذ القدم، خاصة بانتاج بعض أنواع الفاكهة كالعنب والرمان.
٣ . الوضع المتردي؛ الداعي للقلق الذي تمر به الزراعة.
٤ . محاولة تلمس بعض الحلول السريعة للنهوض بها وتنميتها.

القسم الثامن : ـ

السكان : وفيه : ـ
عدد وحجم السكان . المعدلات الحيوية والنمو الطبيعي. الهجرة. التركيب السكاني (نوعي، عمري، اقتصادي ومهني، اثنولوجي واجتماعي) تحليل مؤشرات المستوى المعيشي، التوزيع السكّاني، مستقبل السكان.

وقد شغل هذا الفصل أكبر حيز بين الفصول وذلك نتيجة لعدة أسباب منها : ـ

١ . أهمية دراسة السكان في معرفة التفصيلات التي سبق ذكرها آنفاً، فكلّ هذه الأمور تعتبر هامة وأساسية لبرامج التخطيط والتنسيق في المجالات المختلفة كالتعليم والصحة والرعاية الاجتماعية ونحوها. إنّ هذه الأهمية جعلته يراعي اعطاء هذا الفصل حقه من الايضاح والتبيين.

٢ . تشعب دراسة السكان، وعلاقاتها المترابطة مع مجالات علوم حيوية عديدة كالاقتصاد، والاجتماع، فنلاحظ مثلاً أن الحالة الاجتماعية قد استحوذت على عدد من الصفحات (١٤ صفحة) حيث تطرق البحث فيها إلى بعض الجوانب الاجتماعية وتبيين مشكلاتها وأسبابها، أمّا ما يتعلق بالجانب الاقتصادي فإن دراسة المستوى المعيشي (٣٠ صفحة) كانت أحد الأسباب في طول هذا الفصل، إن هذا الطول يتناسب وأهمية الموضوع المدروس، حيث تعتبر التحولات الاقتصادية من أهم جوانب الدراسة السكانية في المملكة، وما ذاك إلاّ نتيجة للطفرة المادية التي تعيشها البلاد.

٣ . التحول الكبير في مستوى المعيشة كان سبباً في إحداث بعض المفاهيم وتغيير بعضها في سلوك الناس، وتعاملهم، ويعتبر التحول في السكان من أكبر المؤشرات للتحول الاقليمي.

٤ . إن مقدار التغير الذي حدث في النواحي السكانية، أكثر من أي جانب آخر من جوانب الدراسة الجغرافية.

القسم التاسع : ـ

المراكز العمرانية وينضوي تحته : ـ

ـ المراكز الحضرية : الطائف ، الحوية ، الهدى .
ـ العمران الريفي .
ـ العمران شبه المستقر .
ـ المعالم الدينية والأثرية .

وقد احتل هذا الفصل المرتبة الرابعة من حيث طوله ولا شك أن ذلك الحجم كان نتيجة متوقعة حسب ما له من أهمية نتبينها مما يلي : ـ

١ . المنطقة تشمل أنواعاً مختلفة من البناء سواء في مادته ، أو طرازه .
٢ . ارتفاع مستوى المعيشة كان له دور بارز في انتشار العمران الحديث وكثافته سواء في المدينة أو خارجها .
٣ . صندوق التنمية العقاريّة وماله من فضل في النمو العمراني وامتداده .
٤ . محاولة الاهتمام بالأنماط المحلية ، والتنبيه إلى وجوب المحافظة عليها خوفاً من الاندثار والزوال .

القسم العاشر : ـ

النقل والمواصلات : ـ

ـ وسائط النقل .
ـ الطرق البرية . ـ قديمة ـ حديثة ـ مساهمتها في التحول في المنطقة ، ودورها في النمو .

خاتمة البحث : ـ

وشملت : موجز البحث . وما توصل إليه من نتائج . والتوصيات .

العرض و التحليل

الحكم المحلى والادارة المحلية لفوزي العكش

محمد عبدالله الحماد

مدير المعهد العربي لانماء المدن ــ الرياض

العكش، فوزي عبد الله / الحكم المحلي والادارة المحلية الأسس والتطبيقات. ــ العين: جامعة الامارات العربية المتحدة، ١٩٨٣م.

مهد المؤلف لكتابه عن الحكم المحلي والادارة المحلية كموضوع يستأثر باهتمام متزايد من قبل حكومات الدول المتقدمة والنامية، وأرجع ذلك إلى تغير أهداف الدولة عما كانت عليه وزيادة ما تقوم به من أعمال ونشاطات مما استدعى زيادة الاعتماد على الوحدات المحلية، والتعاون معها لاتصالها المباشر بالسكان ومشاركتها لهم وتعرفها على رغباتهم واحتياجاتهم، والعمل على تلبيتها وتحقيقها.

والكتاب يحتوي على تسعة فصول، يحاول المؤلف من خلالها القاء الضوء على الوحدات المحلية، وإيضاح مفهوم كل من الحكم المحلي والادارة المحلية وعلاقتهما بالمركزية واللامركزية ثم استعراض المجالس المحلية في التنمية، ثم عرض نماذج من الحكم المحلي والادارة المحلية في العالم وتقديم تطبيق عملي لنموذج من الحكم المحلي في إحدى الدول المتقدمة وآخر للادراة المحلية في إحدى الدول النامية.

وفي (الفصل الأول) لمس التطور التاريخي لفكرة وجود وحدات محلية تقوم بادارة شئونها بنفسها من خلال هيئة حاكمة محلية وعرض لتطور أنظمة الحكم والادارة المحلية واتخاذها اشكالا مختلفة وأن هنالك أربعة من الانظمة هي: النظام الفرنسي، والنظام الانجليزي، والنظام السوفييتي، والنظام التقليدي ولكل منها مميزاته الخاصة وتأثيره على النظم التي أخذت عنه...

ثم عرض للمركزية واللامركزية وأنهما يمكن أن تكونا متعلقتين بنواح سياسية أو نواح إدارية، وأن الاهتمام بهما وبنتائجهما له انعكاسات على الدولة المعنية بشكل عملي وعلى نوع وفلسفة الحكم القائم فيها والصلاحيات التي تتمتع بها وحداتها الادارية، اعتبر الحكم المحلي أسلوباً في اللامركزية السياسية تتنازل بمقتضاه الدولة عن جزء من سلطاتها التنفيذية والتشريعية والقضائية وتتحقق به مساهمة المواطنين في حكم أنفسهم وتطبيق مبدأ الديمقراطية.

وفي (الفصل الثاني) يتناول المركزية واللامركزية الادارية وعلاقتهما بالادارة المحلية، وأنه نظام يحقق وحدة الدولة السياسية واحتفاظها بكافة سلطاتها التشريعية والقضائية والتنفيذية مع تطبيق أسلوب إداري يتميز بالمرونة والسماح لمناطق الدولة بممارسة جزء من الصلاحيات الادارية للحكومة المركزية في دائرتها.

ثم عقد مقارنة بين أسلوبي الحكم والادارة المحلية

والصلاحيات التي تتمتع بها كل وحدة منها ضمن الأنظمة والقوانين المعمول بها في الدولة المعنية .

وخصص (الفصل الثالث) للمجالس المحلية كمظهر من مظاهر الحكم والادارة المحلية على الرغم من التفاوت في تشكيل كل منها أو الصلاحيات الممنوحة لها ، وعرض لدور عضو المجلس المحلي ومساهمته في نشاطات الوحدة المحلية وطرق اختيار الأعضاء والحكم المناسب لكل مجلس وتنظيم وإدارة المجلس المحلي ولجانه واختصاصاتها ثم المشاكل التي تواجهها هذه المجالس .

أما (الفصل الرابع) فقد خصصه للجهاز التنفيذي في الوحدة المحلية وتحديد اختصاصاته واعتماده في نجاحه على مدى قوة تنظيمه والصلاحيات الممنوحة له ونوعية الموظفين العاملين فيه .

وفي (الفصل الخامس) تكلم عن التمويل المحلي وأهميته للوحدة المحلية وما يترتب عليه من نتائج تؤثر على كيانها وحرية حركتها . وأنه لهذا ينبغي أن تتوفر لدى الوحدة المحلية مصادر مالية كافية حتى تستطيع القيام بمسئولياتها بالطريقة التي تراها مناسبة ، وتحدث عن الايرادات المحلية : ضرائب ، ومساعدات حكومية وقروضا .. وعن أوجه الانفاق والميزانية ..

وعرض في (الفصل السادس) لموضوع الرقابة على الوحدات المحلية ، وتفاوت مدى هذه الرقابة بين نظام وآخر ودولة وأخرى ، ثم لأهمية الرقابة وأهدافها وتطورها في الانظمة المختلفة ، وأنواعها واتجاهاتها المستقبلية .

وتحدث في (الفصل السابع) عن دور الحكم المحلي والادارة المحلية في التنمية ، وأن الوحدات المحلية قامت من قديم بدورها في تنمية مجتمعاتها المحلية وأداء بعض الخدمات البسيطة ، إلا أن المتغيرات التي حدثت في الفترة الأخيرة أدت إلى تغيير في طبيعة الدور الذي تقوم به الوحدات المحلية نتيجة لعوامل كثيرة في مقدمتها : التحضر ، التقدم التكنولوجي ، مفاهيم العدالة والمساواة ، تطور حركة انتقال السكان ، وقد نتج عن ذلك تغير مفهوم الدولة لدور الوحدات المحلية وأهمية إعطائها دوراً في العملية التنموية .

وفي (الفصل الثامن) عرض المؤلف نماذج من الحكم المحلي والادارة المحلية وركز على النظام القائم في الولايات المتحدة الأمريكية : نشأته وتطوره وأنواع الحكومات المحلية ، والمشاكل التي تواجهها على اعتبار أنه نظام مطبق في إحدى الدول المتقدمة مستمد في العديد من جوانبه من النظام الانجليزي .

أما (الفصل التاسع) والأخير فقد استعرض في عجالة الأنظمة السائدة وهي : النظام الفرنسي ، النظام الانجليزي ، النظام السوفييتي ، والنظام التقليدي . ثم تحدث بشيء من الاسهاب عن النظام المطبق في الجمهورية العربية السورية بوصفها من الدول النامية التي طبقت أكثر من نظام للادارة المحلية في العقود الأخيرة .

ويمكن أن نشير في اختصار إلى بعض المرئيات عن الكتاب وما قدمه من معلومات ، فيما يلي :

١ ـ اهتم بالجوانب النظرية للتفرقة بين الحكم المحلي والادارة المحلية وربطها بالمركزية واللامركزية . وأن الحكم المحلي في مفهومه يمثل اللامركزية السياسية ، والادارة المحلية عبارة عن أسلوب من أساليب اللامركزية الادارية . ثم عرض لفوائد تطبيق الحكم المحلي ومشاكله وما يحظى به من أهمية في الوقت الحاضر ، ولفوائد تطبيق نظام الادارة المحلية وامكانية تطويره ليصبح في المستقبل حكما محليا بعد تهيئة المناخ المناسب .

٢ ـ عني بالجهاز التنفيذي في الوحدات المحلية ، ورئاسته وأشكال هذه الرئاسة والصلاحيات الواسعة وتأثير كل منها على الجهاز ككل وإيجاد القيادة المقتدرة ، ثم لمنصب مدير البلدية CITYMANAGER وموظفي البلدية وما تواجهه الدول النامية من مشاكل تأمين كادر مؤهل منهم .

٣ ـ تحدث عن الايرادات المحلية ، وفي مجال الايرادات التي تفرضها الوحدات المحلية أشار إلى (الضرائب المحلية) وكنا نود لو أشار إلى ما تأخذ به بعض الأنظمة من

التفرقة بين الضريبة والرسم.

٤ ـ تناول الرقابة على الوحدات المحلية، في تفصيل وعناية، ويكاد يكون هذا الباب من أهم أبواب الكتاب وأكثرها إحاطة بأطراف الموضوع.

٥ ـ عرض لموضوع التنمية وأهميتها لدى الدول النامية والدور الذي ينبغي أن تلعبه الوحدات المحلية في تنفيذ خطط التنمية في نطاقها، وهو مجال جديد وخصب يحتاج إلى المزيد من جهود الباحثين والمفكرين.

٦ ـ ملاحظة شكلية: يبدو أن الباب الثامن من الكتاب الذي تحدث فيه عن النظام السائد في الولايات المتحدة كمنطلق متطور للنظام الانجليزي سبق الباب التاسع الذي تناول المدارس المختلفة وأحد التطبيقات «الجمهورية العربية السورية».

ولعل الاوفق أن يحل كل من الفصلين مكان الآخر.

٧ ـ كنا نود أن نجد خاتمة يضع فيها المؤلف خلاصة ما انتهى إليه من نتائج دراساته العلمية والتطبيقية وتوصياته للدول العربية والنامية للافادة منها في تجربتها مع الحكم المحلي أو الادارة المحلية. ولعل المؤلف يعرض ذلك في الطبعات القادمة.

دراسات في علم المعلومات لحشمت قاسم

محمد ابراهيم سليمان
عضو هيئة التدريس
معهد الادارة العامة ــ الرياض

قاسم، حشمت/ دراسات في علم المعلومات .ــ القاهرة : مكتبة غريب، ١٩٨٤م . ٢٥٣ ص

هناك إجماع بين المهتمين بالبحث في مجال علم المعلومات، على أن قضايا التساؤل الأساسية لهذا المجال تدور حول ما يلي :

أ ــ تحديد الاهتمام الموضوعي لمجال علم المعلومات .
ب ــ التحقق من عناصره الأساسية .
جـ ــ صياغة قوانينه الأساسية .
د ــ إقرار النظرية التي تصلح لتفسير الظواهر المختلفة للمجال .

وعلى الرغم من مضي أكثر من عقد كامل على الاهتمام بهذه القضايا، إلا أن الاتفاق العام الذي يتوقف عليه التطور المنتظر للأساس النظري لعلم المعلومات لم يتحقق بعد .

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسات التي تهدف إلى إعطاء صورة أولية أقرب ما تكون إلى التكامل لعلم المعلومات في مرحلته الراهنة، فضلاً عن إلقاء بعض الضوء على ما يدور على جبهة البحث في المجال .

والكتاب عبارة عن مجموعة مقالات ودراسات سبق نشرها خلال السنوات الخمس الماضية في المجالات المتخصصة في المكتبات وعلم المعلومات يجمع بينها هدف واحد هو التعريف بمجال المعلومات وإلقاء الضوء على بعض أبعاده وارتباطاته، كما تجمعها سمة مشتركة وهي الاهتمام بالجوانب النظرية والمنهجية لعلم المعلومات .

ومؤلف الكتاب هو الدكتور حشمت قاسم أستاذ علم المعلومات المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة . وهو من أنشط المؤلفين العرب ــ تأليفاً وترجمة ــ في مجال علم المعلومات . فقد أثرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات التي من أهمها : المكتبات المتخصصة، مصادر المعلومات، المكتبة والبحث، خدمات المعلومات، كما أسهم في تعريف القارىء العربي بالفكر الأجنبي في هذا المجال، وذلك من خلال ما قدمه من ترجمات عديدة ــ منفرداً أو بالاشتراك مع آخرين ــ من أهمها : الفهرسة : أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية، المكتبات الجامعية في الدول النامية، ثورة المعلومات، آفاق الاتصال ومنافذه في العلوم والتكنولوجيا، مراكز المعلومات : تنظيمها وإدارتها وخدماتها، نظم استرجاع المعلومات، الاتصال أساس النشاط العلمي .

هوية علم المعلومات :

الدراسة الأولى بعنوان « علم المعلومات في رحلة البحث عن هوية » . وهي محاولة لإلقاء نظرة على المجال، تجمع بين خصائص المقال الاستعراضي، والتحليل والربط واستخلاص النتائج فضلاً عن تسجيل الانطباعات . وتتناول الدراسة تطور المجال ومصطلحاته وموضوعات اهتمامه وحدوده وعلاقته بغيره من المجالات . وتستعرض في ذلك التعريفات المباشرة والتعريفات غير المباشرة للمجال، لتستخلص بعض الخصائص المميزة للمجال في المرحلة الراهنة، فضلاً عن التعريف بالمناهج والأساليب التي اتبعت للتعرف على أبعاد المجال وخصائصه، وتنطوي هذه الدراسة على دعوة للتوسل بأساليب القياسات الوراقية بوجه عام وتحليل الاستشهادات المرجعية بوجه خاص، في التعرف على

مورفولوجية علم المعلومات وجغرافيته السياسية .

علاقة علم المعلومات بالعلوم الاجتماعية :

الدراسة الثانية بعنوان « علاقة علم المعلومات بالعلوم الاجتماعية ـ تحليل للمصاحبة الوراقية » . وهي محاولة للتعرف على البنيان الداخلي لعلم المعلومات وارتباطاته الخارجية من خلال البحث الذي يقوم به معهد المعلومات العلمية بالولايات المتحدة ، والذي يعتمد على الإنتاج الفكري لعلم المعلومات ويستخدم الأساليب الاحصائية لتحليل الاستشهادات المرجعية . وتنتهي الدراسة إلى مجموعة من النتائج المتصلة بعلاقة علم المعلومات الاجتماعية من أهمها أن علم المعلومات منعزل نسبياً عن الإطار الفكري للعلوم الاجتماعية والسلوكية . وربما كان ذلك سبباً في صعوبة إسهام المجال في المعرفة في العلوم الاجتماعية بوجه عام ، وإعاقة اعتماده بشكل مناسب على ما تسفر عنه البحوث من نتائج في مجالات العلوم الاجتماعية الأخرى والإفادة من هذه النتائج . ومن بين الاستراتيجيات الممكنة لتحقيق ارتباط أوثق بالعلوم الاجتماعية ـ كما يرى المؤلف ـ الحث على دعم العلاقات الواهية القائمة بين علم المعلومات وغيره من المجالات .

كما توصي هذه الدراسة أيضاً بأنه ينبغي على علم المعلومات أن يركز جهوده على إقامة بنيانه المعرفي الداخلي وأن يحقق الإكتفاء الذاتي الفكري . وفي رأي المؤلف أنه ليس هناك أساساً ما يحول دون تقدم هذا البناء الداخلي المعتمد على أفضل جهود الماضي في نفس الوقت الذي يتم فيه صياغة تلك الصلات المتبادلة مع المجالات الأخرى ودعمها .

علم الاجتماع وعلم المعلومات :

وهو موضوع الدراسة الثالثة وعنوانها « علم الاجتماع وعلم المعلومات » . وهي تتناول ما أثارته جهود علماء المعلومات في سعيهم لتنظيم معلومات العلوم الاجتماعية ، من تساؤلات حول نظرية المعرفة في العلوم الاجتماعية . وينتهي البحث في هذه القضايا إلى نتيجة عامة مؤداها أن تصميم نظم الاسترجاع الفعالة حقا إنما يتوقف على المشاركة الدائبة والمستمرة بين علماء المعلومات وخبراء الموضوعات المتخصصة . وهذا البحث في نظر المؤلف يعتبر إسهاماً يمهد السبيل لإقامة هذه العلاقة .

كشافات الاستشهاد المرجعي :

الدراسة الرابعة عن « كشافات الاستشهاد المرجعي وامكاناتها الاسترجاعية » . وهي محاولة للتعريف بنوعية غير تقليدية من كشافات الإنتاج الفكري ، تتبع تطور فكرة هذه الكشافات والأساس المنطقي الذي تنبني عليه ، وتستعرض أهم ملامحها وامكاناتها الاسترجاعية مقارنة بامكانات النوعيات الأخرى من الكشافات .

وهذه الدراسة عبارة عن تمهيد للدراسة التي تليها عن تحليل الاستشهادات المرجعية .

تحليل الاستشهادات المرجعية :

وهو موضوع الدراسة الخامسة من دراسات الكتاب وعنوانها : « تحليل الاستشهادات المرجعية وتطور القياسات الورقية » . وهي تتناول الكشافات باعتبارها مصدراً لنوعية متميزة من البيانات كان لها أثرها في تطور مناهج البحث في علم المعلومات ، هيأت المناخ المناسب نمو عدد من الأساليب الاحصائية المعروفة بالقياسات الوراقية والمعتمدة على إحصاء الاستشهادات المرجعية . وتقدم هذه الدراسة تعريفاً بالقياسات الوراقية المعتمدة على إحصاء الاستشهادات المرجعية وفقاً لمجالات استخدامها إلى أربع فئات هي : تقييم المؤلفين وإسهاماتهم العلمية ، وتقييم الدوريات ، وقياس التأثير المتبادل للمؤلفين والدوريات والمجالات والمجتمعات العلمية ، وقياس معدل تعطل الإنتاج الفكري .

تطور مناهج البحث في علم المعلومات :

موضوع الدراسة السادسة من دراسات هذا الكتاب هو « دراسات كرانفيلد وتطور مناهج البحث في علم المعلومات » . وهي تتبع مراحل تطور المنهج التجريبي في دراسة نظم استرجاع المعلومات في سياق سلسلة الدراسات التجريبية التي استمرت أكثر من عقد كامل ونسبت إلى المكان الذي أجريت فيه وهو معهد كرانفيلد للتكنولوجيا . فبعد التمهيد الذي يبين مدى حاجة مجال المعلومات إلى المنهجية تستعرض الدراسة البدايات التاريخية لوضع معايير موضوعية لتقييم نظم استرجاع

المعلومات ، لتنتقل بعد ذلك إلى تجارب كرانفيلد التي بدأت عام ١٩٥٧ م حيث تتناول عناصر هذه التجارب وسبل إجراء الاختبارات ومعايير القياس والتجارب المكملة ، وأهم ما أخذ على هذه التجارب . ثم تتناول الدراسة بعد ذلك تجارب كرانفيلد الرامية لدراسة خصائص لغات التكشيف ، حيث تستعرض تصميم التجارب وأساليب الحكم على صلاحية الوثائق ومعايير القياس والتقييم ، وأهم ما انتهت إليه الدراسة من نتائج .

العربية في نظم المعلومات المتخصصة :

سعياً لخدمة أهداف المنهجية في دراسة قضايا المعلومات يقدم المؤلف في القسم السابع من الكتاب عرضاً لنموذج استخدام بعض أساليب القياسات الوراقية « قانون براد فورد للتشتت » ، لدراسة الخصائص البنيانية للإنتاج الفكري ، بالإضافة إلى استخدام المنهج التجريبي لمقارنة الامكانات الاسترجاعية للغة العربية بالامكانات الاسترجاعية للغة الإنجليزية في نظم الاسترجاع المعتمدة على اللغة الطبيعية . ويمثل هذا الجهد الرسالة التي تقدم بها المؤلف للحصول على دكتوراه الفلسفة في علم المعلومات .

الضبط الببليوجرافي وتعدد لغات الإنتاج الفكري :

أما القسم الثامن والأخير من الكتاب فهو عرض لأعمال ندوة حول نظم الاسترجاع متعددة اللغات . وقد تعرضت هذه الندوة لبعض الأسس اللغوية لتصميم هذه النظم ، فضلاً عن دراسة واقع هذه النظم في أوربا ، بالاضافة إلى المشكلات المتصلة بإنشاء وصيانة المكانز متعددة اللغات ، كما تعرضت هذه الندوة أيضاً لبدائل المكانز التقليدية متعددة اللغات ، بالاضافة إلى موقف المستفيدين من النظم متعددة اللغات .

مقدمة لعلم المعلومات :

في ختام هذا العرض المختصر لمحتويات الكتاب لابد من ذكر الملاحظات التالية :

١ ـ هذا الكتاب يمكن أن يحتل مكانه ـ بجدارة ـ كمقدمة لعلم المعلومات . فالجهد الذي بذله المؤلف في التعريف بمصطلحات علم المعلومات ، وتطوراته التاريخية ، وبيان حدوده وعلاقته بغيره من العلوم الاجتماعية ، وتطور مناهج البحث في علم المعلومات ، وأهمية اللغة في نظم المعلومات وخاصة الامكانات الاسترجاعية للغة العربية ، ونظم الاسترجاع متعددة اللغات ـ كل ذلك يعتبر جهداً رائداً في اللغة العربية ، وضرورياً للباحثين والدارسين العرب ، في هذا المجال الجديد عليهم ، وعلى الفكر العالمي أيضاً .

٢ ـ ابتعدت معالجات المؤلف عن السطحية وتميزت بالعمق في الدراسة والتحليل ، كما اتسمت بالجديد دائماً الذي تضيفه إلى فكر القارىء العربي ، ونظرة واحدة إلى الاستشهادات المرجعية الملحقة بكل دراسة من دراسات الكتاب ، تؤكد سعة إطلاع المؤلف واعتماده على الأساتذة المتخصصين في كل فرع من فروع هذا العلم الوليد .

٣ ـ قضية تعريب المصطلحات الأجنبية ، استطاع المؤلف أن يخطو فيها خطوات موفقة ـ ساعده على ذلك تمكنه من اللغة العربية ومعرفته باللغة الإنجليزية . ويبدو ذلك من خلال قدرته على نحت الألفاظ والمصطلحات العربية ومناقشتها للوصول إلى أفضلها وأكثرها تعبيراً عن المصطلح الأجنبي . وفيما يلي بعض الأمثلة والنماذج :

كشاف الاستشهاد المرجعي	Citation Index
المعلوميات	Informatics
كشاف التبادل الموضوعي	Permuterm Subject Index
التكافلية العلمية	Cybernetics
القياسات الوراقية	Bibliometrics
نظام التكشيف المحافظ على السياق	Preserved Context Index System (Precis)

٤ ـ وإذا كان المؤلف قد اعترف بأنه لم يستطع أن يجد مقابلاً في اللغة العربية للمصطلحين Informology ، Informatology ، فإنه قد اعترف أيضاً بأنه كان قد استخدم كلمة « إسناد » كمقابل لكلمة Citation ، ولكنه اكتشف أن الكلمة غير دقيقة فعاد واستخدم كلمة « استشهاد مرجعي » .

وهذا يطرح قضية هامة وهي عدم وجود قائمة مقننة بمصطلحات علم المعلومات يستطيع الباحثون الاعتماد عليها . وهذه مسئولية الأجهزة المختصة في الدول والمنظمات العربية ، لأن الفرد الواحد مهما تكن لديه الكفاءة والمقدرة ـ عاجز عن صياغة قائمة مصطلحات مقننة وموحدة ومتفق عليها للاستخدام في كل أنحاء العالم العربي .

الشخوص الروائية في فتاة من حائل لمحمد عبده يماني

فاضل السباعي

دمشق

يماني، محمد عبده/ فتاة من حائل. ــ الرياض: **المؤلف (المطابع الأهلية) ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠م، ٣٦٢ ص.**

رواية «**فتاة من حائل**» هي ، فيما أعلم، ثاني ثلاثة أعمال إبداعية للأديب السعودي محمد عبده يماني، تقدمتها مجموعة قصصية هي «اليد السفلى» وتلتها أخرى عنوانها «جراح البحر».

صدرت «فتاة من حائل» عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م)، في عاصمة المملكة العربية السعودية، في كتاب من ٣٦٢ صفحة، بلغ مستوى من الأناقة في التنضيد والطباعة والاخراج، وفي لوحة الغلاف واللوحات التزيينية الملونة الثماني.

تبدأ الرواية بأن يقف «**هشام**» طالب الهندسة المتفوق بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً) ، مع زملائه مترقبين إعلان نتائج امتحانات السنة النهائية. وهو يأمل أن يأتي نجاحه بتقدير «جيد جداً»، كي يتاح له أن يُعيَّن «معيداً» في الكلية ويوفد في «بعثة» إلى الخارج **ليستكمل تحصيله العالي**. إلا أن النتيجة تأتي مخيبة لآماله، فيقرأ اسمه ناجحاً ولكن بتقدير «جيد»! (ص ١٤).

على أن «المهندس» هشام ما يكاد يحس بالخيبة حتى يُقبِل عليه الحظ من تلقاء نفسه. ذلك أن خاله يصل، في اليوم التالي، إلى الرياض قادماً من مكة المكرمة، ليقترح عليه أن يعمل **مهندساً في وزارة الدفاع والطيران**، مع توقع ابتعاثه إلى الخارج (ص ٤٠). ولا يرفض ابنُ الأخت العرض، ويسرع إلى أهله في مكة للزيارة والاستشارة. ثم ما نلبث أن نراه يتّبع دورةً تدريبية في كلية عسكرية تستغرق أربعة أشهر، يُعيَّن بعدها في مدينة «حائل».... ومنذئذ يدعى : «**الملازم أول المهندس هشام**»(ص ٩٧).

وفي حائل ، تنعقد بينه وبين زميل له يعمل في القسم الاداري صداقة متينة تؤدي إلى أن يخطب هشام ــ الذي مضى عليه في الخدمة نحو سنتين ــ شقيقة هذا الصديق الحميم، «**هيا**»، وسرعان ما يعقد قرانه عليها(ص ١٢٧) ثم يكون عليه أن يسترضي أهله في مكة، وهو الذي قام باختيار شريكة حياته دون استشارتهم أو اعلامهم. ولكن تصرفه، المتسرع، لا يُثير في بيته المكي متاعب ذات شأن، فإن أباه، وكذلك الأمّ والشقيقة «رجاء»، يُبدون من الموافقة ما يحملهم على السفر بصحبة ابنهم إلى حائل لمباركة هذا الزواج (ص ١٤٨).

وأما عروسنا هيا ــ بنت الثانية عشر ربيعاً والتي حصلت في عامها ذاك على الثانوية العامة ــ فقد تبيَّن لنا أنها تملك قلباً من ذهب. فهي فضلاً عمّا توفّره لزوجها من حياةٍ هادئةٍ ناعمة، تقوم بحضّه ــ ولمّا يمض على زواجهما سوى شهر واحد ــ

على أن يستكمل تحصيله العالي في الخارج(ص ١٥٢). ولا يتعذّر على هشام تحقيق أمنيته القديمة، المتجددة، فقد عرف، في اليوم التالي، من رئيسه أن من حقه أن «يُبْتَعَث»، أسوةً بزملائه الذين قضوا في الخدمة سنتين أو يزيد(ص ١٥٧).

ثم يأخذ هشام في التأهب للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحيداً في عامه الأول، ضماناً لاتقانه اللغة الانكليزية(ص ١٧١). وترضى الزوجة بذلك على مضض.

بعد هذه السنوات الثلاث، التي انقضت من عمر بطل روايتنا المحبوب هشام، تبدأ مرحلة جديدة من حياته. تُقلع به الطائرة من جدة(ص١٨١)، ليستقر في **بلدة «ماونت بلزانت» في** الولايات المتحدة ملتحقاً بمعهد للغة فيها. وهناك، نراه يحافظ على سجاياه العربية وقيمه الاسلامية، وهو يذوب شوقاً إلى الزوجة الحائلية. وما إن انقضى عام اللغة هذا، حتى كان يُسرع إلى الوطن، **ليعود مصطحباً زوجته إلى موطن** دراسته(ص ٢٩٠).

على أن الزوجة، الطيّعة في حائل، تُبدي عناداً ملحوظاً في «ماونت بلزانت». وهو عناد لا شأن له بالحب أو الوفاء، بل يتعلق بـ **«التكيف» مع الحياة الجديدة** . ومما ساءه فيها، وأحرجه، أنها **تأبى التخلي عن زيّها التقليدي**، العباءة، **وعن تلك «اللفة»** التي تُديرها على الرأس وتسدل فوق الكتفين.

ويمَلُّ هشام من النصح والتوجيه. وهيا، في ذلك، تتابع دراسة اللغة الانكليزية، بواسطة الكتب والتسجيلات في البيت سويعات غياب زوجها، إلى حدّ الاتقان. ومع الكلال واليأس اللذين أصابا هشام في خلافاته المتفاقمة مع زوجته، ينصرف عن محاضراته إلى مرافقة الفتاة «جين»، «التي تصبح صديقته المفضّلة التي لا يفارقها في معظم الأماكن التي يتردّد عليها»(ص ٣٣٢).

وإذا كان قد تعذّر علينا أن نتبيّن أبعادَ العلاقة التي شدّت طالبنا العربي إلى زميلته هذه، فما أسرع ما بدت لنا أنها كانت علاقة كافية لأن تهدم حاضر الرجل، وذلك يوم عرفنا أن المعدلات التي حققها في دراسته قد تدنت إلى الحد الذي جعل «الملحق التعليمي» في نيويورك يكتب إليه: «يؤسفنا أن نبلغكم أن بعثتكم تعتبر لاغية»! (ص ٣٣٣). فلا يكون أمام الزوجين مفر من أن يستعدا لحزم أمتعتهما تمهيداً للعودة إلى الوطن.

إلا أن الزوجة، الحزينة لهذه النتيجة، الذكية، المتمسكة بعنادها رغم كل شيء ، تُبادر ، في غمرة الاحباط الذي حلّ بالأسرة الصغيرة، إلى الاتصال الهاتفي بالملحق التعليمي، وتحظى بموافقةٍ منه على أن **تلتحق هي بالجامعة، في دراسة تستغرق عامين.. وعندئذ يصبح في ميسور زوجها أن يبقى بصحبتها!** (ص ٣٤٢).

وبين فرحة هشام بهذا «الحل»، الذي سيُجنّبه العودة إلى الوطن منخذلاً، وبين **إحساسه بالمهانة، لأنه سيصبح تابعاً لزوجته وقد كان متبوعاً منها**، يوصلها بسيارته إلى الجامعة، حيث تدخل، أول مرة، قاعة المحاضرات ، وهي في .. زيّها الذي ما كان لها أن تتخلى عنه (ص ٣٤٦).

وتمضي الأيام. ويجتاز الزوجان امتحانات نهاية السنة بنجاح (ص ٣٥٢). وبعد عام آخر تتخرج هيا، وفي يمينها **«شهادة عليا** في آداب اللغة الانجليزية» (ص ٣٥٥). ويتخرج هشام في العام الذي يليه، وقد وُفّق إلى حيازة **«شهادة الماجستير في الهندسة»** (ص ٣٥٩).

وإلى الوطن يعود الزوجان، ليتابعا مسيرة الحياة.

○

لقد ضمَّت **«فتاة من حائل»** عدداً وفيرا من **الشخوص الروائية، التي اقتلعها مؤلفها من مَنْجَم عربيّ، مُطعِّماً إياها بشخوص غير عربية** ... وذلك ما أضفى على الشخوص تنوعاً وتمايزا، وإن تباينت حظوظها في ما نال كل منها على يد المؤلف من التوفيق والنجاح!.

وإني، في مقالتي هذه، لن أعمد إلى دراسة الرواية من جوانبها كلها، علاقات بشرية وحوارا وفنا روائيا، **ولكني سأقتصر على استعراض شخوصها، محللاً وناقدا**. أبدأ **بالبطلين المحوريين، هشام وهيا، وأثني بأفراد أسرتيهما**، وبعدئذ أعرج على سائر **الشخوص الثانوية**، منتهياً **بالشخوص العابرة**.

البطــلان المحوريــان
(هشــام وهيــــا)

في شأن **بطل الرواية المحوري، هشام**، لقد شاء المؤلف أن

يعهد إليه، ابتداء من أول سطر في الرواية، بمهمة رصد وقائعها وحوادثها من وجهة نظره، نظر البطل خاصة، مع أن المؤلف فرض عليه ــ من البداية أيضاً ــ أن يَرْصُدَها بضمير «الغائب» لا «المتكلم».

لقد كانت حقيقةُ الفن الروائي، التقليدي، تقتضي أن تكون شخصية البطل **«مستديرة»**، تتفاعل مع الحوادث والأحداث[1]. ولكنا وجدنا شخصية هشام «تستقيم» أو «تتسطح» ، طوال النصف الأول من الرواية، ذلك الذي ساد فيه منطق «كل شيء يسير على ما يرام» ... لولا أن ارتسم أمام أعيننا، فجأة، «المنحنى» الأول في **انعطاف** شخصيته الروائية، لحظة قرر السفر إلى الولايات المتحدة للدراسة دون أن يصحب زوجته، مع ما في هذا القرار من نقص في الحكمة، وبالتالي نقص في الاقناع. ثم تمضي شخصيته في انعطافاتها وفي النمو والتطور، حتى لقد رأينا من صاحبنا هشام عجبا.

إن بطلنا، مع تحفُّظه في مسألة الاختلاط بين الجنسين، يستجيب لالحاح مُساكنه في الغرفة، الأمريكي «توم»، **فيقبل الذهاب إلى تلك الحفلة الساهرة**، حيث «احتشد في القاعة عشرات الشباب، من الجنسين، يمرحون ويرقصون، ويتبادلون النكات والمداعبات في جو صاخب من المرح». والدافع عند هشام إلى هذه الاستجابة هو اعتقاده بأن «من المناسب أن يُروِّح عن نفسه بعض الوقت، ما دام واثقاً من متانة أخلاقه وقوة مقاومته». وثمة دافع آخر: لقد «بات يخجل من رفضه المتواصل لكل ما يعرضه عليه زميله من اقتراحات يراها هشام متنافية مع أخلاقه»(ص ٢٢٣).

وهشام، بعد أن زيَّن لنفسه مرافقة الطالبة «بات» في ذهاب وإياب والزوجة عنه بعيدة، «لاحظ، بكثير من السرور، أن معاملة زملائه وزميلاته قد تغيرت، وأن نظرتهم إليه قد تغيرت كذلك». وفي هذا الامتداد لشخصيته الروائية، يستجيب ــ للفتاة بات هذه المرة ــ «عندما أصرت على **تعليمه الرقص**»، غير غافل «عما يمكن أن تتطور إليه علاقته مع الفتاة الأمريكية إذا ما سها عن نتائج ذلك»(ص ٢٤٦).

على أن أهم ما حققته هذه الشخصية الروائية من نجاح، يتجلى في أن هذا الانسان العربي بدا لنا **وقد تخلى عن عنفه الموروث، أو المظنون**. فهشام لا يضيق بمناقشة الزوجة التي تخالفه الرأي وتعصيه، جالبةً له المتاعب المتواصلة، حتى إنها ــ في زعم نفسه ــ قد أودت به إلى هاوية الفشل والرسوب! وقد كان الظن أن يضيق بها صدراً، ويحلف في غضبه الأيمان .. هذا إذا لم يخطر له أن يُعيد الزوجة، المشاكسة، إلى الوطن، أو يُنزل بها صنفاً أشد من ... العقاب! ولكن بطلنا، المستنير، لم يفعل من هذا شيئاً قط. إنه، على النقيض من ذلك، رضي أن يعيش في كنفها مُحرماً ــ بعد أن أُلغيت بعثته وحظيت هي ببعثة ــ مُغالباً ما يثور في نفسه من بواعث الاحساس بالمهانة. لكأني بهذه الرواية تريد أن تعلن أن الرجل العربي، الخارج من تخوم الصحراء، يحمل في صدره قلباً رحيماً ونفسا لا أرقُّ ولا أصفى. **وتلك ــ لعمري ــ لمسةٌ حضارية في الرواية تُسجّل لبطلها** هشام، ومن ورائه كاتبها **محمد عبده يماني**.

ولئن كان مردُّ ظهور **هذه الخصلة لدى بطلنا العربي، إلى ما أثارته** زوجته في حياته **من متاعب ومنغّصات، لقد كانت ــ** هذه الشخصية الروائية، **الزوجة** ــ مزدوجة على المستوى النفسي، قد باعدت ما بين **شقيها هوة عميقة أو انفصام**. رأيناها، في النصف الأول من الرواية، **أشبه بملك هبط من السماء، ثم ما** لبثت أن انقلبت ــ وإلى غير ما عودة ــ **«نمرة» لم ينفع معها ترويض!**.

كانت هيا طيّعةً إلى حد الاستسلام. فمع أنها هي التي حضَّت زوجها على الابتعاث ليحمل أرق الشهادات وهيأته بالتالي لنوالها، رأيناها لا تجادله، إلا قليلاً، في مسألة اعتزامه السفر وحيداً حتى بعدما ظهر لها من غيظ حميها ــ والد هشام ــ الذي أعلن على مسمع من أفراد الأسرة في عطف مستتار: «قولي لنا رأيك يا بنتي .. واذا كنتي ما انتي موافقة.. فأقسم بالله العظيم انه هشام ما يسافر في هذي البعثة الا وانتي معه .. أو .. بلاش من البعثة كلها» (ص ١٧٦)[2]. ويغيب الزوج عنها عاماً دراسياً كاملاً، وفي زيارته للوطن، تهمس هذه الزوجة، الطيعة، في أذنه معاتبة في رفق: «أردت أن تذهب وحدك فطاوعتك لا لشيء إلا لتكون راضيا.. وليتك تعلم كم عانيت من الضغط النفسي الذي كاد يزهق أنفاسي وأنا أبدي لأهلك موافقتي على

سفرك وحيدا»(ص ٢٧٥).

كانت هذه الشخصية الروائية **مسطحة، ولكن على مستويين أو درجتين اثنتين**: ظهرت لنا، في تسطحها الأول، وهي في الوطن، وما إن أقلعت بها الطائرة باتجاه القارة الجديدة، حتى بدأ يلوح المستوى الآخر من تسطُّح شخصيتها.

والحق، لقد كان المؤلف واعياً، الوعي كله، لما يعتزمه من إحداث **انقلاب في البناء النفسي** لهذه الشخصية «الثنائية»، فرأيناه يعد العدة للانقلاب المرسوم، باذلاً جهداً فائقاً في **التمهيد والارهاص**. وهو، في الواقع، لم يبدأ بالتمهيد من يوم أن نزل البطل بزوجته إلى لندن وهما في الطريق إلى أمريكا، فرأت ــ الزوجة ــ من مظاهر الحياة ما جعلها تنفر، وتتقزز، وتستنكر، ولا تستجيب ، إلا بصعوبة، لرغبة زوجها في أن تستبدل بلبس عباءتها لبس ذلك «الفستان» الذي كان قد قدمه لها هديةً ... لا، ولكنه ــ أي المؤلف ــ شرع بالتمهيد مذ كان بطلا الرواية **معاً في للوطن**. تقول هيا: «لا يهمني أنني ذاهبة إلى أمريكا أو سواها .. إنني سعيدة لأن وجودك يسعدني ولأن جودي يسعدك.. ولو خيرتني لاخترت البقاء في بلادنا.. فهنا ولدنا .. وهنا عشنا .. وهنا اعتدنا على طريقة حياتنا التي نفخر بها ونعتز..» (ص ٢٨١). ثم يرد في الصفحة التالية: «لم تكن هيا كثيرة الحماسة للرحلة المزمعة إلى الولايات المتحدة مع زوجها، **فهي قد ألفَتْ الجو الذي نشأت فيه بحائل** (...)، أما الانتقال إلى جو آخر، كذلك الذي كان هشام يتحدث عنه، فلم يكن يروق لها كثيرا، وازدادت نفوراً منه عندما سمعت أحاديث زوجها، وتوقعت أن تجد صعوبة شديدة في التكيف مع هذه الحياة».

أشهدُ أن هذا «**تمهيد**» من المؤلف **مدروس**، قد سبق كل ما قامت به هيا من أفانين في مواجهة زوجها في العالم الجديد. ولكنه **تمهيد** ــ كما أراه ــ يصدر من ذهن إلى ذهن، دون أن يَعْبُرَ النفس ملامساً قناعتها.

إن **السؤال**، أو جملة الأسئلة التي ترد على الخاطر هنا، هي: هل إلْفُنا لأسلوب حياة في الوطن تجعلنا نؤثر البقاء فيه ولا نتمنى مغادرته ولو بصورة مؤقتة؟ وسماعنا الأحاديث عن أساليب حياةٍ غريبة في أقطار أخرى، هل يجعلنا حقاً ننفر من **الاقامة فيها ولو طلبا لتحصيل العلم؟** وما الذي حمل هيا على أن تتوقَّع، وهي في الوطن، أن تواجه «صعوبة شديدة في التكيف» مع الحياة القادمة؟ وما معنى «التكيف»؟ أتراها تظنُّ أن المجتمع الآخر يتطلب منها أن تنغمس فيه كفرد من أفراده، أو مواطنة من مواطناته؟ ألم يخطر لها أنها لن تعيش فيه إلا «على الهامش»: تشارك زوجها حياته في البيت، تُعنى بمأكله وملبسه ومسكنه؛ تُزجّي أوقاتَ فراغها بهوايات نافعة، كأن تطالع أو تدرس؛ تخرج وزوجها في نزهات أو رحلات؛ تنجب ولداً أو اثنين ... وذلك قبل أن تعود أدراجها إلى الوطن وقد اكتسبت قدراً من ثقافة وتجربة؟ ولكن كان في رأس هيا، أو في رأس مؤلفنا، موال آخر يريد أن يُغنّيه!.

لقد أطلت برأسها، على هذه الخلية الأسرية الصغيرة المؤلفة من زوجين، **معضلة كبرى**: هيا، لا تريد أن تتخلى عن زيِّها التقليدي! **أهي** مشكلة جديرة بأن يدور حولها «**صراع**» ــ استغرق عشرات الصفحات ــ أوشك أن يعصف بالأسرة؟.

كنت أتوقَّع أن يشغل ذهن هذه الزوجة، القادمة من الشرق، هم آخر: أن تضطرم في صدرها **نيران الغيرة** على زوجها، الذي يختلط بالفتيات والنساء، في قاعات المحاضرات وفي مكتبات الجامعة ومطاعمها ومغانيها. ولكنَّ شيئاً من هذا لم يساورها، ولا دار على لسانها أو ورد في بالها قط.

لقد شغلتها **هموم أخرى مختلفة**: يوم أبلغها زوجها أنهما «سيسهران في منزل أحد زملائه المبتعثين السعوديين المتزوجين»، أسرعت تشترط عليه ــ ولو في صورة دعابة ــ أن تجلس هي وزوجة زميله في غرفة، ويجلس هو والزميل في غرفة أخرى. ولكن ما نعرفه أن **التشدد** في مثل هذه المواقف يكون من جانب الرجل عادة! وفي إصرارها على أن ترتدي ملابسها السابغة، تقول لزوجها: «**جسدي ملك لزوجي فقط**.. وعليّ أن أُخفيه بهذه الملابس كما تعودت» (ص٢٩٣). وهذا، أيضاً، مما يقذف به الرجل الغيور في وجه امرأته التي تميل إلى الكشف عن مفاتنها، وليس لهيا أن تُجابه بمثله زوجها الذي ما عرفناه، في طول الرواية وعرضها، إلا متحفظاً وخلوقا.

ومما يستلفت النظر أن هذه الزوجة، المتشددة في مضمارها، نراها، متفتحة الذهن على تعلُّم اللغة الانكليزية، بالكتب والتسجيلات، حتى لقد استطاعت، خلال عام دراسي واحد، **أن تتقن اللغة وتُلمّ بآدابها**، مما مكّنها من اللحاق بأبناء هذه اللغة

ومتابعة دراسة جامعية للآداب الانكليزية، وجيازة شهادة رفيعة بعد عامين دونما رسوب أو تعثر!(٣).

قصارى القول في هذه الشخصية الروائية، المتميزة أنها — وإن لم تُحقق ظهوراً ملحوظاً على مسرح الرواية إلا في الصفحات المئة الأخيرة منها(٤) — كانت من قوة الحُضور، وجاذبية الشخصية، وحدة الذكاء والعناد معاً، ما جعلها العامل المؤثر والموجه في كل ما استجد من حوادث الرواية وأحداثها، ليس في هذا أدنى ريب!.

أســرة البطلــين

في زيارة هشام لمسقط رأسه، مكة المكرمة، بعد تخرجه مهندساً، أُتيح لنا **أن نتعرَّف إلى أسرته** ... **هل أقول : فرداً فردا؟** لا، لأن المؤلف شاء أن يقدم لنا، بعضهم، على درجاتٍ متفاوتةٍ من الحضور والوضوح، على حين أغفل بعضهم الآخر.

ولقد عرفنا من هشام أن **أباه(٥) كان** رجلاً **إلى المثالية أقرب،** وهو الذي كان قد«علمه أن يتخذ قراراته الحاسمة بنفسه (...و) أباح له حق اختيار **الاتجاهات الفاصلة** في حياته، وكان (الأب) فخوراً بذلك...» (ص١٢٣). وبدا أن «التنويه» بذلك، في الرواية، كان ضرورةً لابد منها لـ «تغطية» التصرف الذي بدر من هشام عندما خطب لنفسه وهو في حائل، وعقد القران، دون ما مشاركة من أهله أو استئناس برأي أب أو أم أو أخت وقد خشي هشام مغبة ما صنع، فزار مكة، وانفرد بأبيه مستنجداً به .. فكان أن رتبا «تمثيلية» لطيفة مررا بها، على خير، خبر الخطبة، ثم خبر العقد، على الشقيقة «رجاء» خاصة!.

عندما سمعت بالخبر «امتقع وجه **«رجاء»**، فجأة، وظهرت عليها آثار الصدمة»! (ص ١٤٠). ذلك أن هذه الأخت — التي وجدنا فيها الصديقة والحبيبة لأخيها هشام — كانت تحضُّ، بحيوية فياضة، أخاها على الزواج منذ جاء مكة مهندسا، وهي تسمي له فتاة بعينها — «فاطمة» — كانت زميلةً لها في المدرسة. ثم إنها تُعبِّر، في رسائل منها إليه، بعد أن يغادر إلى حائل، عن «توقها لأن تصبح «عمة»، وأن تسمع أولاده ينادونها: عمتي .. عمتي» .. (ص ١٠٠). ويوم تعلم من أبيها، وأخوها حاضر، أن قد قُضي الأمر بعيداً عنها هناك في حائل، تقوم إلى هشام تقبله «وهي تقول بتأثر: «مبروك يا خوي .. مبروك..»، فقال لها هشام مداعبا: «من قلبك؟»، «من كل قلبي!» .. (ص١٤١) ... ثم تكون، بين الشقيقة رجاء وبين العروس «هيا»، **مودة صافية كأقوى ما تكون المودة بين زوجة أخ وبنت حميا.**

والمؤلف، الذي وُفّق إلى أن يرسم لنا كلّ فرد من أفراد هذه الأسرة بريشة مختلفة وبلون متميز، شاء أن يصور لنا **الأم راضيةً مستسلمة** لكل ما يعده الأبُ للأسرة من ترتيبات حياة، **«فهو** أكثر خبرة، وعلما، وحكمة» (ص ١٤٧). وهي، بالتالي، تتسم بالطيبة التي تبلغ حدَّ السذاجة. فعندما تسمع أن اسم الفتاة، الحائلية، التي اختارها ابنها لنفسه، هو «هيا»، تعلن: «مدري ايش يعني «هيا»، بس والله اسم حلو» (ص ١٤٢).

ويوم علمت أن ابنها قرر أن يسافر إلى أمريكا دون أن يصحب زوجته، «تساءلت بسذاجة مشوبة بالأسف، كيف سيستطيع الحياة وحده، وعمّن سيدبّر له أموره في بلاد الغربة، ومن الذي سيعد له طعامه .. ومن يغسل ثيابه.. ومن يعتنى به إذا مرض لا سمح الله .. ومن يؤنس وحشته ... ومن يسلى وحدته...»(٦)، مما حمل ابنها على الرد على هذه «السلسلة» من التساؤلات: «وهل نسيت، يا أمي، أنني قضيت في الرياض عدة سنوات في نفس الظروف التي ستواجهني في أمريكا؟» (ص ١٧٤). ولم يفُت المؤلف أن يجعلها تهمس في أذن كنتها الشابة، حين عاد هشام إلى الوطن ليصطحبها إلى أمريكا، متمنيةً لها أن يرزقها الله بطفل. (ص ٢٨٤).

ودون أن يُفصح المؤلف، على لسان بطله، عن عدد أفراد أسرته، نعرف أنها تتكون من الوالدين، وهشام بكرهما والذكر الأوحد، تليه رجاء، ونقع أيضا على إشارات تدل على وجود **ابنتين صغيرين:** «أومأت الأم إلى البنتين أن تخرجا» (ص٧٤)، «وأقبلت الأختان الصغيرتان مهنئتين..» (ص ١٤٢). وقد بدا ان المؤلف ، في غمرة «اهتمامه بالشقيقة «رجاء» — المفرطة في حيويتها — ورصده لحركاتها وسكناتها وأقوالها، **قد نسي أمر هاتين الصغيرين** — المفترض أنهما محببتان — فلم يُسمعنا أيما شيء عن أحوالهما، حتى إننا لم نعرف، إلا في أواخر الرواية، اسم إحداهما، وذلك لحظة صاحت رجاء بفرح معلنةً عن قدوم هشام المفاجيء من أمريكا: «أبويا .. أمي .. هيا.. «سناء»..

هشام جه ..» (ص ٢٧١)، ضنينةً علينا ــ أو هو المؤلف الضنين ــ بالنداء على الأخت الصغيرة الأخرى!.

فأما أسرة بطلتنا «هيا»، فقد بدأ تعرُّفنا إليها منذ حلّ هشام في حائل «مهندساً ملازماًأول». تعرفنا أولاً إلى **«ناصر»**: لقد اصطفى (هشام) من بين زملائه، صديقاً في القسم الاداري، اسمه ناصر، ارتاحت إليه نفسه أكثر من سواه، وبادله ناصر هذا الارتياح بمثله، حتى بات الاثنان معروفين لدى الجميع بصداقتهما العميقة وعلاقتهما الوثيقة...» (ص١٠١). هذه الصداقة هي التي جعلت ناصر يقترح على هشام أن يتزوج من أخته هيا، ثم يساعد في تذليل الصعوبات. وبالرغم من هذه الصداقة التي جمعت بين الشابين، العميقة الوثيقة والتي عززتها قرابة المصاهرة، فقد قصَّر هشام في تعريفنا بأحوال ابن حميه العزيز: ما هو عمله في «القسم الاداري»، على وجه التحديد؟ أهو متزوج؟ ألم يتزوج، حتى بعد مضي الأعوام الخمسة التالية على مغادرة الشقيقة والصهر لحائل؟ والواقع أننا لم نلتق بناصر، بعد زواج أخته، إلا يوم ودَّعَ هشام إلى أمريكا، ويوم استقبله في حائل زائرا.

ولكن **أبا ناصر، «الشيخ عبدالله»**، كان أكثر حضوراً من ابنه، مع أنه لم يظهر لنا ــ هو الآخر ــ إلا أيام الزواج ويومي الوداع والاستقبال. كان «**من الشخصيات المرموقة في حائل ويتمتع باحترام الجميع وتقديرهم**، ويعودون إليه في مشكلاتهم الخاصة، (... وهو) راوية جذاب الحديث، جميل التعابير، وله أسلوبه الخاص في اجتذاب سامعيه الذين كانوا يصغون إليه حابسي الأنفاس، مبهورين، وهو يروي ذكرياته بأسلوبه «المشوق»..[٧] (ص١٠٢).

إن الشيخ عبدالله، الذي عُرف بحسن التقدير ورجاحة العقل على نحو جعله «**مسموع الكلمة ومقصداً لكل طالب حاجة**» (ص ١٠٢) ، ما إن يستقبل هشام في بيته ويصغي إلى طلبه يد ابنته هيا، حتى يبادر إلى ترحيب، وموافقة، وتذليل كل عقبة. فقد كان الرجل، في حقيقة أمره، واعياً لأمور دينه ودنياه، ومتجاوزاً لكل «الشكليات» التي تَقْصِم ظهر العرسان. لقد كان الشيخ عبدالله **مثالاً طيباً للأب المسلم المتفتح الذهن**، الذي نتمنى لو يشيع نموذجه في المدينة والريف والصحراء.

وبقدر ما منح المؤلف هذه الشخصية الفريدة من حضور قوي، فإنه غمط ــ وبالقدر ذاته ــ زوجته **«أم ناصر»** حقها، حتى الاعدام! ذلك أنه لم ترد إشارة إليها على لسان أي من أفراد الأسرة، لا ولا سمعنا هيا نفسها تردد مرة واحدة كلمة: «أمي»! **فكأن هذه الأم راحلة عن عالمنا الأرضي**. لولا أنها «بُعثت»، فجأة، في صفحات الرواية، يوم توديع أفراد الأسرة لابنتهم المسافرة إلى أمريكا، من خلال هذه الأسطر: «وهمست (الأم في أذن هيا)، وهي تعانقها بقوة، وتضمها إلى صدرها كطفلة صغيرة، أنها ترجو لها أن يرزقها الله بطفل يملأ عليها حياتها، ويسعدها بأن تسمعه يناديها «جدتي». وتضرج وجه هيا بحمرة قانية وهي تجيبها بنفس الطريقة الهامسة، أنها تشاركها هذه الأمنية، وأنه لا فارق لديها إن كان الطفل ولدا أم بنتا .. وضحكت الأم، ومسحت دموعها بعبارات الدعاء بالتوفيق، والنجاح، والأمنيات الطيبة..» (ص ٢٨٣) .. ثم غُيبت الأم، في ثرى الرواية، من جديد![٨].

ولن أترك الحديث عن هاتين الأسرتين، قبل أن أشير إلى **«الخال علي»**، الذي كان له دور في توجيه ابن أخته هشام نحو دراسة الهندسة أولا فلما أعلنت أسماء الناجحين في «بكالوريوس الهندسة» في الاذاعة، واستمع إليها الخال وهو في موطنه مكة المكرمة، أقبل إلى الرياض، واتصل بهشام وفي صحبته مهندسان من أصدقائه يعملان في وزارة الدفاع. وفي توجيهه لابن أخته ــ الذي غدا مهندسا ــ للانتساب إلى القوات المسلحة، تراه يستهل حديثه إلى صديقيه: «إنه ابن أختي .. وهو من أحب أولادها إلي».. **وكان لي دور في اختياره لكلية الهندسة بالتحديد** .. فأنا أؤمن بأن المستقبل هو للعلوم العصرية المتقدمة، وأن بلادنا بحاجة إلى رجال تكنولوجيين في شتى المجالات..» (ص ٣٥).

إن مؤلفنا، العربي، الذي يعرف جيدا «**المنزلة التي يتمتع بها «الخال» في الأسرة العربية** منذ القديم، ما كان ليفوته أن يُقدّم لنا «خال» أيضا، ولكن عَبْرَ كلمتين اثنتين! فـ «عندما دخل

هشام قاعة الاستقبال في بيت الشيخ عبدالله وجد «**خال ناصر**». وللحقيقة، لقد وجد هشام، مع الشيخ عبدالله، «**أخاه**»، فخص «العم» بكلمة واحدة (ص ١٢٥)... ثم لم يبذل، **المؤلف**، أي عناء ليجعل الخال والعم يتكلمان أو يُبديان حضوراً.

شخوص ثانوية أخرى

وإذا تركنا قُطْبَيْ الرَّحى في الرواية، البطلين «هشام» و«هيا»، وبعد أن استعرضنا أفراد أسرتيهما فرداً فردا، كان أول من يطالعنا من الشخوص الثانوية **هم مجموعة الزملاء الجامعيين**، الذين رافقهم هشام طوال الصفحات الخمسين الأولى من الرواية، وهم «**عبدالعزيز**»، الذي ظهر لنا في الصفحة الأولى، وهو يشارك هشام غرفته في السكن الجامعي، ثم «عمر» «المعروف بخفة روحه وحبه للمزاح» (ص١٢) ، و«تركي» ذو «الجسم المكتنز بالشحم».

وهناك «**صلاح**»، أحد الأوائل في السنة النهائية، الذي يتصف «بالكبرياء والعجرفة» (ص ١٧)، وقد أظهر، يوم إعلان النتائج، **شماتةً بزميله هشام** لاخفاقه في الحصول على درجة «جيد جدا» مما فوّت عليه فرصة أن يعين معيداً في الكلية.

والواقع أن المؤلف بدا حريصاً على أن يجعل «**الوفاء**» **يحكم العلاقة بين زملاء الجامعة هؤلاء**. فأعطى الفرصة لصلاح لكي يهتف، بعد نحو ثلاثة أعوام من التخرج، من الرياض إلى مكة المكرمة، حيث كان هشام يقوم بالمصادفة بزيارة لأهله، فنعلم، من هذه المكالمة الهاتفية، أن صلاح قد التحق — **هو** الآخر — بوزارة الدفاع. ثم يلتقي الصديقان في الرياض، فإذا صلاح قد تخلى — كما لاحظ هشام — عن كبريائه وعنجهيته اللتين عُرف بهما بين زملائه من قبل في الكلية» (ص ١٦٣). وصلاح هذا، هو الذي قام بجمع شمل زملاء الجامعة القدامى في لقاء بالرياض، وهم عبد العزيز وعمر وتركي، ورابع لم تسبق لنا معرفته هو «علاء».

ولقد كان لـ «**علاء**» هذا منطقٌ فَعَلَ في نفس هشام فعل السحر في مسألة ما إذا كان يحسن أن يصطحب المبتعث زوجته في عام دراسة اللغة أم لا! وهو صاحب هذه المقولة: «إذا كانت عائلة المبتعث، من زوجة وأولاد معه، فهو سيضطر للحديث في البيت بالعربية، وبذلك يُضيِّع في المساء ما اكتسبه في الصباح» (ص١٦٨ و١٦٩).

ولكي يُرسِّخ المؤلف موقف هشام — الذي اعتزم في ليلته أن يمضي لدراسة اللغة وحيداً مخلفاً زوجته في الوطن — يضع في طريقه، في اليوم التالي، صديقاً آخر من عهد الدراسة الثانوية هو «**عبد الحميد**»، الذي كان يستكمل، هو أيضاً، معاملة ابتعاثه. ويقول لهشام : إني «ذاهب لدراسة اللغة في السنة الأولى (...) ولو اصطحبت زوجتي معي لاضطررت إلى الحديث باللغة العربية، وبالتالي أخسر الفرصة في التفكير الدائم باللغة الانجليزية»! (ص ١٧٣)، فيُعزّز صديقُ الصبا هذا، بقولته، ما كان فعله صديق الشباب علاء في نفس هشام في الليلة التي سبقت.

وفي الجامعة، وقبل مبارحتها من قبل طلابنا الأصدقاء إلى الأبد، تبرز شخوص ثلاثة، هم :«**الدكتور محمد**» و«**الدكتور إبراهيم**» و«الأستاذ **عبدالله**» (ص ٢٠)، ليرووا، على مسامع طلابهم، **قصة نشوء التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية**. ومع أن أولهم، الدكتور محمد، استهل حديثه بقوله: «أنا لا أريد أن ألقي عليكم محاضرة إعلامية» (ص٢٢)، إلا أنه «فعلها»! فجاء استرساله — الذى بدا أنه كان يشوق المؤلف ويطربه — مُقحَما أيما إقحام.

ومع «الخال علي»، في بداية الرواية، ظهر صديقاه العسكريان — وإن لم نعرف لهما رتبةً — «**المهندس عبدالرحمن**» و«**المهندس صالح**»، وقد اصطحبهما لمساعدته في **اقناع ابن أخته** للالتحاق مهندساً بالقوات المسلحة، فكان أن وُفّق الرجال الثلاثة في مسعاهم (ص ٣٤ — ٤١). ولا بأس في أن نُلحِق بالمهندسين العسكريين، عسكريّاً ثالثاً هو «**الرقيب حمدان**» ، **الذي تولى تدريب طلاب الدورة من مهندسين وأطباء وحقوقيين** (ص ٨٧ — ٩٦).

على أن رواية «فتاة من حائل»، تظل — بعد مغادرة البطل المملكة — غنية بشخوصها الثانوية. فقد برز،في حياة هشام وهو في الولايات المتحدة الأمريكية، عدد منهم نشأت بينه وبينهم علاقات رأيناها، أحياناً، وقد امتزجت فيها المودة بالرهافة.

أول هؤلاء كان **«توم»** ، الذي قُدِّر لهشام أن **يُشاركه السكن في غرفة من غرف المدينة الجامعية** في بلده «ماونت بلزانت». قالت له موظفة الاستقبال: «سيكون معك في الغرفة زميل أمريكي .. أنت تعرف طبعا لماذا ..لكي تستطيع **الاستفادة من حديثك معه..»** (ص ٢١٥). ولأن «توم» أمريكي، فلابد من أن يكون مرتدياً «الجينز»، وبين شدقيه «العلكة التي كان يلوكها بغير انقطاع وهو يتحدث إلى هشام» (ص ٢١٦).

ولكن يبدو أن الذين حرصوا على أن يجمعوا، في كل غرفة من غرف هذه المدينة الجامعية، شريكين، أجنبياً وأمريكياً، فاتهم ــ أو أن ذلك كان فوق مستطاعهم ــ أن يُعرِّفوا المُضيفين الأمريكيين بالقليل من عادات الشعوب الأخرى وظروف حياتهم! لقد انهال «توم» على ضيفه العربي بسيل من الأسئلة، هل أقول «الغبية»: أنت من السعودية؟ «كم بئراً من **البترول تملك؟»!** (ص ٢١٧). وقد أُصيب هذا الأمريكي «بالدهشة الشديدة» **لحظة اعتذر هشام عن قبول كأس الوسكي** الذي قدمه إليه! (ص ٢١٨) . وقال له، في مرة أخرى، بما لا يخلو من قحة: «ثق تماماً بأنني لن أدعوك إلى شرب كأس ويسكي ثانية، فالويسكي غالي الثمن على أية حال»! (ص ٢٣٠)[٩]. ثم يعاتبه لأنه **رفض مراقصة «تلك الفتاة التي يتزاحم عليها نصف شباب الجامعة على الأقل»! (ص ٢٢٨). ويمن عليه: «إنني أحاول أن أفتح لك أبواب المجتمع»! (ص ٢٢٩). ثم يذكّره بعبارة الشاعر الانكليزي «كيبلنغ» الشهيرة: «الشرق شرق .. والغرب غرب..» ولن يلتقيا!** (ص ٢٣٠). ويوم يرى أن صداقةً ما قد انعقدت بين مشاركه في الغرفة، هشام، وبين تلك الفتاة، لا يتورع عن اغتيابها: «إنها فتاة غريبة الأطوار .. متقلبة المزاج .. ويبدو لي أنها تعاني من مرض نفساني .. وعليك أن تنتبه لذلك..»! (ص ٢٢٤)[١٠].

ويلحق بالحديث عن «توم»، الحديثُ عن **الفتاة الأمريكية، «غريبة الأطوار، متقلبة المزاج»، «بات»** («أو «باتريشيا»). وإنها لكذلك حقا: بصياحها فيمن حولها: «تعالوا انظروا .. هذا شاب لا يعرف الرقص»! (ص ٢٢٧)؛ وبسعيها إلى هشام في غرفته (ص ٢٣٣)؛ وبعناقها للشاب الأسمر وسط حديقة الجامعة (ص ٢٤٦)، مع ما بينها وبين بطلنا هشام من الود الصافي الذي لم تتطلب سواه: «كل ما أريده هو .. **أن أجد عندك ما افتقدته عند الآخرين من حنان»** (ص ٢٣٩)، و«أن نكون أصدقاء فحسب» (ص ٢٤٠). ومع ما يذل المؤلف من رصد لحركات هذه الشخصية وتنقلاتها، **أهمل بيان دراستها**، حتى حُقَّ لنا أن نتصورها فتاة «متطفلة» على الجامعة!.

ويلحق، كذلك، بالحديث عن «بات»، الحديث عن معانقها **الشاب الأسمر «مصطفى ولد أحمد»**، وهذا أيضا أغوته «بات». كان مصطفى أسمر البشرة و«ذا وسامة واضحة». وقد حَدَسَ هشام، لحظة لمح «بات» تعانقه و«تلف ذراعها حول كتفه»، أنه عربي! (ص ٢٤٦ ــ ٢٤٨). ولسنا ندري لم لحق مصطفى بهشام، بعد هذه المفاجأة، ليروي له تفصيلات تعرفه إلى الفتاة: «كم شعرت بالتعاسة والتمزق منذ أن جئت إلى هذه البلاد (...) كنت وحيدا (...) كنت **أكاد أموت من الرعب إذا حاطبتني** إحدى الفتيات (...) أحس بالأرض تكاد تميد بي إذا لمست يدي يد إحداهن ...» (ص ٢٥١)[١١]. ويكاد يطير فرحا وهو يُبلغ هشام ــ وقد أمسيا صديقين ــ أنها «تدعوني لزيارة أهلها والاقامة عندهم بضعة أيام»، ويضيف: «ولكنها .. **بنت** .. **بنت يا سي هشام..»** (ص ٢٦٠). ويعود بعد تمام تلك الزيارة «السعيدة»، ليصل ما انقطع من ذلك الحديث، فيقول إنه كان مهموماً وهو ماض برفقتها إلى بيت أهلها: «ماذا سيقول أهلها عني؟ هل يهشم أخوها أنفي بقبضته، أم يطلق أبوها علي الرصاص» (ص ٢٦٤).

ويبقى، من الشخوص الثانوية في أمريكا، الفتاة «جين» ، تلك التي أطلت علينا **إطلالتين اثنتين**، وسببت الثانية تحولاً خطيراً عند هشام. **في البداية تقرب منها بطلنا، يوم تأزمت العلاقة بينه وبين «بات»** في نهاية عامه الدراسي الأول ووصلت إلى طريق مسدود (فوجيء بها وهي تعانق مصطفى ولد أحمد)، بأن جلس إلى الطاولة التي تجلس هي ــ «جين» ــ إليها. «شهقت بدهشة (... إنه) هشام، المعروف بانعزاله وابتعاده عن زميلاته..» (ص ٢٥٧)، وتساءلت «في داخلها عما دعاه إلى اختيارها هي من بين كافة الجالسات في المكان، وهو الذي كان بوسامته وأناقته، موضع اهتمام الكثيرات..» (ص ٢٥٨)[١٢].

ويكتفي هشام، في هذه المرة، بأن يدعوها في ليلته «إلى تناول العشاء في أحد المطاعم» (ص ٢٦١). **ثم تنقطع أخبارها عنا**، فلا نسمع مما يتصل بها إلا تلك الخاطرة التي دارت في رأسه وهو عائد، في نهاية عامه الدراسي الأول، إلى الوطن زائرا: وحمد الله في سره أنه لم «يتورط مع تلك الفتاة الأخرى «جين» نتيجة رغبته في العناد والتحدي.. ثم اتجه بذهنه إلى هيا..» (ص ٢٦٧ و٢٦٨).

ثم هاهوذا هشام ــ بعد أن عاد إلى أمريكا مصحوباً بزوجته ــ **تتأزم أموره مع هيا وتزداد تأزما، فتظهر «جين» في إطلالتها الثانية**، وذلك حين يصادفها في أحد أروقة الجامعة وهو في طريقه إلى إحدى المحاضرات، «شد على يدها الممدودة إليه بعرح شديد، وقال لها بسرور صادق: «جين .. كم أنا سعيد بهذا اللقاء!».. (وتتأبط هي) ذراعه في طريقهما إلى الكافتيريا..» (ص ٣٢٦ و٣٢٧)، ويظلان معا النهار كله وشطراً من الليل. وتمضي أشهر وهما في صداقة وثيقة. ويهمل هشام الدراسة، والزوجة، **وتكون الطامة الكبرى: الرسوب**! ونحن ما نزال نجهل **«حقيقة» هذه العلاقة بين بطلنا العربي وبين الفتاة «جين»، التي لم نعرف ما إذا كانت** أمريكية أم أجنبية **هي الأخرى**![١٣].

كنتُ في سبيلي إلى أن أسلك «الدكتور باركر» في عداد الشخوص «العابرة»، لولا أنه عاد فظهر لنا في الوقت المناسب. يحدث هشام زوجته عنه ذات مساء: «إنه أحد أساتذتي .. وهناك مودة خاصة بيني وبينه .. وقد دعانا إلى حفلة صغيرة يقيمها هو وزوجته بعد غد **في بيته تكريماً لنا**..» (ص ٣٠٨). وفي دخول الزوجين العربيين بيته، يأخذ المضيفُ يد هيا، التي ارتدت ملابسها التقليدية «فبدت رائعة كل الروعة، (...و) ينحني انحناءة قصيرة **ويجذب يدها إلى شفتيه يريد أن يقبلها**، فأجفلت ثم سحبت يدها بسرعة وهي تبتسم بارتباك.. وبدا على «الضيف»[١٤] أنه فوجيء بحركة هيا تلك، ولكنه ــ وهو الذي خبر الناس وقابل آلافا منهم خلال حياته في الجامعة ــ ابتسم ابتسامةً هادئة، وأشار بيده إلى ضيفيه يعرض عليهما التوجه إلى الصالون..» (ص ٣٠٨ و٣٠٩). وهشام «قبل يد زوجة مضيفه بعد أن صافحها» (ص ٣٠٩)، التي هي ــ كما «دافع» عن نفسه بعدئذ في البيت!ــ «في مثل عمر أمي .. وهذه هي قواعد الاتيكيت في هذه البلاد..» (ص ٣١١).

ويعود الدكتور باركر إلى الظهور، **في تلك الحفلة الجامعية الكبرى** التي أُقيمت في ساحة الجامعة والحدائق المحيطة بها التي نُصبت فيها الخيام. كان هشام وهيا يتجولان بين هذه الخيام. فجأة برز لهما أحد زملاء هشام، شاب من إحدى بلاد أمريكا اللاتينية، وسأل هيا وهو يستبقي يدها في يده :«هل تسمحين، يا سيدتي، بمشاركتي هذه الرقصة؟» (ص ٣١٦). وكان لابد من أن تعتذر، فيبتعد الشاب وقد بدا عليه الخجل، وههنا يلتقي بالدكتور باركر، الذي تسنى له أن يلاحظ ما حدث، **فيطلب منه أن يعود إلى الشابة العربية ليعتذر منها**، مؤكدا له أنها «أول امرأة أقابلها في حياتي وتفرض احترامها علي»! (ص٣١٨).

شخــوص عابــرة

وكان أيضاً، في هذه الرواية الطويلة، شخوص عابرة، أو عارضة، **ظهرت مرة واحدة**، لضرورة ما فنية ارتآها المؤلف، ثم غابت لعدم الحاجة إليها من بعد.

كان ، ممن ظهر على مسرح الرواية من **هؤلاء**، في حائل ، **«الشيخ حمود»** قاضي المحكمة[١٥]، الذي عَقَدَ لهشام على هيا وقال: «زوجتك وأنكحتك مخطوبتك المصونة هيا بنت الشيخ عبدالله على ما تراضيتما عليه من المهر...» (ص ١٢٧).

وفي الطائرة، التي أقلعت بهشام أول مرة من لندن إلى نيويورك، يجلس بجواره **أمريكي**، يبدو أنه «ثرثار»، بدليل أنه حدث هشام «خلال دقائق (...) عن كل شيء في حياته: ولايته، ومدينته، وعمله، وأهله، وكأنهما صديقان منذ زمن طويل» (ص ١٩٠).

وفي ما أسماه المؤلفُ «المكتب التعليمي السعودي» في نيويورك، يلتقي هشام بـ**«الآنسة نادية»**، التي تستقبله بابتسامة مرحبة، وتُقدِّم له فنجان قهوة أمريكية، وتلهيه، عما بدأ يحس به من مرارة الوحشة، بحديثها عن هجرة أسرتها اللبنانية إلى الولايات المتحدة، والتحاقها بهذا المكتب للعمل «كسكرتيرة»[١٦] (ص ٢٠٦).

وتشير «نادية»، في حديثها، إلى «مدى السعادة التي يشعر بها الانسان في بلاد الغربة عندما يجد من يتحدث معهم بلغته»[١٧]، وتقول : «الغريب أن تجد العرب مختلفين وهم في بلادهم.. ثم تراهم في بلاد الغربة متفاهمين متحابين»[١٨] (ص ٢٠٦).

وفي هذا المكتب، **عمل موظف سعودي، وساعده آخرون،** على إنجاز معاملة هشام والقيام باتصالات هاتفية تدبروا له بها أن يكون في استقباله، في مطار الوصول بعض السعوديين المبتعثين.

واستقبله في المطار، القريب من بلدة «ماونت بلزانت» (في ولاية ميشيغان)، اثنان من مواطنيه : «حمود» و«صالح»[١٩]، اللذان أخذا يجاذبانه أطراف الحديث باللغة الانكليزية، ما نعينه من أن يرد عليهما بالعربية! وعلى حين أقلّه صالح بسيارته وتجوّل به وبصديقه في أنحاء البلدة، فإن حمود استضافه في بيته في ليلته الأولى هذه[٢٠] (ص ٢١٠ــ٢١٣).

ولدى دخول هشام إلى معهد اللغة التابع للجامعة، استقبلته موظفة الاستقبال «**المسز جاب**»، التي «وضعت نظارتها الطبية على عينيها وراحت تقلب في أحد الملفات، وهي تواصل الحديث: «سوف نؤمن لك السكن المناسب.. وسيكون معك في الغرفة زميل أميركي».. (ص٢١٥) ــ هذا الزميل الذي لم يكن إلا «توم» وبيّنت له أن «اختباراً» سيُجرى له يُحدِّد بموجبه مستواه اللغوي، وطمأنته: «إنك في مستوى جيد.. فلغتك لا بأس بها (...) وكل ما ينقصك هو اتقان قواعد اللغة بشكل أفضل .. وإغناء مفرداتك .. وتطوير طريقتك في النطق..» (ص ٢١٦).

وإذا كان علينا أن نكتفي بالاشارة إلى ذلك الطالب اللاتيني، الذي عرض على هيا أن يراقصها، ثم تلقى من الدكتور باركر نصحاً بالاعتذار منها، فإن لنا أن نُذَكِّر **بالطالب الآخر، الأجنبي**، الذي تصدى لهيا، في خروجها من أولى محاضراتها الجامعية وهي ترتدي العباءة السوداء السابغة، ليعرض عليها «بانجليزية ركيكة: «هل تقبلين دعوتي إلى .. الكافتيريا؟»[٢٢] (ص ٣٤٩).

وفي الرواية، أخيراً، **شخوص «غائبة»**، قد أشير إليها أو تردد الحديث عنها دون أن تظهر على مسرح الرواية.

كان أبرز هذه الشخوص **«فاطمة»** ، تلك التي تحدثت عنها رجاء، على مدى صفحات، حديثاً مضمخاً بالحب والاعجاب. أول ما بدأت الاشارة إليها كان يوم وصول أخيها إلى مكة المكرمة مهندساً متخرجاً: «يعني صار ما ينقصك غير عروسة حلوة» (ص٧٧)، وتضيف الأم: «أصل العروسة زميلتها .. وتقرب لنا من بعيد.. اسمها فاطمة..» (ص ٧٨). وقد ظلت رجاء تشير إلى «فاطمة»، في ما تخطه إلى أخيها هشام من رسائل وهو في حائل، «فهي معجبة بها، جمالاً وأخلاقاً وثقافةً وعائلة..» (ص١٠١) .. ثم كان لابد لفاطمة، الغائبة، أن يتلاشى ظلها واسمها، وذلك بعد ان تحقق لهشام أن يتزوج من بطلتنا هيا.

كلمـــة أخيـــرة

لقد تعدّد شخوص رواية «**فتاة من حائل**»، وتنوعوا، وتمايزوا..

ولكن ما كان يعنيهم ــ فيما أرى ــ أننا نسمعهم يتحدثون، ونراهم يروحون ويجيئون، دون أن يتاح لنا أن نتبيّن **قسمات وجوههم**، أو نرى ما تشفُّ عنه من انطباعات.

ذلك أن المؤلف لم يبد لنا معنياً بأن يرسم قسمات وجوه شخوصه، لا ولا عُني بوصفهم هم أنفسهم، إلا نادراً. على حين بذل جهداً فائقاً **في رصد أقوالهم، وفي تحريكهم** أمام أعيننا جيئةً وذهاباً، حتى لقد لاحوا لنا على شكل أشباح.

ولكنهم ــ مع ذلك كله ــ **أفلحوا في أن يُدخلوا السرور على نفوسنا، والبهجة، والضحك أحياناً**، كلما أراد المؤلف لهم، ولنا، ذلك، وأن يُثيروا فينا، كذلك، الدهشة ، والاشفاق، والرضا ، والحب.

ومهما يكن من أمر، فان أحداً لا يدَّعي أن «فتاة من حائل» هي رواية من عيون الأدب العربي المعاصر، لا ولا ادَّعت هي ذلك، أو ادَّعى مؤلفُها.

ولكن بحسبها أنها واحدة من أحسن روايات عشرين، أو ثلاثين، قد صدرت، في هذا القرن العشرين، عن روائيين من أبناء

الجزيرة كلها. وذلك ما يجعل **محمد عبده يماني واحداً من رواد الرواية العربية**، مرهوناً **بالمكان** الذي ينتمي إليه، الجزيرة العربية، **وبالزمان** الذي نشاركه استرواح نسمات الحياة فيه.

هذه العقود من السنين ... دون أن تُغفل الاشارة إلى أن الرواية، في الزمان والمكان المعنيين، ما تزال فتية غضة العود، إذا ما قيس حالها بالتقدم الذي أحرزه كتّابها في أقطار عربية أخرى.

الهـــوامـــش

(١) الشخصية «المستديرة» أو «المتنامية»، هي التي تنمو مع حوادث الرواية، متأثرة بها ومؤثرة فيها، وبالأحرى منسجمة وإياها، على نحو يمنح القارىء قناعة بما يجري على مسرح الرواية من وقائع. فإن كانت الشخصية الروائية لا تنمو ولا تتطور ــ كشأن كثير من الشخوص الثانوية ــ فهي الشخصية «المستقيمة» أو «المسطحة».

(٢) لسنا ندري كيف استهوى الحوار، باللهجة العامية، قلم المؤلف، الأنيق، الذي يكاد يخلو من الشوائب والهنات! وسوف نفرد لهذه المسألة مبحثا خاصا.

(٣) وهذا، فيما نرى، أمر خارق للعادة بالنسبة إلى سيدة «أجنبية» مثلها، منطوية على ذاتها.

(٤) الواقع أن هيا لم تظهر لنا مرافقةً لهشام منذ مطلع الرواية، على نحو ما ينبغي أن يترافق البطلان في الروايات عادة. لقد لاح لنا طيفها، متأخراً، حين لمحها هشام في دخوله بيت صديقه ناصر (ص١٠٣)، ثم ظهرت لنا في بيت الزوجية وهي تحاور زوجها وتحضه على استئناف دراسته العالية .. ثم ما لبثت أن غابت عنا طوال العام الدراسي الذي قضاه هشام في أمريكا دارساً اللغة، وقد كان عاماً حافلاً بالحوادث لم يُقدر لها أن تُسهم فيه بأي شيء. إلا أنها عادت إلى الظهور في الصفحات المئة الأخيرة من الرواية، وعلى وجه التحديد في الصفحات التسعين بدءاً من الصفحة ٢٧١، في مكة أولاً مُستقبلةً زوجها العائد المشتاق، ثم مصاحبة له إلى موطن دراسته في ما تبقى من زمن الرواية، وهو كثير على كل حال (أربعة أعوام: نصف عمر الرواية).

(٥) أغفل المؤلف تسميته.

(٦) الصواب : كيف يستطيع..؟ وعمن يدبر..؟ ومن الذي يعد..؟، بحذف «سين» الاستقبال بعد أدوات الاستفهام مثل: كيف، ومن، وهل.

(٧) أرى أن المؤلف قد أحسن صُنعاً في أنه لم يقدّم لنا فصلا أو فصولا من ذكرياته، تلك التي يرويها «بأسلوبه المشوق» (الصواب: «الشيّق»)، كما فعل في سرده على لسان الأساتذة لقصة نشوء التعليم الجامعي وفي حديث «الخال علي» عن ذكرياته في حرب فلسطين. مع أن في جعبة الشيخ عبدالله فيضاً من الذكريات (على نحو ما جرت الاشارة إليه في الصفحة ١٠٢).

(٨) الواقع أنه تمت إشارة عابرة سابقة إلى الأم، وذلك لحظة دخلت هيا، بعد عقد القران «على استحياء تصحبها أمها، التي تعرّف هشام عليها لأول مرة» (ص١٢٨). إن غياب «أم هيا» على هذا النحو، وكذلك تصوير «أم هشام» بصورة المرأة المستسلمة لقرارات زوجها، أمران يستدعيان التوقف والتأمل. حقا، إن في مجتمعات العالم بأسره أمهات مستسلمات لإرادة أزواجهن، أو غائبات الحضور ... ولكن لماذا عمد المؤلف إلى أن يقدم لنا هذه الصورة «الموحدة» لوالدتين اثنتين، في روايته المتنوعة الشخوص، وقد كانت إحداهما تُغني عن الأخرى؟ هذا إلى أن مجتمعاتنا العربية والاسلامية، شأنها في ذلك شأن سائر المجتمعات في الدنيا، غنية بصور لأمهات أكثر حيوية وذكاء وتنورا. أم أن محمد عبده يماني، شاء أن يضع الوالدتين في ظل ظليل، مكتفيا بما سعى إليه من إبراز البطلة المحورية، هيا، بكل ما أضفاه عليها من الوضوح والقوة والحيوية؟.

(٩) من المعروف أن معاقرة الخمرة لدى الناس في ديار الغرب، تظل وقفا على عدد محدود منهم. لذلك أرى أن لا محلّ لاستغراب هذا الأمريكي، امتناع ضيفه، القادم من بلاد بعيدة، عن مشاركته هذا الشراب.

(١٠) أشهد أن «توم» هذا، في إسرافه بالاهتمام بالآخرين، ليس «غربياً» صرفا!.

(١١) الطريف في الأمر أن هشام ابتسم وهو يُصغي إلى ابن جلدته مصطفى، «وقال لنفسه: ليته يعلم أنه يكاد يصف حالتي تقريبا، لولا أنني على ما يبدو أقوى أعصاباً منه..»! (ص ٢٥١) ألا أي حيز، هائل الحجم، تشغله الفتاة والمرأة من تفكير أبنائنا المقيمين في ديار الغرب! والحق ، إن في رصد مثل هذه الخواطر والأحاسيس يكمن جانب من الابداع في هذه الرواية.

(١٢) لنا، مع هذا «التساؤل» الذي ورد على «خاطر» جين، وقفة في مبحث «الفن الروائي»، لمخالفته لموقف الراصد الذي عهد به المؤلف، ابتداء، لبطل الرواية هشام!.

(١٣) لم يشر المؤلف إلى جنسيتها، على حين سبقت إشارته إلى أن الفتاة «بات» أمريكية (ص ٢٢٤).

(١٤) خطأ مطبعي، صوابه: «المضيف».

(١٥) سبق «الشيخ حمود» هذا في الظهور، من الشخوص العابرة، كل من زميلي هشام: «علاء» و«عبد الحميد»، اللذين ظهرا في الرياض تباعا يوم زارها هشام بقصد استكمال اجراءات الابتعاث. وقد أشرنا إليهما لدى حديثنا عن «زملاء الجامعة».

(١٦) الصواب: للعمل «سكرتيرة»، بحذف «كاف» التشبيه ونصب الكلمة على التمييز. وأود أن اعترف، هنا، بأني وقعت في هذا الخطأ اللغوي عينه، في روايتي الموسومة «الظمأ والينبوع»، فقد أوردتُ في أولها على لسان البطل راويها: لم يترك «أوتو» الألماني لزوجته «هيلغا» «ما تقتات به سوى عملها كسكرتيرة في مكتب للمحاماة» (ص١٢، الطبعة الثانية، ١٩٦٤، دار الآداب ببيروت). فلما قرأ الشاعر العربي الكبير رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) الرواية، وشاء أن يكتب عنها مقرظاً، توقف وقفة طويلة عند هذه الغلطة .. قال مسترسلا، في غيرته على لغة الضاد، أمد الله في عمره: «صفحة ١٢ ــ سوى عملها «كسكرتيرة». هذه الكاف ترجمة as الانكليزية (وأضيف من عندي : وترجمة Comme الفرنسية!)، فهي لوثة أعجمية بل هي أبرع جاسوسة تسللت من شق قلم عربي متفرنج وراحت تعيث فسادا في كل صفحة من جريدة ومجلة وكتاب، لايكاد يسلم منها حتى كبار الكتّاب إلا قلة نادرة. فالكاف الجارة العربية لا تكون إلا للتشبيه بوجوهه المفصلة في النحو. فهل المقصود أن «هيلغا» كانت تعمل شبه سكرتيرة أم سكرتيرة بكل معنى الكلمة؟ إذ الصواب أن يقال «سكرتيرة» بالنصب على التمييز، أجل التمييز. هذه القاعدة البيانية الجميلة التي انفردت بها ويكثر سواها لغتنا الحبيبة حتى نكبناها بهذه الفطرة الغريبة فأنزلتها عن عرشها «المنصوب» وراحت «تجرها» وتسحلها حتى أوشكت أن تعدمها الوجود.. » (مجلة «الأديب» اللبنانية، سبتمبر ــ ايلول ١٩٦٤، ص ٥٨).

مع أنني عدت إلى إيراد هذا التعبير، في آخر الرواية، بشكله الصحيح، على لسان الزوج، الذي يقول للراوي: زوجتي «تعمل سكرتيرة» في مكتب للمحاماة، وتتقاضى مرتبا يكفيها ضرورات الحياة ويزيد ...» (الرواية، ص ١٣٦).

(١٧) أحسب أن الشعور بهذه السعادة، أولى بهشام ــ المغترب حديثاً ــ أن يُعرب عنه، لا السكرتيرة «المقيمة»!.

(١٨) لقد ادرتُ على هذه «المقولة» ــ التي وجدتها خاطئة ــ مقالاً نشر في جريدة «الشرق الأوسط» بلندن، بعنوان: «أجل .. العربي يحب العربي» (الخميس ١٩٨٢/١٢/٩ ــ ٢٤ صفر ١٤٠٣ ــ العدد ١٤٧٢).

(١٩) بدا أن طول الفترة التي صرفها المؤلف في كتابة روايته (صرّح، في المقدمة، بأنها «زادت عن السنتين»)، قد أنساه اسم اثنين من الشخوص العابرين، فكررهما هنا، وهما: الشيخ «حمود» قاضي المحكمة الذي عقد الزواج، والمهندس «صالح» أحد صديقيْ الخال علي، وقد سبقت الاشارة إليهما.

(٢٠) من المؤسف أن المؤلف أغفل هذين الشخصين العربيين، الكريمين، بعد هذا اللقاء فكأنهما ما كانا في الرواية. وقد كان في وسعه أن يستفيد منهما في إثراء وجود هشام في هذه البلدة، قبل حضور هيا وبعده.

(٢١) إذا كان هشام مطعوناً في «القواعد»، وفي كمية «مفرداته»، وفي طريقته في «النطق» ... فماذا تبقى له، حتى تسمح «المسز جاب» لنفسها بأن تحكم عليه بـ «جودة المستوى»؟.

(٢٢) أرى أن دخول طالبة شرقية، بزيها الوطني المسترعي للانتباه، إلى قاعة محاضرات في جامعة أمريكية، ذلك ما يُغري، بالتأكيد ، «زملاءها»، من الأمريكيين والأجانب على حد سواء، بدعوتها إلى تناول فنجان قهوة أو شاي، وتجعلهم يحُومون حولها تحويم الفراش حول النور!.

القافية تاج الايقاع الشعري لأحمد كشك

أحمد محمود عبد الدايم عبدالله
كلية اللغة العربية ـــ جامعة أم القرى

كشك، أحمد محمد عبدالعزيز/ القافية تاج الايقاع الشعري.ـــ القاهرة: توزيع دار المعارف بالفجالة، ١٩٨٣م.

نشطت الدراسات العروضية في النصف الثاني من القرن العشرين نشاطا ملحوظا، وأخذت تسلك مسارا جديدا بعد أن بدأت بتحقيق التراث، فرأينا نخبة من شباب العلماء يستغلون الاتجاهات اللغوية الحديثة ويطوعونها في دراسة تراثنا العربي الزاخر والنظر إليه من وجهة نظر معاصرة تهدف إلى حل الكثير من القضايا بوجهة نظر حديثة.

ومن شباب العلماء هؤلاء الدكتور/ أحمد كشك الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة الذي قدم للمكتبة العربية كتابا في القافية تحت المسمى الذي أشرنا إليه حاول .. المؤلف فيه أن يفيد القارىء بأن قدم له حلولا طيبة للكثير من مشاكل القافية كالإقواء والإيطاء والتضمين وأشكال من الترخيص في العلامة والروى والردف والدخيل، كل ذلك من خلال فهمه لعلم الأصوات.

ويرجع اهتمام المؤلف بايقاع الشعر إلى أنه جزء من إيقاع اللغة فصنع لنا خلال الكتاب رحلة ـــ كما يقول في المقدمة[١] تحاول جاهدة أن تأخذ من علم الأصوات على قدر طاقتها سبيلا لفهم ركن من أركان الشعر، بل قل ركنا مهما من أركان الشعر وهو القافية .

وسوف أتناول في تحليلي للكتاب ونقدي له أمورا ثلاثة:ـــ

أولا : موضوعات أوافق المؤلف عليها.
ثانيا: مواقف أخالفه الرأي فيها.
ثالثا : مآخذ نأخذها على المؤلف.

أولاً : ما أوافقه عليه :

يعترف كشك بأن بحثه هذا مجرد حلقة في سلسلة طويلة من البحوث سبقته، أو كما يقول[٢] «رحلة سبقتها رحلات جادة كثيرة طرقت بعمق درس الإيقاع الشعري، من هذه البحوث ما جعل الدرس المقارن وسيلة لفهم أبعاد القافية».

«ومنها ما جعل الحديث عن التطور التاريخي لفن الشعر طريقا لفهم القافية ومنها ما جعل الغوص في نسيج الشعر العربي هو السبيل إلى هذا الفهم، ومنها ما جعل أفكار دارسي العربية طريقا لإعطاء صورة واضحة عن قافية الشعر العربي إلا أن هذا البحث بالرغم من استفادته ممن سبقه إلا أنه ينهج نهجا جديدا باتخاذه علم الأصوات سبيلا إلى فهم كثير من القضايا وحل كثير من مشكلات القافية العربية.»

ولقد حفل الكتاب بموضوعات عدة لا تخلو من الطرافة والجدة حيث تناول الموضوعات الآتية:

أولا : القافية تاج الإيقاع الشعري
ثانيا : القافية بين أيدي الدارسين.
ثالثا : الخليل والقافية.
رابعا : القافية ونهاية الوزن الشعري (أنماط القافية في الشعر العربي).
خامسا : حروف القافية.

سادسا : حركات القافية.

سابعا : ظواهر المخالفة والحرص على الكيف.

ثم ينتهي البحث بالخاتمة وثبت المصادر.

وأنا وإن كنت أرى أن الموضوعات الثلاثة الأولى ليست بالجديدة تماما إلا أن الموضوع الرابع (القافية ونهاية الوزن الشعري) الذي يتحدث فيه عن أنماط القافية في الشعر العربي هو أهم موضوعات الكتاب التي يحاول فيها استخدام علم الأصوات في دراسة القافية، ويرى الباحث أن أنماط القافية على النحو التالي[٣]:ــ

١ ــ القافية ثنائية المقاطع وهي التي تتكون من ص ح ص ــ ص ح ص، ورمز «الصاد» معبر عن قيمة الصوت الصامت الخالي من الحركة لأن للحركة حسابها المنفرد، ورمز «الحاء» معبر عن الحركة القصيرة فإذا ما أصبحت مدا أخذت الرمزين (ح ح).

٢ ــ القافية ثلاثية المقاطع وهي التي تتكون من ص ح ص ــ ص ح ــ ص ح ص.

٣ ــ القافية أحادية المقاطع وهي التي تتكون من ص ح ص.

٤ ــ القافية رباعية المقاطع وهي التي تكون من ص ح ص ــ ص ح ــ ص ح ــ ص ح ص.

٥ ــ القافية خماسية المقاطع وندرتها كفيلة بنفيها وهي التي تتكون من ص ح ص ــ ص ح ــ ص ح ــ ص ح ــ ص ح ص.

ويبدأ الباحث في دراسته القيمة حول القافية ثنائية المقاطع حيث يرى أن الغلبة لقوافي الشعر العربي لهذا النمط الإيقاعي[٤] وفيه تكون القافية مكونة من مقطعين متوسطين من نوع: ص ح ص مثل (لم وكم وعن) أو ص ح ح مثل (ما ــ يا ــ لا).. والمقطعان ملتزمان أيا كان توزيعهما المفترض مثل:

ص ح ص	ص ح ص
ص ح ح	ص ح ح
ص ح ح	ص ح ص
ص ح ص	ص ح ح

ولكي لا يكون الأمر غامضا، مثل لنا بقافية الأبيات التالية حيث جاءت من الوافر ذي القافية ثنائية المقاطع وهي[٥].

١ ــ افاطم قبل بينك متعيني : فمنعك ما سألت كأن تبيني.

والقافية هي «بيني» مكونة من «بي = ص ح ح» و«ني = ص ح ح».

وقول الشاعر :

ولكن القريض له معان: وأولاها به الفكر الخلي.

والقافية هنا هي (لِيْ ــ يُو) «لي» = ص ح ص ــ «يو» = ص ح ح.

وقول الشاعر :

ــ ألا يانفس إن ترضى بقوت .. وأنت عزيزة أبداً أبيهْ

والقافية هنا (أبِيْ يَهْ) مكونة من «بِيْ = ص ح ص» و«يَهْ = ص ح ص»

ــ وقول الشاعر :

رأيتك قد عبرت ولم تسلم كأنك قد عبرت على خرابه

والقافية هنا (رابه) مكونة من «را = ص ح ح» و«بهْ = ص ح ص»[٦]

ويواصل الدكتور كشك دراسته الشيقة التي تربط بين علمي الأصوات والقافية، فيرصد لنا قوافي البحور المختلفة التي تأتي على هذه «القافية ثنائية المقاطع» صانعاً لها جدولاً محكما، يحولها من مجال التنظير إلى مجال التطبيق، يقول «والذي نراه أن القافية إذا كانت مكونة من مقطعين واتخذت لها نمطا من الأنماط السابقة فان الالتزام الكيفي يكون ميسمها، والجدول التالي لتتبع هذه القافية يعطي تصورا واضحا لها»[٧] وهو مجرد مثال لكثير من الجداول التي درس فيها أنماط القافية تطبيقا على البحور المختلفة:ــ

البحر	بين التمام والجزء	تفاعيل النهاية	القافية
الوافر	التام	مفاعلْ	فا ــ علْ
			ص ح ح ــ ص ح ص
الوافر	المجزوء	مفاعلتن «عصبا»	عَلْ ــ تن
ــ	ــ	مفاعلْ	فا ــ علْ
الهزج	المجزوء ولاتام له	مفاعيلن	عي ــ لن
الكامل	التام	متفاعلْ	فا ــ علْ
ــ	ــ	مُتَفَا	مت ــ فا
		ص ح ص	ص ح ح
ــ	المجزوء	متفاعلُ	فا ــ علْ الخ.

وفي نهاية الجدول السابق يقول معلقاً: «من خلال الجدول السابق ندرك أن ورود القافية ذات المقطعين، بحكمه اللزوم في كل بحر، وندرك ثراء قافيته حيث وصلت صور القافية من خلاله إلى حوالي أربع وثلاثين، صورة حفلت بها الأضرب في إيقاع الشعر العربي[٩] ويستخلص المؤلف النتائج الهامة التالية من الجدول السابق: وهي[١٠].

أ) أن الالتزام الكمي والكيفي أساس هذه القافية، فإذا حدث لها ورود مقطعي على هيئة (ص ح ح ـ ص ح ح) أو (ص ح ص ـ ص ح ح) كان الالتزام الكيفي مسألة لازمة في كل أبيات القصيدة، ومثل لنا المؤلف في الهامش[١١] بقول شوقي من الوافر:ـ[١١]

سلوا قلبي غداة سلا وتابا   لعل على الجمال له عتابا

حيث إن المقطع (تا ـ با) سوف يتكرر إلى آخر القصيدة وهو على (ص ح ح ـ ص ح ح).

ب) التغيرات الإيقاعية المسماة بالزحاف والعلة، مرتبطة بمنظور هذه القافية ـ فإذا ما رأينا التزاماً في إطار القافية لزحاف معين أو علة فمدار هذا الالتزام راجع إلى الحفاظ على الثنائية كما وكيفا.

ج) أن القافية الثنائية ينتفي معها حد الوتد، مجموعاً كان أو مفروقا.. وضياع الوتد هنا ـ رغم كونه ركيزة أساسية في بنيان التفعيلة ـ عوض عنه التزام مقطعي ثنائي في كل أبيات القصيدة.

د) أن هذه الصورة فيه واردة باعتبارها إمكانة من امكانات بحور الشعر العربي، فلم تتخلف عن بحر من البحور[١٢].

ويستمر المؤلف في عرض أنواع القوافي التي شاعت في الشعر العربي سالكا نفس الطريق، مقدما نتائج هامة، يحسن دراستها وتتبعها، ويكفيه فخرا أنه من أوائل من سلكوا هذا المسلك، من ربط القافية بعلم الأصوات.

ثانيا : قضايا أخالفه الرأي فيها.

قدم المؤلف دراسة طريفة تحت عنوان «الوصل والترخيص في العلامة» ويقصد بذلك المصطلح المعروف عروضيا بـ «الإقواء» وذلك حين يخالف الشاعر عن كلمة في القافية مجرورة وأخرى مرفوعة إعرابيا، فالإقواء إذن، عيب يرتكبه الشاعر: وهو «أن يأتي بالضمة مع الكسر، أو بالكسر مع الضمة، ولا يكادون يأتون اقواء بالنصب»[١٣].

وخلاصة رأي المؤلف في هذه القضية أن «العيب عيب في منظور النحوي فقط، أما الشاعر فسلامة الايقاع لديه هي الأساس الأول» ويضيف مؤكدا رأيه «إن ما ورد عن الأقواء ينبيء عن أن الشاعر لم يلتفت في أبياته إلى وجود خطأ نحوي، ومعنى ذلك أن الايقاع كان محفوظا لا مساس به»[١٤].

ولقد استشهد المؤلف في هذا المقام بأبيات عدة منها دالية النابغة، صاحبة الشهرة الذائعة التي قال منها.

....   وبذاك خبرنا الغراب الأسودُ[١٥].

ويعلق الدكتور كشك على تلك القصة قائلا:

لقد نطق النابغة داليته مجرورة، ولم يلتفت إلى وجود خطأ نحوي، لأن نغمة الايقاع أخذته وملكت عليه أمره، وما أدرك الخطأ، إلا حين عُرِضَ له في ثوب موسيقيٌ ممثل في غناء القينة له، ومعنى ذلك، أنه أدرك وقتها سبيل الترخص النحوي، وما كان العدول يمثل زعما كما يرى الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب حيث يقول «ويزعم الرواة أن النابغة قال هذا البيت بضم كلمة «الأسْود» ولكن المعقول أن يكون كسرها، لينسجم الروى في الأبيات، ويكون بذلك قد أخطأ في قواعد اللغة بسبب انشغاله

بموسيقى الشعر وانغام القوافي(١٦).

وهذا القول من جانب المؤلف يمثل اتهاما خطيراً لفحل من فحول العربية الأول بالجهل بقواعد اللغة التي هم أساسها وكانت تجرى على ألسنتهم مجرى الدم في الجسد، وما احتاج العلماء إلى تقعيد اللغة إلا بعد الفتوحات ودخول الأعاجم في الإسلام...، أما أن يقع رجل مثل النابغة، في ذلك الوقت المبكر مثل هذه الوقعة، فهو ما لا يمكن أن أصدقه.

الأقرب إلى الصواب — في رأيي — أنه أخطأ في صناعة القصيدة، حيث استعمل ترخصاً قافوياً ما كان يدرك أنه يشغل اهتمام الناس إلى هذه الدرجة، بل قل ما كان يدرك أنه أخطأ إلى حد اهتمام الناس برصد قينة ترده إلى صوابه.

ليس الأمر مجرد ترضية جماعية يا صديقي وزعم رواة، بل كما قال النابغة نفسه «دخلت يثرب وفي شعري صنعة، ثم خرجت منها وأنا أشعَرُ العرب»(١٧). ومعنى قوله في مفهومي، أنه دخل يثرب وفي شعره خطأ تركيبي وخرج منها متخلصاً منه، متركا لأمثاله، وبذلك أصبح اشعر العرب، ويلاحظ أنه لم يقل بارتكابه خطأ، ولم يقل خرجت منها وأنا أعلم العرب، لأن الأمر لا يتعدى مجرد عيب في الصناعة الشعرية، أو أنه فعل ذلك وهو لا يدرك أنه خطأ.

ولقد مثل المؤلف لهذه الظاهرة بالأبيات التالية، ليؤكد أنها عيب موسيقي من ذلك قول جرير:—

عرين من عرينة ليس منا برئت إلى عرينة من عرين
عرفنا جعفراً وبني أبيه وأنكرنا زعانف آخرينَ

حيث يجب فتح نون جمع المذكر تمشيا مع قواعد الاعراب، ولكنه كسرها تمشياً مع القافية.

وكذلك قول الشاعر :

أريتك إن منعت كلام يحيى أتمنعني على يحيى البكاءُ
ففي طرفي على عيني سهاد وفي قلبي على يحيى البلاءُ

حيث يجب رفع «البلاء» والقافية بالنصب.

وقول بشر بن أبي حازم :—

ألم تر أن طول الدهر يُسْلي وينسى مثل ما نسيت جذامُ
وكانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم إلى بلـــد الشامُ

حيث يجب جر «الشآم» والقافية بالرفع.

ومنها أيضا قول الشاعر ::—

تغيرت البلاد ومـــن عليها فوجه الأرض مغبرٌ قبيحُ(١١)
تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح

حيث يجب جر «المليح» لأنها صفة «الوجه» المجرور بالاضافة والقافية بالرفع.

وكل هذه النماذج في نظر المؤلف من قبيل الخطأ النحوي، في سبيل الحرص على الأداء الموسيقي للأبيات، لذا يقول معقبا على الأبيات السابقة:—

« شواهد ليست بالقليلة أدركها اللغويون بناء على قوانين الصواب اللغوية عندهم، وقد حاولوا من خلالها إنارة الطريق للشاعر، كي يسير وفق قواعدهم، ولما لم يسلم لهم ذلك، لارتباط الشاعر بالقافية، حاولوا أن يصلوا الطريق بقواعدهم وما جاءوا به، ومن هنا ظهرت تخريجاتهم النحوية، وتأويلاتهم للكثير من ظواهر الشعر كي يسلم في النهاية المطلب النحوي والمطلب الايقاعي»(١٥).

ويضيف الدكتور «وقد رأى بعضهم في سبيل تحقيق المطلبين معاً أن التسكين كان أصلا في نطق هذه الأبيات المخالفة للنحو، والذي أحسبه أن التسكين يمثل وقفة لا يمكن معها تمام الوزن. فإذا كان هناك انشاد، يُوَاجَهُ بامكانتين صالحتين للوقف، إمكانة يتم فيها الايقاع مع اتخاذ المدّ سبيلا للوقف، وإمكانة يختل فيها الوزن مع اتخاذ التسكين سبيلا للمد»(٢٠).

لعلنا نصل فيها جميعاً إلى حلٍّ فيه نهاية واتفاق.

ثالثا : مآخذنا على الكتاب :ـــ

أقول بداية، إن ما سوف أورده من نقاط في ذلك المجال لا يقلل من الجهد الأثير، والعلم الوفير، الذي سطره العالم الشاب أحمد كشك في هذا الكتاب الهام المهم، الذي هو اضافة هامة أسداها إلى قراء العربية والمتخصصين في موسيقا الشعر وعروضه وقوافيه، نعم: إنها مجرد ملحوظات عَلَّهُ يراعيها في اصداره الثاني للكتاب، فيكون في أحسن صورة، وأبهى اخراج، ولا يكاد يخلو كتاب ـــ مهما حاول صاحبه تنقيته ـــ من الأخطاء، ونقسم مآخذنا على الكتاب إلى نوعين:ـــ

١ ـــ مآخذ منهجية :
٢ ـــ مآخذ شكلية.

أولا : المآخذ المنهجية :ـــ

أ ـــ أغفل المؤلف أهمية تبويب الكتاب وتقسيمه إلى فصول رئيسية تندرج تحتها الموضوعات التي تدور حولها، أو على الأقل كان يمكنه ترك ورقة بيضاء فاصلاً بين موضوع وآخر، ولولا فهرس الموضوعات الممتع الذي صنعه المؤلف وجعله يحوى كل شاردة وواردة لَضَلَّ القارىء بين غابة من العناوين التي غالباً ما تتوسط السطر في صفحة جديدة، فأصبحت العناوين كلها على قدر واحد من الأهمية، لذلك أرجو أن يعيد المؤلف نظره مرة أخرى في عناوين الكتاب، وأن يلقى التبويب منه بعض الأهمية.

ب ـــ انساق المؤلف وراء آخرين أحرقوا أنفسهم في جداول احصائية عددية جافة لا قيمة لها، وخاصة عند حديثه عن الروى[٢٦] وإن كان للمؤلف عذره في أنه يرد على آخرين حاولوا أن يتخذوا من الجدولة الاحصائية نوعاً من التميُّز أو التفرد، إلا أن أعمالهم جاءت جافة جافية إلى أبعد الحدود من ذلك محاولة اثبات ندرة مجيء بعض حروف الأبجدية العربية في الروى، وقد مثل لنا بمثال من ذلك، محاولة احصائه لما ورد في دواوين عدة منها (سقط الزند ـــ اللزوميات ـــ ديوان المتنبي ـــ ديوان أبي نواس ـــ ديوان ابن المعتز، ديوان ابن زيدون)[٢٧] فقد وصل عدد الأبيات بها (٣٤٠٨٠١) بيتا، لذلك يقول المؤلف : «وقد كان حصاد الأبيات النادرة في هذه الدواوين ما يلي:ـــ

الغين : ١٤ مرة ولم ترد إلا في لزوميات المعري.
الظاء ٣١ مرة، الخاء ٤٤ مرة، الثاء ٩٠ مرة، الذال ٩٧ مرة، الصاد ١١٥ مرة، السين: ١٧٥ مرة، الزاي ٢١٩ مرة، الضاد ٢١٩ مرة، الطاء: ٣٣٠ مرة.» ويضيف المؤلف اضافة توضح مدى اضطراب الأرقام عنده فيقول «ومع إدراكنا لتفاوت نسب هذه الحروف من ديوان إلى ديوان، فإن هذه الحسبة لا تمثل شيئا ذا بال، إذا ما قورنت بكَمِّ الأبيات الذي وصل إلى خمسة وثلاثين ألفا كما رأينا»[٢٨].

نلاحظ أنه ذكر لنا أن عدد الأبيات «وصل في الدواوين السابقة (٣٤٠٨٠١) ويختم عبارته بأن «العدد وصل إلى خمسة وثلاثين ألفا» والفرق بين العددين كما هو واضح «٣٠٥٨٠١» بيتاً وهذا يوضح لنا مدى الاضطراب الشديد الذي أوقعه فيه جريه وراء الجداول والأرقام!! وإني لأعجب لهذا الأمر، وَرُبَّ إنه لمجهود ضائع!!

كان يكفينا ـــ ونحن سوف نصدقه بالتأكيد ـــ أن يقول لنا بإن ما يمكن وصفه بالندرة في مجيئه رَوِيًّا هي الحروف «كذا وكذا» وأكثر الحروف شيوعا في الروى هي الحروف «كذا وكذا».

جـ في هامش رقم (٥) ص ٩٧ يقول المؤلف «فحين يقول عز وجل ‹عينا فيها تُسمىٰ سلسبيلا› فإن نائب الفاعل جيء به منصوبا مراعاة للفواصل». وإنني أرجوه أن يعيد النظر في مثل هذا القول، وساعتها سوف يعلم أن نائب

الفاعل ضمير مستتر، وأن «سلسبيلا» هذه مفعول به، لأن الفعل «سمى» قد يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه أو بحرف الجر، فتقول سميته محمداً أو بمحمد.

د ـــ نقل المؤلف أبياتا عن كتاب «في علمي العروض والقافية» «ص ١٩٨، ص١٩٩،» اعتقدُ أنه اعتمد فيها على الذاكرة، لذلك كان نقله لها ينقصه شيء من الدقة، حيث جاءت الأبيات مكسورة ولا أدري كيف فاته ذلك، وهو صاحب الأذن الموسيقية المرهفة. مثلا:ـــ[٢٩].

١ ـــ لا بد من صنعا وإن طال السفر وإن تحنى كل عودٍ ودَبـــر

نقله في ص ٩٨ «وإن نحنى كل عوْدٍ وبرّ»

٢ ـــ فَهُمْ مثل الناس الذي يعرفونه وأهل الوفا من حادث وقديم

نقله في ص ٩٩ كالآتي :

فهم مثل الناس الذي لا يعرفونه وأهل الوفا من حديث وقديم

اضاف «لا» في الشطر الأول و«حديث» بدلا من «حادث» في الشطر الثاني.

٣ ـــ فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل

نقله في نفس الصفحة السابقة «فلست بآتيه ولا استطيعه» بهمزة وصل.

ثانيا : المآخذ الشكلية :ـــ

أولا : مصادر الكتاب ومراجعه فيها الأشياء الشكلية الآتية:ـــ

١ ـــ اللزوميات لأبي العلاء المعري يجب أن تكون قبل لسان العرب وموسيقا الشعر بين الاتباع والابتداع قبل موسيقا الشعر لشكري عياد، وديوان أبي الفضل بهاء الدين زهير، قبل ديوان البوصيري وديوان عمر بن أبي ربيعة قبل ديوان عمر بن أبي ربشة، والكتاب لسيبويه قبل كتاب القوافي.

٢ ـــ وردت أسماء بعض المراجع في هوامشه ولم يذكرها في مصادره وهي ليست مصادر ثانوية أو هامشية، لأنه أخذ منها وعلى أية حال هي قليلة، مثال ذلك:ـــ

أ ـــ ص ١١ شرح الحماسة للمرزوقي، ولم يرد في قائمة مصادره.

ب ـــ ص٣٦ هامش «١٦» يقول من الالتزام قصيدة حكيم بن عكرمه «تقول بثينة إذا انكرت» وليس هناك مصدر.

ج ـــ وردت في هامش ص ٥٧، ص ٥٨ مجموعة مماثلة من أسماء الدواوين، التي أجريت عليها الجداول، ومع ذلك لم يذكر عن بعضها بيانا في المصادر لمن يريد الرجوع إليها.

د ـــ في ص ١٠٠ هامش[١١] ذكر المؤلف كتاب «الدراسات القرآنية واللغوية ص٢٥٩»، وليس موجوداً في قائمة المصادر.

هـ ـــ في ص١١٢ هامش ٢١، ما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز ص؟، ولا ذكر لصفحة ولا ذكر له في المصادر.

ثانيا : وهناك بعض الأخطاء المطبعية، لا دخل للمؤلف في حدوثها لذلك لم أنبه إليها معتقدا أنه تداركها، وإن كان المؤلف مسئولاً عنها ولكن تقديرا مني لظروف إخراج الكتاب وتقديرا مني للجهد الخارق في تأليفه، وجمع مادته العلمية فإنني أجد له العذر في كثير من الأمر.

وبعـــد

فقد بزغ في سماء العربية نجم جديد، أطل علينا باشعاعه، يضيء لنا طريقاً ما زال النور فيه خافتا، نجم زاهر يوحي بالخير

الكثير، فهنيئا لنا به، ومرحى بإطلالته، راجين المولى أن يديم ظهوره، ويكثر لنا من أمثاله، وتحية، بل الف تحية لعالم ولد كبيرا، ولا يفوتني أن أسجل له مرة أخرى شكرنا وتقديرنا على مجهوده الضخم، وعلمه الغزير الذي أفضى علينا به في كتابه «القافية تاج الايقاع الشعري» فكان كتابه تاج مؤلفات القافية في عصرنا الحديث.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديَّ وأن أعمل صالحا ترضاه».

صدق الله العظيم

الهوامش

(١) راجع كتاب «القافية تاج الايقاع الشعري» ص٥.
(٢) المصدر السابق ص٥ أيضا.
(٣) المصدر السابق ص٢٣.
(٤) المصدر السابق ص٢٥.
(٥) المصدر السابق ص٢٥ بتصرف.
(٦) المصدر السابق ص٢٥.
(٧) المصدر السابق ص٢٦.
(٨) نفس المصدر ص٢٦.
(٩) المصدر السابق ص٢٩.
(١٠) المصدر السابق ص٢٩.
(١١) المصدر السابق ص٢٩ هامش(١٠).
(١٢) المصدر السابق بتصرف ص٢٩، ٣٠، ٣١.
(١٣) المصدر السابق ص١٠٣.
(١٤) المصدر السابق ص١٠٦.
(١٥) المصدر السابق ص١٠٤.
(١٦) المصدر السابق ص١٠٧.
(١٧) القافية تاج الايقاع الشعري ص١٠٥.
(١٨) أنظر النماذج السابقة ص١٠٩، ص١١٠ من كتاب القافية السابق.
(١٩) المصدر السابق ص١٠٩.
(٢٠) المصدر السابق ص ١٠٩.
(٢١) «الكتاب البارع» لابن القطاع لحقيق أحمد عبدالدايم ص١١٢.
(٢٢) الذي ضربه «فعولن».
(٢٣) وهو حذف الخامس الساكن من «فعولن» وتسكين ما قبله فتصبح «فعولْ».
(٢٤) أنظر كتاب «القافية تاج الايقاع الشعري» ص١٠٩ وكذلك كتاب «نقد الشعر» ص١٨٦.
(٢٥) أنظر الكتاب موضوع التحليل ص١٠٩.
(٢٦) أنظر المصدر السابق من ص٤٦ إلى ص٦١.
(٢٧) المصدر السابق ص٥٨.
(٢٨) المصدر السابق ص٥٩.
(٢٩) المصدر السابق ص٩٨، ص٩٩.

المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر للألوسي

خالد محسن اسماعيل

كلية التربية ــ جامعة بغداد

الألوسي، محمود شكري / المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر تحقيق عبد الله الجبوري. ــ الرياض: دار العلوم، ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢، ٥١١ ص.

صدر عن دار العلوم للطباعة والنشر في الرياض بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م «المسك الأذفر..» تصنيف محمود شكري الألوسي (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م ــ ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) بتحقيق الدكتور عبدالله الجبوري.

والكتاب الذي يقع في ٥١١ صفحة بالحرف الصغير، عدا فهارسه، هو القسم الثاني من كتاب الألوسي «دليل المراد في أخبار بغداد» ترجم فيه لمائة شخصية علمية عراقية، ترامت بها المواضع لا المنازع، فزكا زرعها في شمال العراق ووسطه وجنوبه، واستوى على سوقه في بغداد اضمامة علم زكية فاح شذاها على أطراف من العالم الاسلامي.

وتحلى الكتاب بهوامش ثرة كثيرة لا تكاد تخلو منها صفحة، شرحاً لمبهم، أو زيادة في معنى، أو إحالة على مصادر، تفصح عن اطلاع المحقق وجهده وحرصه على إضاءة النص تاريخياً وعلمياً وخططياً.

لقد خدم المحقق نص الكتاب خدمة جليّة، وقدّم له (بمدخل) درس فيه الأسرة الألوسية، وذكر (سطوراً في حياة الألوسي)، وجاء (بمراجع مختارة في دراسة حياة الألوسي وآثاره)، وعرّف بآثار المؤلف المخطوطة، والمطبوعة، ثم عرّج على مخطوطات الكتاب ونسخه، وأومأ إلى القسم المطبوع من الكتاب.

إن تاريخ رجال أمة ما جزء أساس من تاريخها العام، بل هو تاريخها، نقف به على أصولها وحياتها وتطورها وما قدمت للتاريخ الانساني.

وهو بمعناه الخاص يشدّ من ارتباط الفرد بأمته، ويثير فيه الانتماء والاعتزاز والحب والتضحية، لأن الفرد لبنة في بناء أمته يرى فيه وجود أمسه وحاضره ومستقبله.

ومن هنا، أيضاً، تتألق النماذج الفائقة أمثلة ينظر اليها الفرد ويعيش بها ويسعى في دربها اللاحب إلى أمام، وتتحول أمامه (النماذج) الهابطة إلى علامات تحذير على الطريق أنْ:
هَهنا حفرة، وهناك هوة، وهنالك.. مستنقع!
لهذا كان للتراجم عندنا نحن المسلمين مكان مرموق.

و « المسك .. » حلقة من السلسلة الذهبية المباركة ترجم فيه الألوسي لمائة شخصية علمية عاشت في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر الهجريين ، منهم من عرفه المؤلف وصحبه وعاش معه ، ومنهم من لقيه ، ومنهم من أخذ عنه وتتلمذ له ، ومنهم من لم يلقه ولكنه وقف على آثاره وروى ما قيل فيه وسمع من أخباره .

ومنهج المؤلف في الترجمة ، أن يثبت سنة ولادة المترجم له ، وسنة وفاته ، ويصف خلقته جرماً وطولاً ولوناً وصوتاً ، ويكشف عن أخلاقه ولكن بقلم الأمانة وحضور الضمير ، ثم يذكر شيئاً من شعره ونثره وما له من مصنفات ، وما تولى من مناصب ، ثم يختمها بما قالوا فيه .

فهو ، حقاً ، وثيقة للحركة العلمية في بغداد خلال هذين القرنين .

والكتاب في أصل وذيل ، تقدمتهما مقدمة المحقق .. ترجم المؤلف في الأصل لثمانية من أعلام الأسرة الألوسية (ص ٦١ ـ ١١٧) ، ولعشرة من علماء السويديين (ص ١٢٣ ـ ١٥٣) ، ولعلماء متفرقين بلغوا السبعين عداً (ص ١٥٧ ـ ٤٣٠) .

وفي الذيل ترجم لاثني عشر عالماً آخر (ص ٤٣٥ ـ ٥١١) .

ولا يعد صدور الكتاب اليوم الصدور الأول له ، فقد سبق أن طبع منه عام ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م بمطبعة الآداب ببغداد بنفقة المكتبة العربية لصاحبها نعمان الأعظمي الكتبي ، وصدر ـ كما أشار المحقق ـ في ١٧٥ صفحة متضمناً خمسين ترجمة ، ومقدمة بقلم الناشر رحمه الله .

والألوسي في هذا الكتاب هو .. محمود شكري ، علماً وأدباً وتتبعاً وإحاطة وأمانة وسلامة صدر وحسن أدب . وحسبنا أن نقف على أمانة هذا الرجل وتجرده واخلاصه للحقيقة بما تكلم به على واحد من أهله .

قال رحمه الله في ترجمة أخيه الأكبر :

(.... لا سيما وله ابنان بعيدان كل البعد عن آدابه ومعتقده ، فكانا أعظم مصيبة عليه ، لا سيما ابنه الصغير ، فليس فيه رائحة من النجابة ، خبيث النفس ، مارق عن الدين ، معدوم الأدب ، فاجر ملحد ، مرتد عن دين الاسلام) ص ٤٨٧ .

وما تكلم محمود شكري بهذه الأحكام على أحد غير ابن أخيه هذا ، اذ وجدناه يتحدث عمن يخالفه الرأي فيقول فيه : (وأنت تعلم ان ما ذكره يتنازعه فيه الخصم ولا يسلمه له ، اذ غالب كلامه لا يخلو من نظر ، وأحسن منه ان يقال ...) ص ٣٢٨ .

أو يقول في شيخ يماني من الزيدية : (... وقد بحثت معه في الأصول مراراً فرأيته يميل إلى أصولهم ، ولا يرى جميع الصحابة عدولاً ، حتى أني هجرته عدة سنين لذلك .) ص ٣٣٤ .

بهذا الأفق العالي كان يتكلم على مخالفيه ، ولهذا جاء « المسك » لسان صدق أمين .

ولكن كيف رتّب المؤلف تراجم كتابه؟

في ترتيب الأعلام مذاهب ، قد ترتب هجائياً وفق حروف الأسماء ، أو تاريخيا وفق وفياتهم ، أو جغرافياً وفق جهاتهم ، أو موضوعياً وفق مهنهم أو طبيعة آثارهم .. فكيف رتّب الألوسي تراجم « المسك » ؟

جعل (الألوسيين) أولاً ، ثم (السويديين) ثانياً ، ثم (علماء متفرقين) ثالثاً ، ثم الذيل الذي ضم علماء آخرين كيفما اتفق له .

ولهذا (اللا ترتيب) فيما أرى ، سبب يتصل باسلوب تأليف الكتاب ، فان الألوسي ، كما يبدو لنا ، كان يدوّن التراجم على تراخي الأيام ، وقد تفصل بين ترجمة فترة تمتد أشهراً (انظر ص ٣٠٥) ، ولعل بين أول ترجمة كتبها وآخر ترجمة عمراً من عمر الألوسي رحمه الله .

ولهذا كنت أرجو أن يخرج علينا المحقق بقائمة تتضمن أسماء المترجم لهم مرتبة ترتيباً تاريخياً بحسب وفياتهم يضمها ، مع الفهارس ، إلى آخر الكتاب .

ملاحظـــات :

أشهد أن هذا الكتاب ثقيل حمله، وأن محققه مشكور فيه جهده، لقد استفرغ فيه الطاقة، وبلغ المطلوب. إلاّ أن الآراء لا تنتهي، ووجهات النظر لا حدود لها، وسعة الصدور منذ القديم كانت تجرىء المرتجفين من رمال الشاطىء على الغواصين المهرة وهم في الأعماق!

من هنا، عنّت لي ملاحظات عابرة أحببت إرسالها خدمة للكتاب وللمؤلف ولأخي الجبوري بارك الله له في عمره وجهاده:

١ . ذكر المحقق في الصفحة ١٣ جامع عادلة خاتون ببغداد، حيث تصدّر فيه الألوسي للتدريس أول عهده بالعلم. والجامع جامعان يحمل كل منهما اسم المحسنة عادلة خاتون، فأيهما المقصود؟ الكبير الواقع في شارع المستنصر مقابل المحكمة الشرعية، أم الصغير الذي كان في شارع المأمون في جزء من موقع عمارة وقوف السيارات اليوم مقابل البناية القديمة للمتحف العراقي، حيث ما زالت ثلاث نخلات غريبة، تتسامر في ظلال كومة السمنت الهائلة، وتسترجع في غمرة الضجيج أذان الأمس وتسبيحه؟

٢ . اعتمد المؤلف رحمه الله على التاريخ الهجري، ووجدت الأستاذ المحقق، في مواضع قليلة جداً، يشفع التاريخ الهجري بما يوافقه من التاريخ الميلادي، وحسناً فعل، إلاّ أن المأمول كان أن يفعل ذلك مع كل تاريخ هجري ورد في نص الكتاب أو أورده المحقق في هوامشه، لأن القراء اليوم يجهلون عدد الشهور العربية وأسماءها ومواضعها من السنة الهجرية، بل يجهلون ما مضى على الهجرة من السنين، بل يجدون في أنفسهم حرجاً من ذكر التاريخ الهجري إن علموا... فتأمل! لذلك كان ضرورياً أن يُقرن التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي ليستدل القراء بأحدهما على الآخر.

٣ . ذكر المحقق في الصفحة ٣٢ كتاب «المسفر عن الميسر» ضمن كتب الألوسي المخطوطة، ثم ذكر كتاب «الميسر عند العرب» ضمن الكتب المطبوعة، وقال عنه: (ولعله هو ذات «المسفر عن الميسر»).

أقول: كان على المحقق، وهو المعروف بالتثبت والاستيعاب، أن يقابل بينهما، وهما تحت يديه، ليقول القول الفصل فيهما.

٤ . عيّن المؤلف في الصفحة ١٢٤ موضع المدرسة العمرية على شاطىء دجلة في الكرخ (حذاء القمرية)، وذكر المحقق في الهامش، زيادة في الايضاح، انها ـ أعني المدرسة ـ كانت (في جامع القمرية).

أقول: ان المحقق يعلم، وهو البغدادي الكرخي، أن بين جامع القمرية والمدرسة العمرية الدار التي اتخذت عام ١٩٥٠ مقراً لنادي المنصور الرياضي، فكيف تكون المدرسة في الجامع؟ إنها (ليست في جامع القمرية) بل هي حذاءه كما ذكر الألوسي.

٥ . ترجم المحقق في هامش الصفحة ١٧٤ للمدرسة العلية، وهي من المواضع التراثية العزيزة في بغداد، لما شهدته عبر تاريخ طويل، إلاّ أن المحقق حفظه الله تجاوز مرحلتين من مراحلها لم يشر إليهما، أحداهما يوم كانت، قبل ١٤ تموز ١٩٥٨، مقراً للمجلس النيابي، وهو عهد من تاريخها مذكور، والأخرى يوم اتخذت متحفاً عسكرياً بعد ٨ شباط ١٩٦٣.

٦ . حدّد المحقق في هامش الصفحة ٣٤٨ موقع محلة «راس القرية» فذكر أنها (في أول مدخل شارع الرشيد من يمين جسر الشهداء)، وأحسب أن العبارة تحتاج إلى اعادة نظر. فبين مدخل شارع الرشيد من جهة الجسر (ساحة الرصافي اليوم) ومحلة رأس القرية جملة مواضع. فعلى امتداد واجهة شارع الرشيد وحي (خان مرجان) على شارع زيد بن ثابت (السموأل سابقاً) تقوم محلة باب الأغا، وبموازاتها من جهة الغرب تنتشر شبكة الأسواق والخانات التجارية، وبين هذه الشبكة ونهر دجلة، بدءاً من رأس الجسر، يقوم جامع الآصفية ثم المدرسة المستنصرية ثم سوق الساعاتية وفيه على جهة اليمين يقوم مسجد الحظائر (الخفافين اليوم) مطلاً على دجلة.

كل هذه المواضع تفصل بين مدخل شارع الرشيد ومحلة رأس القرية.

٧ . ذكر المحقق في الصفحة ٣٥٥ أن معنى (باشعالم) : رئيس العلماء ، وقال : (وهي كلمتان من التركية ، وتعني : رئيس : باش ، وعالم) .

والعبارة ، كما أرى أسيرة سهو عابر ، فان كانت (باش) لفظة تركية تعني : الرأس ، فان لفظة « عالم » كما نعلم ليست تركية .

٨ . ترجم المحقق في الصفحة ٤٤٤ لهادي العمري ، ولكن فاته أن يشير إلى أنه كان أحد المرشحين لعرش العراق عام ١٩٢١ .

٩ . في المقدمة التي عرّفت بالألوسي وآثاره ، أدرج المحقق الآثار المخطوطة (٤٣ مخطوطاً) ، والمطبوعة (٢٠ مطبوعاً) ، ولكن.. ما هو الأساس الذي اعتمد عليه في ترتيب الكتب؟ كان حسناً لو رتبها تاريخياً لنقف على التطور الفكري للألوسي ، أو أن يرتبها هجائياً ليسهل الرجوع إليها وهي منظومة في نسق بيّن .

١٠ . كم بلغ الألوسي ، يوم وفاته ، من العمر ؟

في صفحة العنوان الداخلي ثبّت المحقق التاريخين الهجري والميلادي لولادته ووفاته هكذا : (١٢٧٢ هـ ــ ١٣٤٣ هـ / ١٨٥٧ م ــ ١٩٢٤ م) .

إلاّ أن سهواً وقع في خط التاريخ الهجري لسنة الوفاة ، والصواب (١٣٤٢ هـ) وليس (١٣٤٣ هـ) ، وما ورد في الصفحة ١٦ من المقدمة يؤيد ذلك .

ولكننا مع هذا نجد عند احتساب عمر الألوسي أنه رحمه الله عاش ٧٠ سنة هجرية أو ٦٧ سنة ميلادية . وهذا الاشكال يزول أيضاً إذا رجعنا إلى تلميذ الألوسي وخليفته الأستاذ الجليل الشيخ محمد بهجة الأثري ــ مدّ الله في عمره وبارك في عطائه ــ فهو يثبت في كتابه « محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية » أنه ولد سنة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦ م ، وتوفي سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م ، وبذلك يتضح أنه رحمه الله عاش ٦٩ سنة هجرية أو ٦٨ سنة ميلادية .

* * *

وبعـــد ..

فالكتاب غزير يثير في النفس أكثر من خاطرة :

أن تنفر لتراث الألوسيين طائفة من الباحثين والدارسين تنشر مخطوطه ، وتدرس مطبوعه ، لتضع هذه الأسرة في مكانها الذي تستحق من تاريخنا العلمي ، وتكشف عن ذاك البناء الشامخ الذي شاده الألوسيون ، فقد كانوا طليعة نهضة علمية ناشطة حفظت المسار الفكري في العراق في مرحلة خطيرة من مراحل نهضته الحديثة .

وأن ينهض من يعقد بهذه السلسلة المباركة حلقة جديدة يترجم فيها لأعلام رحلوا في السنوات الأخيرة ولم يعد تاريخنا العلمي يذكر عنهم غير شذرات متناثرة أو أخبار يتيمة، لتتصل الحلقات وتزكو السلسلة المباركة.

من تاريخنا لمحمد سعيد العامودي

حلمي القاعود
القاهرة

العامودي، محمد سعيد / من تاريخنا ـ ط ٣
الرياض: دار الأصالة، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

لا ريب أننا نحتاج من وقت لآخر إلى من يشدنا نحو الجوانب المضيئة والثرّة في تاريخنا، لكي تنفتح أمامنا أبواب الأمل والرجاء في الغد المأمول والمستقبل المنتظر. ونحن أحوج ما نكون إلى التعرّف على هذه الجوانب في الظروف الصعبة والحرجة التي تمرّ بها الأمة، وتتعرض فيها لغارات متعددة ومتنوّعة سواء في المجال العسكري أو المجال الثقافي؛ إذْ إنّ الغاية من هذه الغارات تحطيم مقومات الأمّة وسلخها عن ميراثها الطيب، وقطع جذورها الممتدة عبر الأجيال والأحقاب، وتحويلها إلى أمة ممسوخة الهوية والطابع والشكل، أو إلى أمة تعيش عالة على التاريخ ـ إن صحّ التعبير ـ تستجدي غيرها القيم والعادات والتقاليد، فضلاً عن العقيدة..

وأرجو ألاّ يفهمن أحد من كلامي أن هذه دعوة إلى عبادة الماضي. فما أبعد الفارق بين ما أريد توصيله إلى القارىء، وما قد يسبق إلى الذهن، فعبادة الماضي تعني السكونية، واجترار الأحداث، ومضغ التاريخ في زمن الفشل والقعود والحسرات. أما التعامل مع النقاط المضيئة في الماضي، فيعني أخذ العبرة والاستفادة من التجارب في إطار الحركية، والمبادأة، وتجاوز المحن بإصرار.. مع الاعتزاز بمقومات الشخصية المتميزة للأمّة، والتي قد يفرّط فيها البعض تحت طرقات اليأس، ووخز الخيبة وضراوة المحنة.

لقد تعرضت أمتنا، خاصة في أيامها الراهنة، إلى مزيج غريب من الغارات التدميرية التي تستهدف الماضي والحاضر والمستقبل جميعاً، مما جعل البعض يجنح إلى ضفاف السلبية واللا مبالاة والأسى العظيم.. وهذا ـ في حدّ ذاته ـ يشكّل خطراً عظيماً، إذا لم تنجح الجهود المخلصة في تغيير الظروف النفسية والفكرية التي تهيىء له الانتعاش والتفريخ والتمدّد إلى قطاعات أخرى في الأمة يجذب بعضها بعضاً، كما العدوى!

ومن ثمّ، فإن بث العزيمة والإيجابية والمبادرة في النفوس المستكينة ضرورة حيوية، وفعالة، لتجنب المصير المؤلم الذي ينتظر الأمة ـ لا قدر له ـ لو استمرت في الاستكانة والسلبية.. ولست أعني في هذا المجال ما نراه أحياناً من تصوّرات تعتمد الهتاف والضجيج الأجوف والإنشائيات الفارغة.. فتلك لها من التأثير الضار أكثر مما لها من الأثر المفيد. وقد أثبتت الأحداث القريبة ذلك بوضوح، ولكن الذي أعنيه، هو ذلك العمل الهادىء المستنير، القائم على الفهم لأبعاد التاريخ وتجاربه، وارتباط هذه التجارب وتلك الأبعاد بما نراه مجسداً على أرض واقعنا الراهن.

ومن هذا النوع الأخير ما نطالعه أحياناً من كتب تصدر في هدوء، وتعالج واقعنا الراهن من خلال التاريخ في تؤدة وروية، ونظر ثاقب، وأداء مهذب.

وفي الطبعة الثالثة من كتاب «من تاريخنا» للأستاذ محمد سعيد العامودي»[1] نعثر على واحد من النماذج التي تسوح عبر

الواقع من خلال التاريخ، وتحقق ذلك النوع من الفهم المستنير للأحداث. والكتاب في مجموعه يضم فصولاً تعرض لبعض القضايا الحضارية في تاريخ أمتنا الاسلامية، وهي قضايا هامة، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بما يسمى «الصراع الحضاري» بين المسلمين وأصحاب الحضارات الأخرى من الأمم المتقدمة في زماننا.. وسوف ألمح بإيجاز لبعض هذه القضايا ليرى القارىء مدى أهميتها، خاصة من لم يطالع شيئاً عن حضارتنا وإنجازها المبهر يوم كنا خير أمة..

تعد المرحلة العمرية في تاريخ الخلافة الاسلامية أنموذجاً للسياسة الحكيمة والعادلة والحازمة التي يحتذيها من يبغي الإصلاح وتجاوز الهزيمة الروحية والمادية.. وتعد السّياسة المالية في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من أهم الموضوعات التي تحتاج إلى بحث ودرس، في عصرنا، بعد أن تطورت العلوم والنظم المالية والاقتصادية، وقطعت شوطاً بعيداً من التقدم والنضج، وأصبح النجاح في سياسة المال المعيار الأول لنجاح الأمم في سائر مرافقها الحيوية. «لقد كان عمر أول من وضع السياسة المالية في الاسلام كنتيجة لابد منها لاتساع الفتوح وانفساح رقعة الدولة في أيام خلافته الراشدة، فهو أول من أوجد الدواوين، وعين أبواب الإيراد والصرف، ونظم حسابات كل منها.. ثم كان عمر أول من استعمل التاريخ الهجري وعلاقة ذلك بالمال والحساب والسياسة المالية غنيّة عن البيان».

وكانت وراء مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسباب منطقية وواقعية، هداه إليها تفكيره الناضج وإيمانه العميق لخدمة الدولة والدين. وهذه المواقف التي أسست نظاماً ممتازاً لاقتصاد الدولة الاسلامية هي التي دفعت رجلاً مثل «نيكلسون» في كتابه (تاريخ الأدب العربي) إلى القول: «... وفي ظل النظام الذي سنّه عمر انتظمت الأمور في بلاد العرب بعد أن طهرت من أدران الشرك وأصبحت مورداً خصباً وقاعدة ثابتة لتموين الجيوش الاسلامية الدائمة، وصار العرب المقيمون في المقاطعات المفتوحة أساساً لتموين القوات الحربية على الإقامة في معسكرات كبيرة والإنفاق عليهم مما يجبى من غير المسلمين، وكان من نتائج هذه المعسكرات أن قامت مدينتان ذاتا أثر بارز في التاريخ الأدبي هما البصرة عند ملتقى دجلة بالفرات والكوفة التي ظهرت إبان ذلك الحين أيضاً على الفرع الغربي للفرات وعلى مقربة من الحيرة».

وإذا كانت فكرة «الضمان الاجتماعي» قد انتشرت في عصرنا الحديث وأخذت بها معظم الدول العربية؛ فإن عمر ابن الخطاب كان أول من أتيح له ـ بعد أن اتسعت رقعة الاسلام ـ أن يقوم بتحقيق أول مشروع للضمان الاجتماعي؛ بطريقة فذّة ومثالية، وفي أسمى صورة عرفها تاريخ الانسان؛ على أساس تعاليم الاسلام الواضحة. وكانت المادة الأولى من مواد هذا النظام إنشاء الدواوين وتقييد أسماء الناس... وفرض العطاء لهم جميعاً، على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم، فلم يدع عمر جماعة من المسلمين إلاّ وفرض لهم من هذا العطاء.

ولعمر له في تاريخه الحافل «أوليات» جعلته تاجاً رائعاً لحضارة الاسلام التي تطلق العنان للعبقرية الانسانية كي تؤدي دورها بنشاط وفعالية ومن خلال إرادة ظافرة.. وتحت ظلال العدل والرحمة والخلق العظيم.

وفي هذا السياق الطيب والظافر يأتي الحديث عن «قادة العراق». وهذا اسم لكتاب ألّفه الباحث المعروف اللواء الركن «محمود شيت خطاب»، وقد تناوله الأستاذ العامودي، ليبرز النماذج المضيئة في تاريخنا والتي نحن أحوج ما نكون إلى احتذائها وتقليدها خلقاً وسلوكاً، وسوف نطالع في هذا التناول إجابة هامّة على سؤال يقول.

«ما الذي يسّر للمسلمين الفتح، ونشر سلطانهم في المشرق والمغرب في سنين قليلة؟»

والإجابة ببساطة تتلخص في:

«الإيمان الذي ملأ قلوبهم في مبدأ مسيرهم ونهايته، وصحبهم من (بدر) إلى (بلاط الشهداء) وحالفهم مشرّقين ومغرّبين، وهازمين ومهزومين، والثقة بوعد الله في فتح الأرض والسيطرة عليها بالحق والعدل.

يسّر لهم الإيمان واليقين كل عسير، وذلّل كل صعب، وجمع كلمتهم وقلوبهم على الجهاد، في سبيل الله، والصبر على ما يلقون، ولقاء الموت راغبين مستبشرين.

وكذلك يسّر لهم الفتح أنهم ساروا إلى الأمم على شريعة جامعة، وقانون محكم، لا يعتدون، ولا يبغون، ولا ينقضون العهد، ولا يخفرون الذمّة، تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وأنهم جماعة نظام، وجند طاعة، في السرّاء والضراء، والشدة والرخاء، والحرب والسلم، وأنهم لم يسيروا في الأرض ابتغاء الملك والسلطان، والجبروت والمال، ولكن دعاة دين وشرع قويم وخلق كريم، ورسل عدل ورحمة وأخوة ومساواة!».

ولا ريب أن ينتصر بهذا الدستور قادة أمثال، خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني، وأبو عبيد بن مسعود الثقفي، وسعد ابن أبي وقاص، وخالد بن عرفطة العذري، وزهرة بن الحوية التميمي، والقعقاع بن عمر التميمي، وربعي بن الأفكل العنزي، وعرفجة بن هرثمة البارقي، والمغيرة بن شعبة الثقفي، وعتبة ابن فرقد السلمي، وعياض بن غنم الفهري، والوليد بن عقبة ابن أبي معيط الأموي.

وينعطف مؤلف «من تاريخنا» نحو تاريخ المسلمين في الهند، وهو تاريخ مشرق حافل بالمآثر، حافل بالأمجاد. وقد ظل هذا التاريخ مطوياً عشرات السنين ضمن عشرات الكتب دون أن تعرف عنه الكثرة من القارئين باللغة العربية إلاّ النزر اليسير.

ويعدّ كتاب «المسلمون في الهند» للأستاذ الداعية «أبي الحسن علي الحسني الندوي»، من أوائل الكتب التي قدمت بالعربية إلمامة موجزة وهامة عن المسلمين في شبه القارة الهندية، ودورهم في حضارة الهند، وعما حملوه إليها مع دخولهم من خيرات وحسنات، وعن بعض ما أضافوه إلى ثروتها الدينية والعلمية والخلقية والاجتماعية والصناعية والمدنية. في عهدهم الطويل الجميل الزاهر.

لقد كان المسلمون في الهند أوفياء لوطنهم لا يتثاقلون عن خدمته والتقدم به في ميادين العلم والصناعة والمدنية، أوفياء لدينهم وثقافتهم العربية الاسلامية، لا يتخلفون عن ركبها، ولا ينقطعون عنها، وقد نراهم في بعض فترات التاريخ في مقدمة القافلة، وفي مأخذ الزمام.

وما أكثر ما تركه المسلمون في الهند من مؤلفاتهم في العلوم الإسلامية، ومن هذه المؤلفات:

«العباب الزاخر، وكنز العمال، والفتاوى الهندية، وحجة الله البالغة، وتاج العروس في شرح القاموس، ومعجم المصنفين ـ وهو دائرة معارف في ستين مجلداً وتضم عشرين ألف صفحة» ـ وكلها كتب ذات قيمة وأهمية كبرى شارك في تأليفها قدامى المسلمين ومحدثوهم، لخدمة الفكر والحضارة.

وفضلاً عن ذلك، فإن مراكز العلم والثقافة والمعاهد الكبرى في «عليكرة» و «حيدر آباد» و «دار العلوم» في «لكنهؤ» التابعة لندوة العلماء، قد قامت بدروها ـ وما زالت ـ في تربية رجال المسلمين وأبنائهم.

وهذه الملامح من نشاطات المسلمين في الهند تدل على قدرتهم المدهشة في التأثير القوي والفعال داخل القارة الهندية.

لقد أفرد الأستاذ «العامودي» فصولاً هامة للحديث عن تاريخ مدينة جدّة، والمدينة المنوّرة، ومكة المكرّمة، وتاريخ الصحافة في الحجاز.. وهي فصول تمتلىء بالجدّة والطرافة معاً خاصة الفصل الذي يتناول تاريخ الصحافة، ففيه الكثير من المعلومات عن الصحف التي صدرت في الحجاز، وأوائل التي صدرت بالعالم العربي. ففي مصر كانت صحيفة (الحوادث اليومية ـ ١٧٩٩م) وأنشأها «نابليون بونابرت» في فترة الاحتلال الفرنسي لمصر. و (حديقة الأخبار ـ ١٨٥٨م) في لبنان، و (سوريا ـ ١٨٦٥م) في دمشق، و (الزوراء ـ ١٨٦٩م) في العراق، و (صنعاء ـ ١٨٧٦م) في اليمن، و (النفير العثماني ـ ١٩٠٤م) في فلسطين، و (الحجاز ـ ١٣٢٦هـ) في مكة المكرمة، وكانت الأخيرة تصدر بالعربية والتركية.

بيد أن الأستاذ العامودي يتوقف وقفة أدبية هامة عند اثنين

من شعراء الجيل الماضي في المملكة العربية السعودية، أولهما «عبد الواحد الجوهري الأشرم»، وثانيهما «إبراهيم الأسكوبي» .. وهذه الوقفة العامة تدخل في دائرة التأريخ الأدبي الممتزج بنظرات نقدية ثاقبة في شعر الرجلين، مع وعي ملحوظ بطبيعة الإنتاج الشعري في الزمن السابق للرجلين والمعاصر لهما.

والأشرم الذي ولد وعاش في عصر مضطرب وقلق (١٢٧٨ - ١٣١١ هـ) كان شاعراً غزلاً بمعنى من المعاني، لأنه تفوق في هذا النوع على أكثر معاصريه، وكان لشعره حظ من السيرورة في الجيل الماضي القريب أكثر بكثير مما ناله أي شعر آخر من شعر الشعراء الحجازيين، وحسبك أن تسمع أنه كان «متنبي زمانه!»، و «وحيد أوانه!» في نظر معاصريه لكي تعلم إلى أي حد استطاع هذا الشاعر أن يملأ دنيا الحجاز في ذلك الزمن، وأن يكون وحده بين الشعراء الآخرين «الطائر المحكي» والآخرون «الصدى». وقد شارك «الأشرم» في ميدان «التشطير» و «التخميس» الذي كان طابع عصره ... ومن أمثلة التشطير قوله:

«سألتها عن فؤادي: أين مسكنه» وقد سبته بما أبدى محياها
ولست أدري محلاً أنزلته به «لأنه ضلّ عني، عند مسراها»
«قالت: لدى قلوب جمّة جمعت» وليس يعلم عندي أين مثواها
منها السعيد ومنها ما أعذبه «فأيها أنت تعنى؟ قلت: أشقاها»

ومن أمثلة «التخميس» قوله:

ليت شعري ومهجتي مأواها ذاب قلبي من بعدها ونواها
«ياخليلي ولائمي في هواها» هل أراها وليس داني سواها
«علاني في حبها علاني»

أما شاعر المدينة المنورة «إبراهيم الأسكوبي» (١٢٦٤ - ١٣٣١ هـ)، فقد كان صاحب موقف، ووصف صاحب المنهل قصيدة مدوية له، بأنها أول قصيدة سياسية في الشعر الحديث على ما نعرف، أنشأها في آخر العهد العثماني، ونفي بسببها مع أنها لم تكن إلاّ صيحة إرشاد وتنبيه للدولة العثمانية. ويقول «الأسكوبي» في هذه القصيدة.

«دون الدنية إيثار المنية في قوم من البغض ودّوا محوكم مكرا
لا تحسبوا أنهم ناسون ما فعلت أسلافكم بهمو، في سالف مرّا
أيقظتموهم بضرب الهام فانتبهوا من نومهم .. ورقدتم أنتمو الدهرا
فليتكم ما خطوتم نحوهم قدما وما أغرتم على أملاكهم شبرا
نبهتموهم، فشقوا عزمهم حنقا كأنهم، قد أقلتم منهم العثرا
فجددوا عدداً للحرب فاتكة براً وبحراً، فجاسوا البر والبحرا

وبعـــد ..

فإن الرحلة «مع تاريخنا» لم تنته، وهي كما قلت رحلة ممتعة بكل المقاييس لأنها تحرك فينا كوامن الأشواق والأشجان، وتفتح أمامنا باب الأمل رغم الألم، وتطلعنا على حقائق ومعلومات جديدة بالفهم والمناقشة.